تطور الصحافة المصرية

وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية

للدكتور

ابراهيم عبده

المدرس بمعهد التحرير والترجمة والصحافة
بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

الطبعة الثانية

الناشر
مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة
مطبعة التوكل بمصر
١٩٤٥

الاهـــداء

لقد كان ظهور هذا الكتاب فى طبعته الأولى بعض فضلها ؛ وكان استقبالها له يوم صدوره استقبال الكريم الذى يقدر للمجتهد اجتهاده ، وقد أسعدنى يومئذ أن أقدم لها تلك الطبعة عرفانا بالجميل لصاحبة اليد التى لن أنسى عطفها أو أنكر مودتها

وبعد فأن للسيدة الفضلى قوت القلوب هانم الدمرداشية مكانا فى نفسى يفرض على أن أحسن ذكرها ، وأفضل ماعندى من الذكرى أن أقدم لها كتابى مرة أخرى هدية ملؤها التقدير والاكبار ؟

ابراهيم عبده

للمؤلف

الحيا الثانية		١٩٣٣
فى المصايف		١٩٣٤
فى السودان		١٩٣٦
تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية		١٩٤١
تاريخ الوقائع المصرية	طبعة بولاق	١٩٤٢
تاريخ الوقائع المصرية	الطبعة الثانية	١٩٤٢
تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية		١٩٤٤
أعلام الصحافة العربية		١٩٤٤
الحياة الثانية	الطبعة الثانية	١٩٤٤
تطور النهضة النسائية فى مصر بالاشتراك مع الدكتورة درية شفيق		١٩٤٥
تذكار طلعت حرب بالاشتراك مع الأستاذ على عبد العظيم المحامى		١٩٤٥
تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية	الطبعة الثانية	١٩٤٥

فهرس الكتاب

صفحة

فصل فى مراجع البحث

نجحت المحاولة التى حاولها المنشئون فى تاريخ الصحافة الأجنبية ، ذلك أنه كلما طال عهد أمة من الأمم بالصحافة والصحف استطاع المؤرخ أن يجود فى تاريخ صحافة هذه الأمة ، وقد اقترح أستاذى الجليل محمد شفيق غربال بك أن أحاول هذه المحاولة فى مصر وكان ذلك فى سنة ١٩٣٥ ، وقد نجحت المحاولة كما يخيل إلى فى ناحية من نواحى هذا التاريخ وتمكنت على قدر من تاريخ الصحافة المصرية فى عهد الحملة الفرنسية وتاريخ أم الصحف العربية فى الشرق كله وهى الوقائع المصرية وأجزت فى ذلك امتحان الماجستير . وقد أطمعنى عطف الأساتذة الممتحنين وأغرانى احتفاء الحكومة بنشر مؤلف عن صحيفتها (الوقائع المصرية) قمت بوضعه وأشرفت على إخراجه ، وشجعنى الأستاذ الجليل صاحب الاقتراح أن أمضى فيما بدأت ، وأكمل البحث بأصوله وفروعه ، ولقيت من عناية أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن عميد كلية الآداب السابق ما دفعنى إلى تحقيق الاقتراح والوصول إلى غاية فى تاريخ الصحافة المصرية ، كما أذكر بجزيل الشكر والتقدير ماقدمه لى أستاذى الدكتور محمود عزمى من رعاية فى تبويب وتنقيح فصول هذا البحث

وتعتبر دراسة هذا التاريخ دراسة لتاريخ مصر الحديث فى أوضح صوره ، دراسة الرأى وتطوره ، والفكرة وتعددها ، والمزاج وتباينه والغرض والاختلاف من أجله ، أى بمعنى أوضح مصاحبة الكيان المصرى ممثلا فى نظم الحكم والحكومات

المتعاقبة والجماعات الظاهرة والأفراد المفوقين ، منذ نشأ هذا الكيان على عهد الفرنسيين وحملتهم إلى أيامنا الحاضرة ، وهذا وضع من شأنه أن يفرض علينا الرجوع إلى مطولات الكتب والمحفوظات العربية والفرنجية ، والبحث فيما خلفته لنا الأجيال من الوثائق الرسمية والفردية سواء كانت عربية أو تركية أو فرنجية ، ثم تطبيق ذلك كله على ما جاء فى الصحف جيلا بعد جيل ، ومن هذا المزاج خلصنا إلى تاريخ للصحافة المصرية قسمناه إلى فصول وعرضناه هذا العرض الذى أرجو أن أكون قد وفقت إليه .

أما الكتب العربية التى رجعنا إليها فى هذا البحث فليس فيها كتاب يشمله أو ينصب عليه وحده ، وإن كانت هناك كتب عنيت بالصحافة المصرية ككتاب فيليب دى طرازى عن « تاريخ الصحافة العربية » ، وهو مؤلف عرض فيه صاحبه فى أجزائه الأربعة لتاريخ الصحافة عامة فى الشرق والغرب ، وقد نثر فى الجزأين الأول والثانى كثيرا من أخبار الصحافة المصرية ورجالها فى نشأتها الأولى ، فنجح فى ذكر بعض الحقائق التى لا تقوم تاريخا وإن كانت من مواده الأولية ، ثم أخطأ فى كثير من الحوادث وحمل الصحف أوصافا لم تكن لها وميز الصحفيين المصريين الذين عرض لهم بمزايا لم تؤثر عنهم ، وهو بذلك يعتمد على نشاطه الشخصى وتقديره الذاتى للحوادث والأخبار ، غير أن الجزء الرابع فى تاريخه جاء أقرب إلى الكمال من أجزائه الثلاثة الأخرى ، فقد نشر فيه أسماء الصحف المصرية ومواعيد صدورها منذ عرفت الصحافة فى مصر إلى سنة ١٩٢٩ وقد حرص على ذكر الصحف العربية وحدها ، كما أنه ظن فى مراجعته لوثائق إدارة المطبوعات المصرية أن الأمر بترخيص الجريدة أو الموافقة على إصدارها معناه ظهور الجريدة فى مصر ، وهذا غير صحيح . لأن كثيراً من الصحف المرخصة لم تصدر ولم تعرف المطبعة اسمه . ثم إنه أراد أن يكمل نقص إدارة المطبوعات فعاد إلى دار الكتب

المصرية ، وهنا اعتمد على البيان الذى قدم إليه من الدار المذكورة ، وهو بيان ناقص لأن بعض الصحف القديمة التى اشترتها الدار لم يكن قد رصد بعد فى سجلاتها كما أننى وجدت صحفا فى دار الكتب بالمصادفة أو بإيحاء من أصحاب التجارب القدماء . وقد اكتفى طرازى بهذا الجهد ، وأغفل مكتبة طلعت حرب باشا ومكتبة المجمع العلمى ، حيث تحفظ بعض الصحف القديمة التى خلت من نظير لها دار الكتب وأغفلتها سجلات إدارة المطبوعات . وقد حاول غير فيليب دى طرازى التخصص فى بحث هذا التاريخ أو علاج أمره فكتب الياس عطارة الحلبي كتابين أحدهما « تكوين الصحف فى العالم » سنة ١٩٢٦ والثانى « تاريخ تكوين الصحف المصرية » سنة ١٩٢٨ ، فأما الكتاب الأول فقد احتفل بأقوال العظماء وأحاديثهم عن الصحافة وقدرها فى حياة الشعوب ، وعنى الثانى بالصحافة المصرية عناية تشبه فى الإيجاز والتفصيل ما كتبه طرازى فى جزأيه الأولين ، غير أن عطارة الحلبي أرخ للصحافة المصرية المعاصرة لزمنه تاريخاً لحمته الغرض وسداه الإيحاء . ثم نشر كاتبان مؤلفا « فى الصحافة » هما يوسف محمد دسوقى ، من حملة شهادات التربية العالية ، ومحمد كامل دسوقى من المحامين . وقد عرضا لمعاونات الصحافة عامة ومعاوناتها فى مصر خاصة . كالمطبعة ومكتبة الصحيفة ثم ذكرا تاريخاً موجزاً لنشاطها والمحاولات التى بذلت فى سبيل النقابات الصحفية . وأشارا إلى بعض الصحفيين المعاصرين والصحف التى عالجوا فيها سياستهم . وقد اعتمدا على الاجتهاد الذاتى والملاحظات الشخصية .

ثم إذا فرغنا من المؤلفات التى اتصلت بالصحافه اتصالا مباشراً على الصورة التى شرحناها رجعنا إلى الكتب الكثيرة المتباينة التى كتبت باللغة العربية أو عربت عن مصر وتطور حياتها السياسية والفكرية . وقد نشرت فى آخر البحث ثبتاً لبعض منها . وهى كتب إن صدقت فى تقرير الوقائع والحوادث فقلما كانت تعرض للصحافة المصرية عرضا عميقاً أو تمسها مساً أصيلا ، وإنما كانت تذكرها عابرة

ولا تقف عندها أو تعنى بتفصيل لها . ومن خير الكتب التى رجعنا إليها من وجهة نظر وطنية كتب عبد الرحمن الرافعى بك فقد حرص المؤلف فى تاريخه عن الحركة القومية على الإشارة إلى الصحافة فى كل جزء من هذا التاريخ . وهى وإن كانت إشارات خفيفة لم يقف الرافعى عندها طويلا إلا أن فيها تقريراً صادقا لبعض حوادثها . وقد اعتمد الكاتب على الصحف نفسها فى تقرير وشرح هذه الحوادث وقد لاحظنا أن عنايته بالصحافة المصرية أخذت فى الوضوح منذ عالج التاريخ السياسى لمصر فى عهد إسماعيل إلى أيام مصطفى كامل ومحمد فريد . أما الكتب العربية الأخرى التى رجعنا إليها فقدكانت عنايتها بالصحافة دون عناية الرافعى بها وإن كان بينها كتاب سليم خليل نقاش « مصر للمصريين » الذى عنى بحوادثها ومحا كاتها خلال الثورة العرابية وبعدها . وكتاب محمود رشيد رضا عن « تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده » فى ثلاثة أجزاء حفلت بكثير من الوقائع التى تمس الصحافة المصرية من قريب كلما عرض المؤلف للأستاذ الامام فى المطبوعات أو فى الوقائع أو فى المنفى فى باريس . هذا إلى الكتب القليلة التى ذكرت بعض الفصول عن شئون الصحافة وهى تعرض للقوانين واللوائح ككتاب أحمد محمد حسن بك وإيزيدور فلدمان عن « مجموعة القوانين واللوائح المعمول بها فى مصر »

وقد رجعنا إلى ما كتبه المعاصرون أو المعنيون بهذه الشئون فى الصحف والمجلات المصرية عن الصحافة وتاريخها ، ومن أهم هذه الدوريات مجلة الهلال التى عنيت فى سنواتها الأولى بتأريخ بعض جوانب الصحافة المصرية فى أعدادها الأولى ، كذلك نشرت مجلة الأجيال لميخائيل بن أنطون بحثا فى سنة ١٨٩٧ عن « الصحافة فى القطر المصرى » وهو بحث ناقص ويشوبه كثير من الأخطاء التاريخية ثم أرخت مجلة الشباب سنة ١٩٣٦ فى مقالات متتابعة للأستاذ أمين عبده المحامى حوادث الصحف والصحفيين المصريين منذ بدأ الاحتلال البريطانى

لمصر وهى من أهم المقالات التى صورت صحافة ذلك الوقت من الناحيتين السياسية والاجتماعية .

أما الكتب الفرنجية التى بحثت موضوعنا فى شىء من التفصيل فن أهمها كتاب عن Le Juornal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique لمؤلفه G. Weill وهو من أحسن المؤلفات التى بحثت نشأة الصحافة الأجنبية وتطورها ، وأفادتنا فى المقدمة التى صدرنا بها هذا البحث ، ثم عرض Munier فى كتابه La Presse En Egypte (1799 - 1900) صورة حية للصحافة الفرنجية المصرية فى الفترة التى بحثها ، وهو من أدق الكتب لأن مؤلفه صاحب أهم عهود هذه الصحف وخبرها بنفسه وعمل فى بعضها وإن لم يعالج الصحف العربية إلا بإيجاز لا يغنى الباحث فى هذه الناحية . وقد نشر الدكتور محمد صبرى مؤلفا عن La Genèse de L.Esprit National Egyptien وهو يعنى فيه بتاريخ الصحافة المصرية وخاصة فى عصر الخديو اسماعيل ، وهو لا يصورها أو يشير إليها فقط بل يعتمد اعتماداً كاملا فى تحقيقه العلمى على ما نشرته هذه الصحف وهو فيما نعلم أول مؤرخ لناحية من نواحى النشاط المصرى يجعل من الصحافة الشعبية مرجعاً له وحجة يعتمد عليها ، فقد كان العهد بالاعتماد على الصحف وقفا على الوقائع المصرية وحدها

وإذا كان الدكتور صبرى قد نشر ملخصاً لا بأس به عن نشأة الصحافة الشعبية وأقر وجودها فى الحياة المصرية سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية فأن Baignières أرخ للصحافة الهزلية المصرية أجل تأريخ فى كتابه «L'Egypte Satirique» وهو يكتب صحيفة يعقوب بن صنوع صاحب مجلة (أبو نظارة) فى مصر وباريس وهو خير ما كتب عن يعقوب وخير ما كتب عن الصحافة الهزليه ، بل خير ما كتب عن الصحافة المصرية فى جانب من أهم جوانبها . ثم يعرض هارتمان فى كتابه «The Arabic Press of Egypt» للصحافة العربية المصرية متأثراً الطرق العلمية الصحيحة ، غير أن الحقائق فى بحثه كانت غير كاملة ، كما أنه قرر فى غير تحفظ أن النصيب الأوفر فى نشأتها يعود إلى المتمصرين وليس للمصريين حظ يماثل حظهم

من الدأب والاجتهاد فى جميع مراحل نشاطها، وقد وقف بنا إلى نهاية القرن التاسع عشر وقفة بدأ التاريخ الصحفى المصرى يأخذ بعدها صورة واضحة ملأت نشاط المصريين فى جوانب الحياة المصرية جميعاً، ثم يؤرخ قرياقص ميخائيل فى كتابه «Copts and Moslems Under British Control» للصحافة المصرية ونصيبها فى الخلاف القبطى الاسلامى. وهو يصور هذا الجانب تصويراً بديعا حقاً وإن كان الغرض فيه ظاهراً والغاية فيه معروفة، فهو شديد الميل إلى الصحافة القبطية بالطبع، يزرى بالصحف المصرية الأخرى سواء كانت صحفا إسلامية أو صحفا تميل إلى الجانب الاسلامى، ومن الكتب التى راقى فيها جهد صاحبها كتاب كمال الدين جلال وهو رسالة تقدم بها إلى إحدى جامعات المانيا عن «Entstehung Und Entwicklung der Tagespresse in Egypten» ويمتاز هذا الكتاب باعتماد صاحبه على الطرائق العلمية الحديثة، وقد وفق فى فصله الأول عن الصحافة خلال الحملة الفرنسية، غيرأن اعتماده فى تأريخ الصحافة المصرية كان قائماً على الكتب العربية والفرنجية التى أشارت إليها إشارات خاطفة، وهنا يخلو تاريخه من حقيقته المنشورة فى الصحف نفسها أو فى الوثائق المعروضة هنا وهناك.

وتخصص اثنان من المصريين فى علاج شئون الصحافة من وجهة النظر القانونية فتقدم أولهما — محمد فؤاد — إلى جامعة باريس برسالة عن «Le Régime de de La Presse En Egypte» وهى بحث سطحى غالب فيه العنصر الذاتى القواعد العلمية الصحيحة، وأنكر فيه كاتبه كثيراً من الوثائق والقوانين واللوائح التى تمس الصحافة منذ عرفت فى مصر إلى سنة ١٩١٢، ولم يعن إلا بعودة قانون المطبوعات فى سنة ١٩٠٩. ومع ذلك فقد خلت هذه العناية من العمق الذى رأيناه فى رسالة زميله عبد المجيد صادق رمضان التى نال بها درجة الدكتوراه من جامعة باريس فى سنة ١٩٣٥ عن «Evolution de La Législation Sur La Presse En Egypte» وهو هنا أفضل المراجع التى عدنا إليها فى دراسة تطور التشريع الخاص بالمطبوعات فى مصر، وخاصة الفترة التى بدأت بصدور قانون المطبوعات

المصرى فى سنة ١٨٨١ إلى سنة تقديم رسالته ، أما الفترة السابقة على هذا التشريع المصرى فيعتورها شىء من النقص مرجعه فيما نعتقد امتناع الوثائق عليه ، وهى الوثائق التى يحتفظ بها قسم المحفوظات التاريخيه بسراى عابدين ، وفيما خلا هذه الكتب التى عرضنا لها عدنا إلى الكتب الفرنجية المختلفة التى كتبت عن مصر من وجهة نظر أجنبية ، وهذه كتب عرضت عرضا خفيفا للصحافة المصرية والتزاماتها ومتاعبها ، وتكاد هذه الكتب تجمع - والكتب الانجليزية بالذات - على نقد الصحافة نقداً لاذعا ويمثل هذه المؤلفات Cromer فى كتابه « Modern Egypt » ، أما المراجع الأجنبية الأخرى فقلما كانت تعنى بهذا التاريخ ، ولم تذكر حوادثه إلا عرضاً .

وإذا كانت الكتب التى نشرت عن مصر الحديثة باللغات الأجنبية قد أشارت فى غير تفصيل وفى غير احتفاء إلى الصحافة المصرية فان الوثائق الرسمية وخاصة مكاتبات القناصل عنيت بأمور هذه الصحافة وأحداثها ، وكان أقل القناصل اعتناء بشئون الصحافة المصرية القنصل الأمريكى وإن اعتمد على لومونيتور أجيبسيان ونظيراتها من الصحف الشبه رسمية ، وكذلك كان شأن القنصلين الانجليزى والفرنسى فى الكتب الزرقاء والصفراء «The Blue Books و Livres Jaunes» غير أن المعتمد البريطانى بعد الاحتلال الانجليزى أفرد لنا فى تقاريره لحكومته فصولا قصيرة وطويلة ، تصور حياتها من وجهة نظر انجليزية ، وإن أصاب كاتبها أحيانا فى تقرير بعض مسائلها .

وقد عرض بعض المؤرخين للصحافة المصرية فى المجلات العلمية كيعقوب أرتين باشا فى مجلة المجمع العلمى سنة ١٩٠٥ حيث نشر بحثا لا بأس به عنوانه « Etude Statistique Sur La Presse Egyptienne » غير أن معظم ما كتب فى المجلات العلمية عن صحافة مصر كان خاصا بالصحف الرسمية وقد أشرنا إلى ذلك فى ثبت المراجع ، وأخيراً رجعنا فى تاريخ الصحافة المصرية الى الوثائق التركية والعربية ، وخاصة إذا اتصل البحث بالصحف الرسمية ، وباغفال هذه الوثائق ما كان للبحث أن يستقيم منذ نشأت الصحافة المصرية فى كنف الحكومة فى عهد محمد على

إلى أيام الخديو اسماعيل؛ وعن هذه الوثائق وضح لنا شيء كثير من جهد الحكومة وتقديرها للصحافة والصحفيين، وظهر لنا مدى العلاقة التي كانت تربط الدولة بالمطبوعات والصحف خاصة في عهدي سعيد واسماعيل، وقد أشرنا إلى هذه الوثائق في هوامش المتن كلما أعوزنا البرهان أو الدليل.

عرضت الكتب صورة للعصر وللتاريخ إجمالا، وحددت الوثائق العربية والفرنجية والتركية جانبا كبيراً من البحث، وخاصة ما اتصل منه بالصحافة الرسمية، ثم عدنا في آخر الأمر إلى الصحف نفسها، عربية وفرنجية. لنستكمل الحقائق من مصادرها الأولى، ولنؤرخ لهذا الموضوع من جدوله الأصيل، ولنزاوج بين الحقائق العلمية المنشورة في الكتب والوثائق الرسمية وبين الاتجاهات الصحفية المتباينة، ثم نستخرج من هذا كله الصورة الصادقة لتطور الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى اليوم، وقد نشرنا ثبتا في نهاية هذا البحث يشتمل على أسماء الصحف التي صدرت أو صدر بها الترخيص، واعتمدنا على الصحف الهامة منها في تصوير هذا التاريخ، وأشرنا إلى ذلك في مكانه.

ونختم هذا الفصل القصير بذكر الدور التي قصدناها لتطبيق بحثنا، وفي مقدمتها دار المحفوظات بالقلعة والمحفوظات التاريخية بسراي عابدين ودار الكتب المصريه والمجمع العلمي المصري ومكتبة جامعة فؤاد الأول ومكتبة وزارة الخارجية وإدارة المطبوعات المصرية ومكتبة طلعت حرب باشا، وكذلك وجب التنويه بالمساعدات القيمة التي تفضل بها المشرفون على هذه الدور فكان حرصهم على إبراز الحقائق لهذا البحث حرص العارف بقدر العلم، وهو حرص يشكرون عليه ويستوجب مني التقدير والاعتراف بالجميل.

مقدمة

لا يستطيع شعب من الشعوب المتحضرة أن يمضى حياته اليومية من غير صحف، هذه ظاهرة اجتماعية حديثة لا يمترى فيها أحد ، والصحافة فى ذاتها وسيلة لا غاية، اهتمت بها الحكومات الحديثة كما حرصت عليها شعوبها مهما تختلف هذه الحكومات ومهما تتفاوت هذه الشعوب فى إدراك حياتها السياسية وتناول شئونها الاجتماعية ، فالحكومة النازية أو الفاشية تحرص كما تحرص الحكومة الديمقراطية على هذه الوسيلة وتعمل على التمكين لها لأن وراءها غايات قد تتشعب ومآرب قد تتباين ، أما الوسيلة نفسها فقد فرضت وجودها على المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية جميعا بلا استثناء . وحظ مصر من هذه الوسيلة كحظ غيرها من الجماعات المتحضرة ، وكما دعت الحاجة إلى نشأة الصحف فى أوربا منذ عدة قرون ، كذلك أملت النظم الجديدة على مصر الحديثة أن تنشىء صحفاً تعددت أغراضها وتباينت أهدافها وان يكن عمرها لا يتجاوز قرنا وبعض قرن من الزمان للظروف السياسية والاجتماعية التى حالت دون النشاط الصحفى وأخرته عن أوربا زهاء ثلاثة قرون .

وقد عرفت الصحف فى أوربا بعد أن ظهرت الطباعة بفترة طويلة إذ اقتصر فن جوتنبرج خلال قرن على طبع أوراق الدفاتر وكراسات الأعمال التجارية وما إلى ذلك من الأشياء التى تمت إلى الحياة العملية ولا ترتبط بالصحافة والصحف ، غير أنه قد لوحظ فى تلك الفترة أن من بين الكراسات التى طبعتها المطبعة فى صدر عمرها كراسات تحمل الأنباء للناس ، والأنباء كما نعلم أهم عناصر الصحيفة ، وقد سبقت إذاعة الأنباء فن الطباعة ، فكانت تلقى فى أول الأمر مشافهة ثم مضى أصحابها

ينسخونها ، فلما عرفت الطباعة صارت تذاع بعد طبعها فى كراسات خاصة (١) ولم تكن إذاعة الأخبار المخطوطة من وظائف الحكومات بل تخصص بعض الأفراد لنسخ الأخبار الهامة ليقف على مضمونها النبلاء ، وكان لهذه الطريقة أهمية خاصة فى غضون القرن الخامس عشر فى إيطاليا ، وقد ساعدت الحياة الفكرية والتجارية والاجتماعية على نشاط هذه الطريقة الإخبارية ، فإيطاليا فى ذلك الوقت شعب راجت تجارته وزكت علومه ومعارفه وسيطر تفكيره على معظم أرجاء أوربا فكان طبعياً أن يتحسس نبلاؤه وأغنياؤه ومفكروه أخبار دويلات أوربا والبلاد الأجنبية خارج القارة بما يحمله التجار وما تنقله السفن من أحاديث وروايات ، فوجد أشخاص يحققون لهم هذه الرغبة ، وكان هؤلاء يدفعون ثمنها بسخاء ، وكانت البندقية قطب الدائرة ، دائرة العلوم والتجارة ودائرة الأخبار المنسوخة أيضا ولم يكن نشاط تجار الأخبار المخطوطة يقف عند البندقية بل كان لهم عملاء وحرفاء فى المدن الإيطالية والألمانية من التجار ورجال المال ، وقلد الألمان وغيرهم الإيطاليين فى هذه الصناعة الجديدة

وفى القرن السادس عشر ظهر الخبر المطبوع فلم يقض على الخبر المنسوخ وذلك لندرة المطابع أولا وهى فى أكثرها محتكرة من الحكومة أو رجال الدين ، كما أن ناشرى الأخبار المخطوطة كانوا قلة قادرة صقلتها المرانة فتمسكت بمستواها العالى فى أخبارها وأسلوبها ، وتبع ذلك تمسكها بعملائها وحرفائها ، ولما انتشرت الطباعة وأصبح الخبر المطبوع سهل النشر يسير التناول هبط مستواه ولم يعد يليق إلا بالعامة ، كما أن المطبوعات جميعاً كانت موضع رقابة خاصة من السلطات كما كانت موضع شكوكها وتضييقها ففضل العظماء الأخبار المنسوخة وهى أخبار لا تخضع لرقابة رقيب ولا يعنيها أكان فى الحكم سلطة استبدادية أم سلطة عادلة ،

---

(١) عرض لهذا الموضوع Georges Weill فى كتابه
Le Journal . Origines, Evolution et Rôle De La Presse Périodique

لذلك كانت أخبارها أصدق وأقرب إلى الحقيقة، ولهذه الصحف المخطوطة آثار فى المكتبة الأهلية بفينا وبعضها الآخر فى مكتبة الفاتيكان.

ولقد لقى مذيعو الأخبار من البابوات والحكومات المختلفة ضيقا وحرجا شديدين فصودرت أموالهم وبترت أيديهم وقطعت ألسنتهم ونصبت المخانق لكثير منهم، ولم يوهن نشاط مذيعى الأخبار المخطوطة والمطبوعة أو يفتر بالرغم من هذه القسوة التى ذكرنا بعض أمثلتها، واضطرت السلطات آخر الأمر إلى الرجوع عن هذه القسوة، بل جعلت تترضى بعض المخبرين المحترفين وتكلفهم العمل لحسابها فنفقت سوق هذه التجارة فى أوربا عامة وروما خاصة.

لكن الخبر المنسوخ لم يعمر طويلا بل أخذ يتقهقر أمام الخبر المطبوع، بانتشار الطباعة وتوسط ثمنه وتساهل الحكومات وتنازلها عن رقابته، فتلونت الأخبار وتباينت، وظهرت شعراً ونثرا، ولم تعد الأخبار وقفاً على الحوادث العادية المتواضعة بل كان للحروب والحوادث الطبيعية والمشاكل الدولية أثر فى ترويج هذه الصناعة بما كانت تذيعه المطابع من الأنباء المثيرة، كما عمدت بعض الأوراق الخبرية إلى نشر فيض من الحوادث المنقولة عن أوراق دول أخرى. وقد كبرت أوراق الخبر رويدا ثم حثيثا، فاذا هى دوريات تظهر كل ستة أشهر ثم دوريات تظهر كل شهر ثم كل أسبوع ثم كل يوم، وقد شهد القرن السابع عشر مولد هذه الدوريات جميعاً فى فرنسا وانجلترا، وفى غيرهما من البلاد الأوربية ومضت هذه النهضة قدما وعبرت البحار إلى أمريكا الشمالية، بينما مضى الشرق على عزلته وتزمته، فلم يعرف الطباعة إلا بعد أن غرقت أوربا فى الكتب المطبوعة والصحف السيارة فى المدن والمقاطعات المختلفة.

وكان من الأمور الغريبة حقا ألا تشارك مصر دويلات أوروبا فى تقدير الطباعة وتكريم الصحافة، وألا تمر بها الأدوار الصحفية التى مرت بأوروبا، وأن تكون آخر بلاد الشرق الأدنى معرفة بالمطبعة وأقلها احتفالا بها، ذلك لأن مصر أبقت على تراث فكرى كاد يندثر بسقوط الدولة العربية وتفرق كلمتها وقد حملت

علم النهضة ولم يقف نشاطها فى العلوم والفنون بالرغم من غشاوات الجهل التى أعمت بعض حكامها وبالرغم من نوبات الفتور التى مست الحياة الفكرية المصرية آنا بعد آن منذ عهد الفاطميين إلى أيام المماليك البحرية والبرجية (الشراكسة) وقد ظهر فيها كثير من العلماء والأدباء والمؤرخين كالقلقشندى وابن هشام وابن خلكان وابن تغرى بردى وغيرهم من فطاحل العلم والتاريخ . وقد اتصلت مصر فى عصورها الوسطى بممالك البحر الابيض المتوسط وجنوب أوربا وجمهورياته الهامة للمتاجرة معها ، وكانت مصر واسطة العقد بين الشرق والغرب وكان يرجى لها التوفيق إلى كل جديد تعرفه أوربا فى ذلك الوقت ، غير أن جمهورية البندقية وغيرها من البلاد الأوربية كانت تتهيأ لاستقبال النهضة الحديثة ، وفى هذه الفترة عرفت الطباعة فى مدن إيطاليا والمدن الحرة الأخرى . وكان الأمل واسعا فى أن يستفيد أعظم عملاء أوربا من هذا الحدث الجديد لو استمر الاتصال قائما وعرف المصريون قدره ، غير أن مركز مصر قد تدهور بعد كشف رأس الرجاء وسلوك التجارة سبيلها عن طريقه ، فانقطعت الصلة بين مصر وعملائها إلى حد بعيد ، وأقفلت الأبواب دون الاحساس بخطر المطبعة زهاء ثلاثة قرون كانت مصر قد بلغت فيها من التقهقر والاضطراب مبلغا تقوضت فيه دعائم الحياة السياسية والاقتصادية ، وانطفأت الذبالة الباقية من حضارة الأمس ، وشغلت بنزوات حكامها وقاست من جهلهم وعسفهم ما قاست حتى انقطع ما بينها وبين كل جديد من أسباب ، وأهمل شأن المدارس والتعليم وبيعت الكتب وانتهبت ، وتخربت دور الفن وعماراته ، وكانت مصر آخر من عرف المطبعة بين دويلات السلطنة الهامة .

ooo

وإلى أوربا يرجع الفضل فى صناعة الحروف الشرقية والعربية ، عنوا فى أول الأمر باللغة العبرية وحروفها لأنها لغة الإنجيل والتوراة ، وقاموا بنشرهما فى إيطاليا ، ثم مضوا ينشرون كتباً دينية مختلفة ، ثم اتجهوا إلى العلم فنشروا باللغة العربية بعض كتبه . وفى مستهل القرن السابع عشر احتدمت المنافسة بين روما وباريس وليدن

ولندن على طبع الكتب العبرية والعربية ، وأحس الشرق هذه المنافسة فجلب اليه الطباعة من الغرب ليقوم هو أو يساهم على الأقل فى نشر آثاره وتعاليمه ، وقد أوحت بذلك أيضاً الفكرة الدينية ، لذلك بدأت المطبعة فى الشرق أول ما بدأت تنشر كتباً دينية باللغة العبرية ثم كتبا أخرى باللغة العربية ، وتخلصت أخيراً من الاتجاه الدينى ، ومضت تذيع المؤلفات والتراجم العلمية والأدبية .

ولقد سبقت الآستانة جميع بلاد الشرق فى معرفة الطباعة ، وإلى اليهود يعود الفضل فى نشر هذه الصناعة ، فقد أنشأ احدهم مطبعة عبرية فى عاصمة الخلافة لنشر كتبهم وتعاليمهم الدينية ولتغنيهم عن المخطوطات التى كانت تكلفهم أجراً كبيراً وجهدا عسيرا ، وكان ينشر هذا اليهودى بين آن وآخر كتباً فى التاريخ والعلوم بجانب كتب الدين اليهودى وتعاليمه ، وقد بدأ عمله هذا فى أواخر القرن الخامس عشر (١) . ولم تعرف الآستانة الحروف العربية إلا فى أواخر القرن الثامن عشر أى بعد أن قطعت المطبعة العبرية من وجودها فى الشرق زهاء قرنين من الزمان ، وقد نشط اليهود فى بلدان الشرق الأخرى فأنشأوا المطابع هنا وهناك

أخذت الطباعة تنتشر فى بلاد الشرق الأدنى ، وقد بدأت كما رأينا فى الآستانة وحروفها عبرية ، غير أن هذا الشرق ولغته الفضلى اللغة العربية ، عنى عناية خاصة بحروفها ، فأنشأ أحد البطارقة مطبعة عربية فى حلب فى أوائل القرن الثامن عشر حوالى سنة ١٧٠٢ وقيل إن حروفها من بخارست (٢) وهى أول مطبعة عربية فى الشرق ، ثم أنشئت فى الآستانة المطبعة العربية الثانية ، وقد لقى إنشاؤها عنتا شديدا من الحكومة ورجال الدين فقد أفتى العلماء بأن المطبعة رجس من عمل الشيطان ! إلى أن قيض الله لها بعض المصلحين ، واستطاع الصدر الأعظم بمعاضدة بعض هؤلاء العلماء أن يستصدر من السلطان فرمانا عاليا موقعاً عليه بالخط الشريف فى

---

(١) مجلة المشرق السنة الثالثة عدد ٤ ص ١٧٥ وعدد ٦ ص ٢٥٤ — ٢٥٥

(٢) Schnurrer . المطبوعات العربية ص ٢٧٠

سنة ١٧١٢ بالأذن لسعيد أفندى (وقد صار صدراً أعظم فيما بعد) بإنشاء المطبعة وطبع جميع أنواع الكتب إلا كتب التفسير والحديث والفقه والكلام (١) . ثم عرفت الطباعة العربية فى قرية الشوير من أعمال لبنان فى دير من أديرتها المعروفة حوالى سنة ١٧٣٢ (٢) . وقد نافس الأرثوذكس أصحاب الشوير من الكاثوليك وأنشأوا ببيروت مطبعة عربية قلدوا فيها حروف مطبعة الشوير سنة ١٧٥٠ .

فى أصغر القرى عرف بعض أمم الشرق المطبعة على حين جهل المصريون هذا الفن ، إلى أن جاءت الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ فعرضت بين بضاعتها مطابعها العربية واليونانية والفرنسية، وقد ناسب نشاط المطبعة الفرنسية قدر الحملة ، فلم تعمل مطابع الفرنسيين على غرار المطابع الشرقية الأخرى بحيث يكون جهدها منصبا على نشر الكتب والتعاليم الدينية وحدها بل كان الاحتلال الفرنسى يرمى إلى أشياء هامة من وراء مطابعه ، فقد بدأت عملها قبل أن يبدأ الجيش عمله ، نشطت وهى فى البحر والحملة فى طريقها إلى مصر ، فأعدت المنشورات العربية وأذاعت أوامر القائد العام ، ففيها إذن جزء للدعاية وجـــزء آخر للأوامر الادارية والحكومية ، حتى إذا استقرت فى مصر فتحت صدرها للكتب المؤلفة والمترجمة لعلماء الحملة وأدبائها ، ثم أضافت إلى ذلك شيئا جديدا لم تعرفه مطابع الشرق الأدنى ، وتفردت به مصر أول الأمر ، وكانت بمعرفته سباقة لبلاد الشرق جميعا ، ذلك إخراج الصحف ، فعن طريق هذه المطابع عرفت مصر الصحيفة ، أو الدورية فى صورتها الكاملة ، ومنذ ذلك الوقت يستطيع المؤرخ أن يحدد نشأة الصحافة فى مصر(٣)

أنشأ الفرنسيون صحيفتين فى مصر ، إحداهما يقال لها لوكوريه دوليجيت Le Courrier De L' Egypte والثانية يقال لها لاديكاد أجيبسين La Décade

(١) تاريخ جودت اس ٨١ — ٨٤

(٢) De La Ropue - Voyage au Liban et Syrie . Paris 1719

(٣) راجع تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية للمؤلف ـ القاهرة ١٩٤١

Egyptienne ، فتاريخ إنشاء الصحف فى مصر إذن يجب أن يحدد بالحملة الفرنسية ولا يجوز للمؤرخ أن يحدد تاريخ الصحافة المصرية بانشاء هاتين الصحيفتين ، لأنهما صحيفتان أجنبيتان وان ظهرتا فى مصر ، وإذا كان لكل صحيفة فكرة ولكل جريدة هدف وغايه ، فأهداف هاتين الدوريتين تجعلنا نقرر

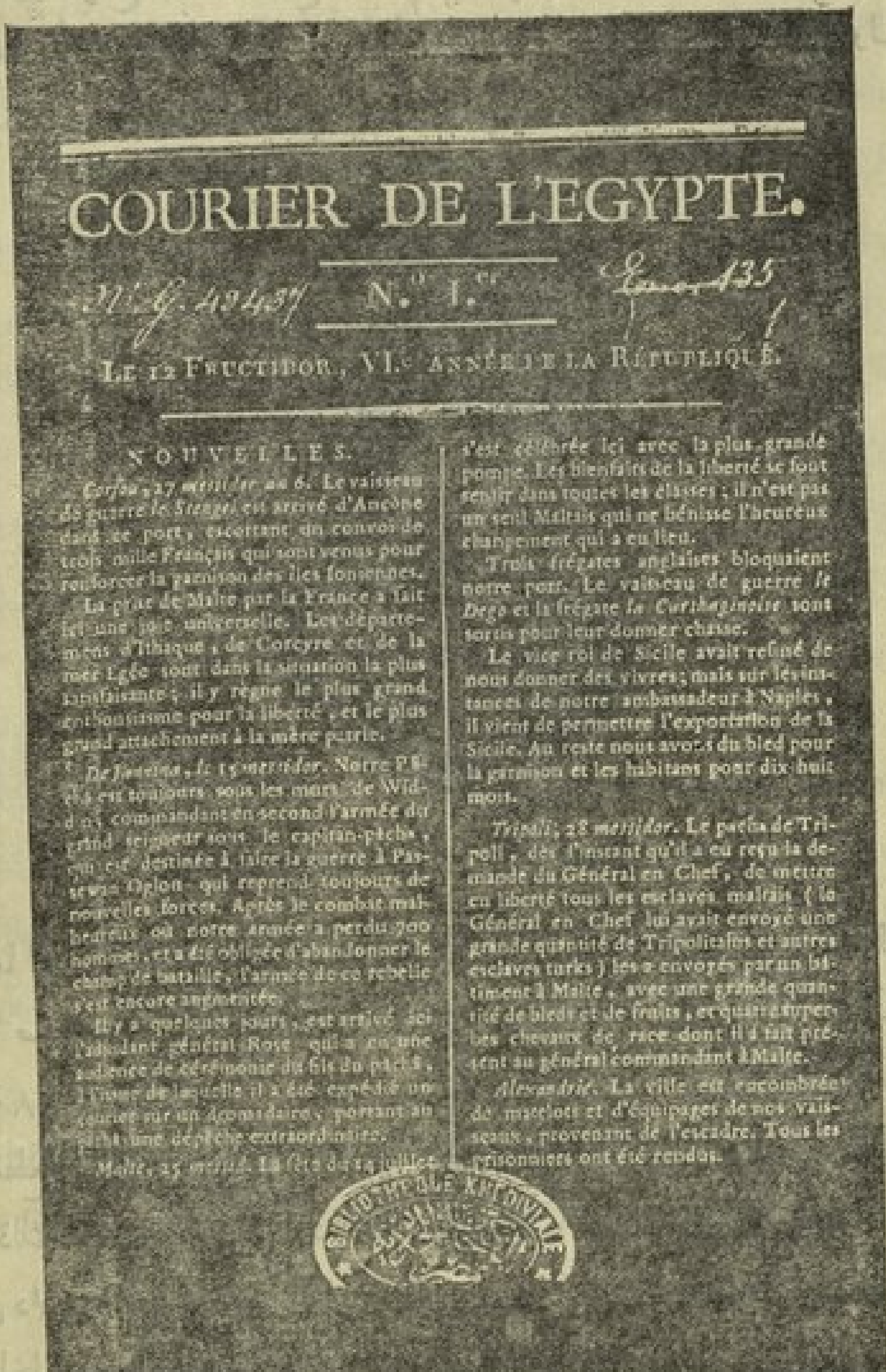


الجنرال بونابرت أول من أنشأ صحفا فى مصر

أنهما ليستا من الصحافة المصرية فى شىء اللهم إلا المكان الذى صدرتا فيه وهو القاهرة

صدرت جريدة لوكوربيه بعد الاستيلاء على القاهرة مباشرة فى ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٨ (فريكتيدور سنة ٦ جمهورية) فى حجم كتاب وسيط باللغة الفرنسية وتقطع اللغة التى صدرت بها لوكوربيه الصلة التى بينها وبين المصريين ، فالمصريون فى ذلك الوقت لم يكن لهم بهذه اللغة ولا بأصحابها عهد موصول لأسباب لا تغيب عن دارس هذه الحقبة من التاريخ المصرى ، حملت هذه الصحيفة أخبار مصر الداخلية وهى الأخبار المحلية فى القاهرة والأقاليم ، وكان القصد من نشر هذه الأخبار أن يعرف الفرنسيون فى القاهرة ما يجرى لدى زملائهم فى ريف مصر وأقاليمه حيث توزعت فصائل الجيش الفرنسى ، وفى ذلك يقول الجبرتى إن «القوم

كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم



COURIER DE L'EGYPTE.

N.^o I.^er

Le 12 Fructidor, VI.^e année de la République.

NOUVELLES.

Corfou, 27 messidor an 6. Le vaisseau de guerre *le Stengel* est arrivé d'Ancône dans ce port, escortant un convoi de trois mille Français qui sont venus pour renforcer la garnison des îles Ioniennes.

La prise de Malte par la France a fait ici une joie universelle. Les départements d'Ithaque, de Corcyre et de la mer Egée sont dans la situation la plus satisfaisante; il y règne le plus grand enthousiasme pour la liberté, et le plus grand attachement à la mère patrie.

De Janina, le 15 messidor. Notre Pâcha est toujours sous les murs de Widdin, commandant en second l'armée du grand seigneur sous le capitan-pacha, qui est destinée à faire la guerre à Passwan Oglou qui reprend toujours de nouvelles forces. Après le combat malheureux où notre armée a perdu 700 hommes, et a été obligée d'abandonner le champ de bataille, l'armée de ce rebelle s'est encore augmentée.

Il y a quelques jours, est arrivé ici l'adjudant général Rose qui a eu une audience de cérémonie du fils du pacha, à l'issue de laquelle il a été expédié un courier sur un dromadaire, portant au pacha une dépêche extraordinaire.

Malte, 25 messid. La fête du 14 juillet s'est célébrée ici avec la plus grande pompe. Les bienfaits de la liberté se font sentir dans toutes les classes; il n'est pas un seul Maltais qui ne bénisse l'heureux changement qui a eu lieu.

Trois frégates anglaises bloquaient notre port. Le vaisseau de guerre *le Dego* et la frégate *la Carthaginoise* sont sortis pour leur donner chasse.

Le vice roi de Sicile avait refusé de nous donner des vivres; mais sur les instances de notre ambassadeur à Naples, il vient de permettre l'exportation de la Sicile. Au reste nous avons du bled pour la garnison et les habitans pour dix huit mois.

Tripoli, 28 messidor. Le pacha de Tripoli, dès l'instant qu'il a eu reçu la demande du Général en Chef, de mettre en liberté tous les esclaves maltais (le Général en Chef lui avait envoyé une grande quantité de Tripolitains et autres esclaves turks) les a envoyés par un bâtiment à Malte, avec une grande quantité de bleds et de fruits, et quatre [?] des chevaux de race dont il a fait présent au général commandant à Malte.

Alexandrie. La ville est encombrée de matelots et d'équipages de nos vaisseaux, provenant de l'escadre. Tous les prisonniers ont été rendus.

جريدة لوكوريه دوليجيبت

ثم يجمعون المتفرق فى ملخص يرفع فى سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم » (١) . فهدف لوكوريه إذن هو الجنود الفرنسيون أو الجالية الفرنسية التى ينبغى أن تتعرف عن طريقها أخبار مصر وشئونها فقد انقطعت الصلة بين فرنسا وجنودها فى مصر ، وهذه حقيقة يعلمها قادة الحملة وأعلامها ، لذلك هيأوا هذه الصحيفة لجنودهم ، على أن تنشر بين آن وآن أخبار فرنسا التى تجيئها خلسة بالرغم من حصار الأسطول الانجليزى للشواطىء المصرية (٢) كما أنها لم تغفل أنباء سوريا وفلسطين وأخبار أوربا مطولة أو مختصرة . على أنها فى هذه الأنباء جميعا كانت تخضع لامتحان من الرقابة الشديدة (٣) . وأضافت هذه الصحيفة كثيراً من القصص الغريبة عن مصر ترفيهاً لقرائها وتسلية لهم ، وكانت اعلاناتها جميعا بلا استثناء اعلانات تهم الفرنسين وحدهم .

وصدرت لاديكاد اجيبسين فى أول أكتوبر سنة ١٧٩٨ (فاندميير ٧ جمهورية) وحمل العدد الأول منها افتتاحيته ، وهى تقرر اتجاه الصحيفة وهدفها ، فهى صحيفة علمية لدراسة شئون مصر ، ونشر المسائل الخاصة بالحياة المصرية ، اجتماعية وأدبية واقتصادية ، وهى صحيفة المجمع العلمى المصرى ، وهو جماعة من علماء الحملة الفرنسيين ليس بينهم مصرى ، فهى بمعنى أوضح وثيقة رسمية أو سجل لنشاط الحملة العلمى ، تصدر فى القاهرة للفرنسيين المقيمين فيها الذين يعنيهم من شئون الأدب والاقتصاد أكثر مما يعنيهم من شئون الحرب أو أخبار المدن والأقاليم وصور الحياة المصرية العارضة .

ويستطيع المؤرخ للصحافة المصرية أن يحكم فى اطمئنان بأن الجريدتين

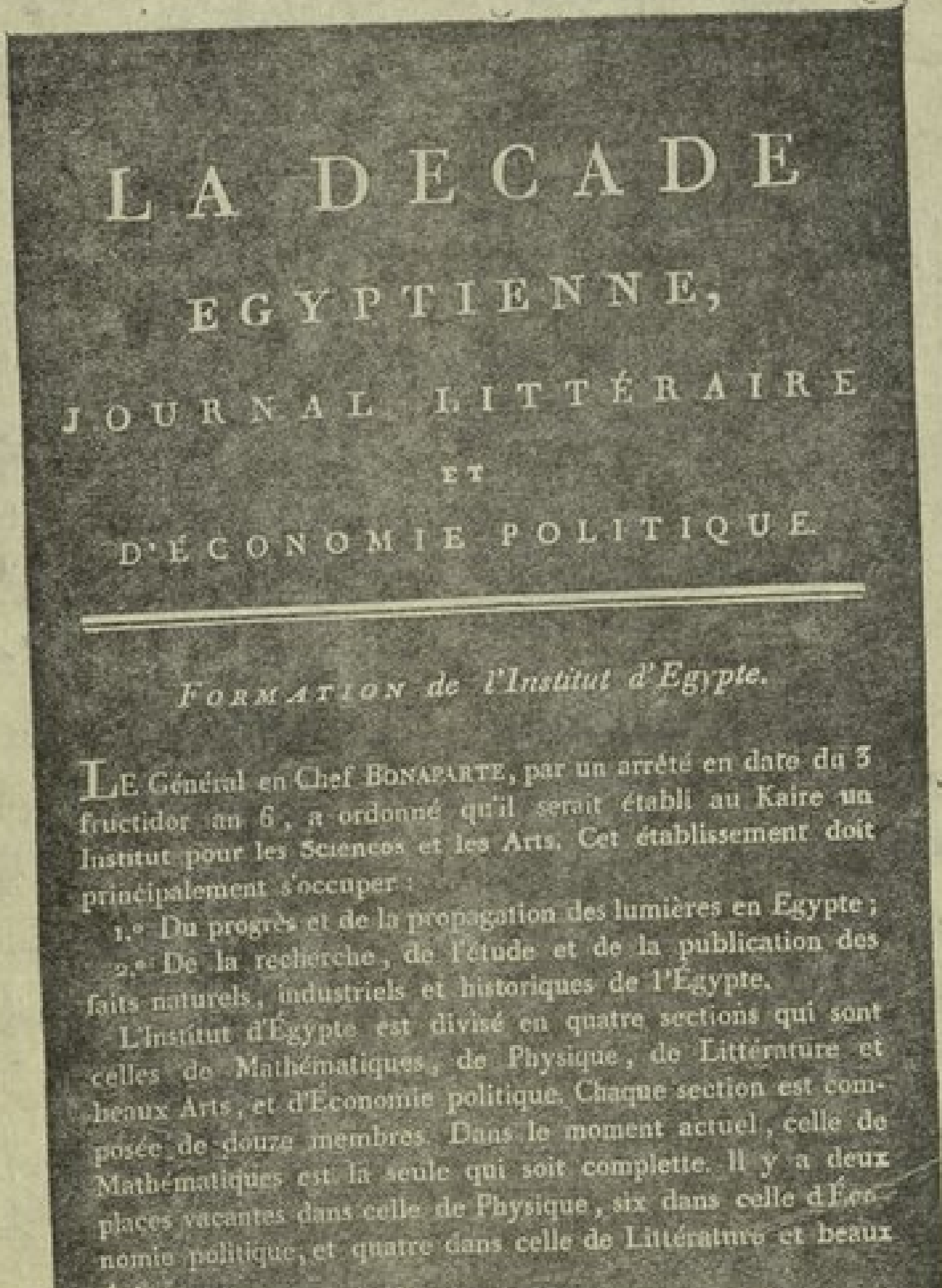
---

(١) الجبرتى — عجائب الآثار ج٣ س ٢٥٤

(٢) Canivet, Bull de L'Inst, Egypt.1909. p, 15, 16

(٣) Charles - Roux, Bon.Gouverneur d'Egypte. Paris 1936 p 145

الفرنسيتين اللتين صدرتا فى القاهرة خلال الحملة الفرنسية لا تمثلان الصحافة المصرية فى شيء، ولا تعتبران دعامة لها، وقد شرحنا مبلغ ما فى تقرير هذه الحقيقة من قوة



LA DECADE EGYPTIENNE,

JOURNAL LITTÉRAIRE ET D'ÉCONOMIE POLITIQUE.

FORMATION de l'Institut d'Egypte.

LE Général en Chef BONAPARTE, par un arrêté en date du 3 fructidor an 6, a ordonné qu'il serait établi au Kaire un Institut pour les Sciences et les Arts. Cet établissement doit principalement s'occuper :

1.° Du progrès et de la propagation des lumières en Egypte ;

2.° De la recherche, de l'étude et de la publication des faits naturels, industriels et historiques de l'Égypte.

L'Institut d'Égypte est divisé en quatre sections qui sont celles de Mathématiques, de Physique, de Littérature et beaux Arts, et d'Économie politique. Chaque section est composée de douze membres. Dans le moment actuel, celle de Mathématiques est la seule qui soit complette. Il y a deux places vacantes dans celle de Physique, six dans celle d'Économie politique, et quatre dans celle de Littérature et beaux Arts.

N.° 1. 1.er *trimestre, AN 7.* B

صحيفة لاديكاد اجيبسين

وصدق ، وإنما هما صحيفتان أنشأتهما الظروف وحدها ، وهى ظروف بعضها طارىء كما حدث فى إصدار لوكورييه ، وبعضها عرف عن تصميم سابق أدلته هذه الجماعة الضخمة من العلماء والأدباء والشعراء التى صحبت الحمله لتبحث وتنقب وتدرس وتقرر وتثبت هذا كله فى مجلة حتى لا يفوت بونابرت فضل غزو الحياة المصرية بدراسة تاريخها وآثارها وأمراضها وإنتاجها كما كان يرجو غزو مصر وتثبيت العلم الفرنسى فيها ، وقد نجح فى الأولى وأخفق فى الثانية .

ولم يحاول بونابرت إنشاء صحيفة عربية فى الوقت الذى أنشأ فيه الصحيفتين الفرنجيتين ، وهى أجدى عليه وعلى صحبه من جند ومدنيين وعلى فرنسا نفسها فى توجيه المصريين وتعميم الحضارة الجديدة التى حملها معه إلى وادى النيل ، وهو يكاد يؤمن بهذه الفكرة ، فكرة الصحيفة العربية فقد جعل من المطابع العربية إحدى الوسائل التى تصله بالمصريين بما كان يذيعه من منشورات على الجماهير المصرية « فى مفارق الطرق ورؤس العطف وأبواب المساجد »(١) ، ولم تساعده المطبعة العربية فى الاتصال بالمصريين وحدهم ، بل كثيراً ما طبع لأمراء الحج وزعماء العرب وغيرهم فى الشرق الأدنى المنشورات والكتب ليكفوا عن قتاله ويصلوه بالود والمعروف (٢) وقد كان يستطيع أن يستغنى عن هذا كله بصحيفة ينشرها فى مصر فيقرؤها المصريون ويوزعها فى البلاد الشرقية ويضمن بها داعيه لا ينكر أثره ، وأكبر الظن أن ظروفه الحربية وافتقاده المعاونين من المصريين ، حال كل ذلك دون تحقيق هذه الفكرة الجميلة . فلما تولى الجنرال منو مكانه ، وكان قد أشهر إسلامه وأذاعه بين المصريين خيل إليه أن أمور مصر قد استقرت له ، وأن عليه أن يقارب بين أفكار المصريين والفرنسيين ، وقد رأى دعاة السوء يحاولون إفساد ما يعمل له من تمكين الصلة بين الشعبين ، فاستوضح من صديقه دجنت (Desgenettes) كبير أطباء الحملة أمر الاضطراب الذى يسود العلاقات المصرية الفرنسية فاقترح عليه هذا

---

(١) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ ج ٣ ص ١٩

(٢) الجبرتى عجائب الآثار ـ ج ٣ ص ٤٩

إنشاء جريدة عربية تكون لسان الحكومة ويشرف عليها جماعة من الفرنسيين المستشرقين وبعض سراة المصريين ، وتوظف هذه الجريده فى تنوير عقول العامة الذين يعدون الاصلاح الفرنسى فى مصر خرافة من الخرافات . فأمر منو باصدار جريدة التنبيه (L, Avertissement) فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٠٠ (فريمير سنة ٩ جمهورية) على أن توزع فى جميع أنحاء القطر المصرى وفى بلاد اليمن والشام وداخل أفريقيه ، وتقوم المطبعة الأهليه بنشرها ، ويعين أمور النشر فيها علماء الديوان حتى لا ينشر ما قد يفسد الغاية منها أو يسىء إلى التقاليد والعادات المتبعة فى مصر ، على أن يشرف على تحريرها الشيخ الخشاب أحد أعلام الأدب فى ذلك الوقت وسكرتير الديوان ، فتكون صحيفة إخبارية تنشر أنباء الحكومة وحوادث الديوان المصرى ، وتذيع بعض الحوادث الأوربية والأسيوية العامة كما تعنى بالأدب والفنون والعلوم ، ويكون مراقبها العام رئيس إدارة العدل فى مصر



الجنرال منو أول من فكر فى انشاء صحيفة عربية فى مصر

ويعنينا من أمر هذه الجريدة أنها لو صدرت لكانت بحق أم الصحف المصرية جميعا غير أن الأمل المعقود بظهورها لم يتحقق لأن الظروف المحيطة بمصر إذ ذاك لم تسمح باخراجها فبقى مرسوم إنشائها معطلا ولم يعمل به (١)

(١) تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية للمؤلف ص ٩٧ — ١٠٨

الفصل الأول

نشأة الصحافة الرسمية

ولى محمد على شئون مصر فى سنة ١٨٠٥ فى جو لم يعرف الولاة العثمانيون له شيها من قبل . فقد كان للشعب المصرى دخل فى هذه التولية فهو الذى طلبها وألح فى طلبها وأقر السلطان هذه الرغبة الشعبية فآذنت هذه الحالة الجديده بكتابة صحفة جديدة فى تاريخ مصر ؛ ومضى الوالى الجديد يرتب أموره على هذه الحقيقة التاريخية أى أنه ربط مستقبله وحياته بمستقبل مصر وحياتها ، ولم تستطع أساليب الدس فى الآستانة ولا مشاكل الارناءود فى القاهرة أن تحول دون ولاية محمد على لمصر سنة بعد أخرى . ثم قامت الأزمات بين السلطان وواليه وتدخلت الدول العظمى لتصفية الأزمة المصرية التركية تصفية نهائية فى سنة ١٨٤٠ وقررت لمحمد على ما أقره المصريون من قبل وجعلت له ملك مصر مدى حياته على أن يليه مَن بعده أعقابه جيلا بعد جيل

شهدت مصر قبل ولاية محمد على احتلالا أجنبياً مهما يكن أمره فقد برق فى حياة المصريين وشغلهم بجديد لم يكن يعرفه الشعب المصرى سواء فى الإدارة العامة أو فى تفاصيل الحياة المصرية المتباينة وأصبحت البلاد فى مفترق الطرق بعد هذا الاحتلال ، يعوزها الاستقرار حتى تتبين ما كان ينوى الفرنسيون صنعه ، لذلك لم تختلف كثيراً الأساليب التى اتبعها محمد على عن الأساليب التى فرضها الاحتلال الفرنسى ومن هنا نشأت حاجته إلى الفرنسيين فاستعان بهم لإنشاء مصر الحديثة

وقد قطعت الحوادث التاريخية فى عهد محمد على بأنه كان مجدداً لمصر فى جميع

ماصنع فى إدارته لها ، وأنه كان يدعم نظامه الجديد بما يمكنه من التقدم ويهيء له أسباب النضج والاستواء فقد رأى تنظيم مصر إدارياً فى سنة ١٨١٣ فقسم كل مديرية إلى أقسام وعين لكل قسم ناظرا ولكل مديرية أو مديريتين مأموراً أو متصرفا (١) وذلك توطئة للعناية بأهم المصالح المصرية وهى الزراعة فأنشأ ديوانها بعد التنظيم الإدارى بسنتين (٢) واستتبع ذلك حفر الترع (٣) وإنشاء الفابريقات (٤) . فالتنظيم الإدارى تدفع اليه رغبة فى تسهيل عمارة القطر وتقدم زراعته ، (٥) ولم يكن الباشا يرحم عاملا أو موظفاً يسيء إلى مصالح الإدارة أو الزراعة ولا يقبل تعلة أو اعتذاراً بل يدفن المهمل حياً فى الأرض التى أهملها أو فى المصنع الذى أساء اليه ليكون عبرة لأقرانه الأحياء . فهو يريد بذلك أن تنظم حسابات الأقاليم والمصالح وشئونها الإدارية بحيث يقدم اليه ملخص عنها فى نهاية كل شهر أو فى نهاية كل سنة ، أو فى فترات أقل من الشهر والسنة ، وهى طريقة جديدة فى نظام مصر الإدارى والمالى ، يعرف بها الباشا حال البلاد آنا بعد آن ، وكان هذا الملخص يقدم له كتابة فى صورة تقرير يقال له (الجرنال) . وقد رأى محمد على أن أمدة الشهر والعام قد تخفى عليه ما يجب أن يظهر ، وقد تجعل هذه المدة قصرت أو طالت مجالا للعب عماله وتكاسلهم (٦) فأصدر أمراً بأنه « فى اليوم الأخير من كل أسبوع ترد إلى جنابه العالى كشوف الأقاليم البحرية والقبلية بمقدار المال المتحصل وكميات الغلال والأصناف الأخرى حيث يعلم منها نشاط المأمورين أو تكاسلهم » وتبين له بعدئذ أن من الأمور ما لا يحتمل الانتظار

---

(١) و (٢) امين سامى باشا تقويم النيل ج ٢ ص ٢٤٦ وص ٢٥٧

(٣) تقويم النيل ج ٢ ص ٢٦١

(٤) محفوظات عابدين دفتر ٣ معيه تركى أمر رقم ١٧٢ فى ٥ ربيع الاول عام ١٢٣٤ هـ

(٥) محفوظات عابدين دفتر رقم ٣ معية تركى أمر رقم ٣٢٠ فى ١٣ جمادى الآخرة لعموم جهات القطر المصرى بتفسير قسمة القطر إلى أقسام

(٦) محفوظات عابدين دفتر ٧٤٧ خديوى تركى وثيقة رقم ٣٦ نمرة ١٢٤٤ هـ من الجناب العالى إلى حبيب افندى مأمور ديوان الخديو .

سبعة أيام ، فأصدر أمره بجواز عرض « الجرنالات يوميا أو فى أى ساعة إلى الباشا للنظر فى الشئون المستعجلة » (١)

وهذه التقارير التى كانت ترفع اليه فى كل عشرة أيام أو فى الفترات الأخرى التى عينها وحددها كانت تطبع فى مطبعة القلعة وتقدم اليه بعد طبعها ، وقد أنشأ لذلك « ورشة مخصوصة بطرفه كاعين كتابا مخصوصين » (٢) ويضم هذا الديوان الكبير نخبة من الكتاب الذين يجيدون اللغتين العربية والتركية (٣) وكان محمود افندى « جرنال ناظرى » أى ناظر التقارير التى ترفع للوالى يستقبل تقارير الأقاليم ويعدها للعرض على الباشا حيث يقضى فيها بأمر ما (٤) وكان للمدن المصرية الكبيرة دواوين على غرار الديوان الرئيسى فى القاهرة ، يرأسها ناظران عامان للتقارير ، أحدهما فى الوجه القبلى والثانى فى الوجه البحرى يتلقيان أخبار المدن والاقاليم ، كل فيما يخصه ثم يرسلانها إلى القاهرة (٥) ، وفى القاهرة يتولى ديوان الجرنال العام بحثها وتبويبها وعرضها على الباشا ، ثم يبلغ قرار الوالى إلى المجالس وما إليها (٦)

إنتظمت أمور الجرنال وتشعبت مواده ، بعد أن قامت المطبعة مقام النسخ ، لذلك حرص عليه الباشا حرصاً شديداً ، فكان إذا رأى تهاونا فى إصداره أو تكاسلا فى إخراجه اعتبر ذلك خللا « للمصلحة » إذ « أن فائدة الجرانيل هى مطالعتها وتحرير

---

(١) محفوظات عابدين . أمر كريم فى ٩ شوال عام ١٢٥١ هـ ص ٦ مجموع ترتيبات ووظائف

(٢) أمر من محمد على فى ٢٤ المحرم سنة ١٢٥٢ هـ

(٣) محفوظات عابدين دفتر رقم ٧٤٠ ديوان خديوى تركى وثيقة رقم ٣١ فى ٦ رمضان عام ١٢٤٣ من ديوان الخديوى إلى ناظر التقارير .

(٤) محفوظات عابدين دفتر رقم ٣٠ معية تركى وثيقة رقم ٢ فى ٣ رمضان عام ١٢٤٣ هـ من الجناب العالى إلى محمود افندى

(٥) محفوظات عابدين دفتر ٧٤٨ خديوى تركى وثيقة رقم ٢١٥ فى ٤ جمادى الثانية ١٢٤٤ هـ

(٦) محفوظات عابدين دفتر ٧٤٠ ديوان خديوى تركى وثيقة رقم ١٢٢ فى ٨ ذى القعدة عام ١٢٤٣ هـ من ديوان الخديوى إلى الافندى ناظر التقارير

الاستعلامات بما يلزم للاجابة عنها فى وقتـه ، لذلك يعاقب الباشا موظفى الجرنال المهملين منهم فيجازيهم «كنص القانون بالضرب ٣٠٠ نبوت ، إذ أن اضطراب نظام الجرنال ، قد أوجب اغبرار خاطره ، ثم يقول فى حاشية أمره ، ان عدم تقديمهم الجرنال حال بينه وبين معرفة معاملتهم للعباد وأن لا يليق تأخير المصالح لأجل راحة أنفسهم وبقاء عباد الله فى التعب فيلزم المبادرة لترك برزخ الاستراحة وإرسال الجرانيل فى أوقاتها المقررة » (١)

إستمرت الأقاليم والدواوين ترسل إلى ديوان الخديو أخبارها وملخصاً وافيا عن أحوال البلاد الزراعية والإدارية الأخرى ، وقد يبدو من هـذا العرض لماهية « الجرنال » وديوانه أنه كان وقفا على الوالى دون حكومته وأن مطبعة القلعة كانت تقوم بخدمة هذا التقرير الخاص بمحمد على وحده ، بيد أن فورنى سكرتير بروكى فى مطبعة بولاق يحدثنا عن هذا الديوان ويوضح لنا قيمة تقريره ، ويعرض صورة له لعلها أفضل الصور التى وصل اليها جرنال الخديو قبيل إنشاء الوقائع المصرية (٢)

يذكر فورنى أنه كان يطبع منه كل يوم مائة نسخة باللغتين العربية والتركية متضمنا الأخبار الرسمية الحكومية وبعض قصص من ألف ليلة وليلة . وكان هذا التقرير الذى يمكن تسميته بالجريدة الرسمية مع شىء من التجاوز يرسل الى رجالات الدولة ومأموريها الذين يعنيهم أن يقفوا على أحوال البلاد والنظام الجديد فيها ، وفى ذلك تقول الوقائع المصرية فى افتتاحية العدد الأول « ووضع ديوان الجرنال قاصدا من وضعه أن ترد الأمور الحادثة الناتج منها النفع والضرر إلى الديوان المذكور وأن ينتخب ويتنقح فيه منها ما منه ينتج النفع والإفادة حتى إذا ظهر عند المأمورين نوعا النفع والضرر ينتخب ما منه تصدر المنفعة ويجتنب ما منه يحصل الضرر ، وهذه

---

(١) أمر من محمد على فى ٢٤ المحرم سنة ١٢٥٢ - تقويم النيل ج ٢ ص ٤٦٧

(٢) F. Bono La. Int d, Egypte Octobre 1905, P. 151 Rev.......

الارادة الصالحة الصادرة من حضرة سعادة ولى النعم وإن كانت قد جرت فى ديوان الجرنال إلى الآن إلا أنها لم تكن عمومية ، (١)

تتفق مقدمة الوقائع كما رأينا مع تقرير فورنى ، فليس جرنال الخديو تقريرات خاصة بالوالى تقدم اليه كما كان الأصل فى انشاء الديوان وجرناله ، بل تطور هذا الجرنال الخاص فأصبح هاديا للمأمورين بما يذاع فيه من أخبار البــلاد ، خيرها وشرها ، حتى يرى هؤلاء المأمورون أوامر الوالى وإرشاداته فيقبلوا على تنفيذ مايرى تنفيذه ويجتنبوا مانهت عنه أوامره ، هو خلاصة النشاط الحكومة وأعمال الموظفين واجتهاد العمال ، ينشر فى مائة نسخة توزع على رجال الدولة المستوابين فى انتظام ، لذلك بقيت هذه الجريدة التى ارتبط تاريخها بانشاء النظم الجديدة وقفا على المأمورين وحدهم ، لأن نشاط الحياة المصرية كله كان موزعا بين الوالى



محمد على الكبير منشىء الوقائع المصرية

---

(١) الوقائع المصرية العدد الاول فى ٢٥ جمادى الاولى عام ١٢٤٤ ه

وموظفيه فقط ، وهى أقدم الصحف المصرية على الإطلاق ، سجلت نشاط الحكومة فى نشأتها الحديثة الأولى وأدت وظيفتها على أحسن ماتؤدى الوظائف فى الصحف الرسمية .

أنفق محمد على زهاء ربع قرن فى حكم مصر باذلا أقصى جهده فى تنظيم الحكومة المصرية ، فعنى بترتيب البلاد إداريا ورعاية « مصالح الزراعة والحراثة وباقى أنواع الصنايع التى باستعمالها يتأتى الرخاء والتيسير » ثم فكر « فى نظام القرى والبلدان رفاهية سكانها وراحتهم » فاذا نجح فى ذلك كله ، وضع ديوان الجرنال ، على الصورة التى شرحناها وللغاية التى بيناها ، ثم وجد الباشا فى نهاية الامر أن جرنال الخديو قد أدى وظيفته ، وأن القواعد والنظم التى وضعها لحكومته قد أثرت فى المصريين ومست حياتهم مسا عميقا وأن وقف الأخبار على مأموريه ورجال دولته دون شعبه ليس من أصالة الرأى فى شىء ، فلما « لاح هذا الشىء فى ضمير الذات السنية » أمر بطبع شئون الحكومة والمحكومين معاً فى جريدة تنشر « عموما وقد سميت واشتهرت بالوقائع المصرية » وتقول الوقائع المصرية فى خطتها التى أذاعتها افتتاحية العدد الأول « أراد ولى النعم أن الأخبار التى ترد إلى الديوان المذكور — ديوان الجرنال — تتنقح وينتخب منها ما هو مفيد وتنشر عموما مع بعض الأمور التى ترد من مجلس المذاكرة السامى والأمور المنظور بها فى ديوان الخديو ، والأخبار التى تأتى من أقطار الحجاز والسودان ومن بعض جهات أخرى » فكأن ديوان الجرنال باق وإن سمى بعد إنشاء الجريدة قلم الوقائع (١) بيد أن اختصاصاته قد توسعت ، فقد كان جرنال الخديو يعنى بالتقارير التى تأتى من الأقاليم ، أما المجالس العليا كديوان الخديو ومجلس المذاكرة السامى — وهى من آثار التنظيم الجديد للحكومة سنة ١٨٢٦ — فأخبارها شىء لا يتصل بشئون الجرنال وديوانه ، وهذه المجالس تبلغ من الأهمية مكانا يجعل قراراتها وأخبارها متصلة بالشعب وحياته ، فيها تقرر مصائره وعنها تصدر

---

(١) محفوظات القلعة — كراسات ملخصات الاوامر العلية — كراسة رقم ٩ ص ١٧٢ .

كافة القرارات التى لها قوة القانون ، فاذا نشرت على المصريين أخبارها كان ذلك عملا له خطره فى إذاعة حوادث الدولة الكبار

وقد يجد مؤرخو الصحافة المصرية كثيراً من النتائج فى نشر الوقائع المصرية ، وخاصة بعد أن أذاعت افتتاحيتها بمجمل ماستحتوى عليه أعدادها ، وهى موضوعات طيبة حقا ، بالإضافة إلى تقريرها حقيقة هامة وهى أنها ستنشر لكافة الناس ، فوزعت على العلماء (١) وعلى تلاميذ المدارس (٢) والذوات الملكية والجهادية (٣) وأرسلت إلى كريت والشام وبلاد العرب والسودان (٤) وقرأها المبعوثون فى أوربا (٥) ولكن هؤلاء جميعاً لم يتجاوز عددهم ستمائة قارىء (٦) ، وذلك فى أعظم أوقات الحكومة خطراً ، يوم كانت جيوشها تحارب فى الشام وهى فى أشد الحاجة إلى الدعاية والإعلان . ومصدر هذه القلة فى عدد قراء الوقائع أسباب كثيرة من أهمها أن مجال الاشتراك فيها لم يبح على اطلاقه بل قرر الباشا أن من له حق الاشتراك فيها من بلغ مرتبه فى كل شهر ألف قرش فأ كثر (٧) ومن الثابت أن كثيرين ممن كانوا يتقاضون مرتباً أقل من ألف قرش كان فى استطاعتهم قراءتها والاستفادة منها. وقد تحدد عدد المشتركين فى الوقائع أو القارئين لها ، ولم يطلق

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣ دفتر ٩٣ مدارس عربى ص ٤٤٨ فى ٦ شوال عام ١٢٦٣ هـ

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣٨٠ دفتر ٩٣ مدارس عربى ص ١١١ و ١١٨ فى ١٩ شوال عام ١٢٦٣ هـ من ديوان المداس إلى ديوان المالية

(٣) محفوظات القلعة كراسات ملخصات الاوامر العلية . كراسة رقم ٩ ص ١٧٢

(٤) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١٧٦ و ٢١٦ فى ٢٩ صفر عام ١٢٤٩ هـ دفتر ٧٨٧ ديوان خديوى تركى

(٥) تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨ — ١٩٤٢ الطبعة الثانية ص ٣٨ — ١٠٦

(٦) Dowin. La Mission Du Baron De Boislecomte. L,Egypte et La Syrie En 1833. P. 139

(٧) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١٢٧ دفتر رقم ٩ مدارس عربى فى ٥ ذى القعدة عام ١٢٦٠ هـ من ديوان المدارس الى المطبعة

توزيعها على الصورة التى اتبعت مع مثيلاتها من الصحف الرسمية فى الدول الأخرى كذلك تحددت أخبارها ، فأن إشارة افتتاحية الوقائع إلى « بعض الأمو التى ترد من مجلس المذاكرة السامى والأمور المنظورة بها فى ديوان الخديو » يدلنا على أنه ليس كل ما يدور فى هذه المجالس يصبح حقا مباحا لقرائها ، بل تقتصر على نشر ما من شأنه ألا يخل بسرية هذه المجالس ، وكذلك كان الشأن فى الأخبار العادية الأخرى التى درجت الجريدة الرسمية على نشرها فهذه أيضاً كانت لا تنشر إلا بعد امتحان قاس من ديوان الخديو وبعد رقابة عنيفة من الحكومة ومحمد على نفسه (١)

كانت النظم الجديدة من أهم الأسباب التى دعت إلى إصدار الوقائع كجريدة للحكومة المصرية ، فان الوالى كان يريد أن يرى المصريون أو خاصة المصريين بمعنى أوضح المثل التى رسمها لسياسته العامة ، فهو قد احتكر الأرض وأصبح التاجر الأول



الشيخ رفاعة الطهطاوى محرر الوقائع المصرية

(١) تاريخ الوقائع المصرية ص ٥٥ وما بعدها

والصانع الأول فى مصر ، ومعظم هذا النظام غريب على المصريين ، له حسناته وله سوءاته ، وقد فرض على الدولة فرضا ، فلا أقل من إذاعة النتائج الطيبة التى سينتجها فعلا هذا النظام ، والوقائع المصرية وسيلته عند الراضين والساخطين على السواء. وهو ينشىء القناطر والجسور ويشق الترع وهذا يكلف الناس جهداً فوق طاقتهم ، ويتخلله شىء من ظلم الجماهير بتسخيرها فى الحفر والشق وتعبيد الطرق ، فلا أقل من أن تكتب المقالات تصف كفاح الحكومة من أجل عمران مصر . ثم هو ينشئ مصانع النسج ومعامل الغزل ودور الصناعات الحربية بجانب المدارس على اختلاف أنواعها ويرسل البعوث هنا وهناك ويهيء أحواض السفن لبناء أسطوليه التجارى والحربى فيربط مصر بأوربا بعد أن انقطعت الصلات عدة قرون ، ثم يأمر فينشر هذا كله فى صحيفته وهى الميدان الفسيح لمدحه والثناء عليه وهكذا تعطى الوقائع المصرية بمقالاتها وأخبارها صورة للحكومة العادلة القادرة المجددة .



رأس أول عدد من الوقائع المصرية

وهو يريد أن يرى الناس جزاء المجد أو المهمل فيأمر بنشر أخبار الموظفين ، ترقيتهم وعزلهم ، ثم يأمر بنشر القضايا الهامة التى تتصل بالشرع والعرف مع ذكر الحكم والقصاص ، ثم يؤكد على المحرر بأن يذيع بين آن وآن ما رمم من المساجد وما أنشىء من المؤسسات الخيرية إلى غير ذلك من الأخبار التى تتصل بالزرع

والحيوان (١) ثم لا يغيب عن صفحاتها بعض الأدب وأخبار السياسة الخارجية وشئون الدول الاجتماعية لعل فيها عظة وعبرة لقرائها. ويعين لخدمتها بعض رجالات العصر كرفاعة رافع الطهطاوى وأدهم بك مدير المدارس غير بعض السوريين الذين ولاهم شئونها الصغرى فى التحرير والإدارة كأحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين باشمصحح مطبعة بولاق (٢). وقد اقتسمتها اللغتان التركية والعربية، وتغلبت الأولى مرة والثانية مرة أخرى إلى أن صدرت كل منهما فى صورة منفصلة.

وعلى هذا النحو نشرت أقدم الصحف المصرية ومضت قدما كأول مثال للصحيفة المصرية بالمعنى المفهوم، وهى سجل للحكومة وصدى لنشاط رجالها، وان اختلفت أشد الاختلاف مع نظائرها من الصحف الرسمية فى أوربا التى تخصصت للأوامر الرسمية والقوانين واللوائح فحسب.

° ° °

ارتبط تاريخ الصحافة الرسمية فى مصر بالنظم الجديدة التى قررها ولى النعم، فقد شاهدنا كيف أنتج نظامه الإدارى الأول الجرنال وديوانه، وهو نظام يفضل بالطبع نظام المماليك، وكيف تطور هذا الجرنال فأصبح جريدة رسمية يومية لكبار موظفيه ومأموريه. ثم رأى الباشا أن يعدل نظمه ويؤسس حكومته من جديد، واستلهم فى ذلك القواعد الفرنسية التى اتبعت فى مصر خلال الاحتلال الفرنسى، فأسس فى سنة ١٨٢٦ مجالس الدولة وأنشأ الوزارات فى صورة دواوين وعدل التقسيم الإدارى، كما أنشأ مع نظامه هذا المدارس، وأخذت مطبعة بولاق تزدحم فى تلك الفترة بكتبها فى كثير من العلوم والفنون كما عقب على نشاطه الإدارى والتعليمى بتنظيم زراعى لا بأس به (٣). وقد تبع إنشاء النظام الجديد كثير من

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة ٦٥ فى غرة صفر ١٢٥٨ هـ دفتر ٢٨٦ شورى المعاونة

(٢) تاريخ الوقائع المصرية للمؤلف ص ٩٩ وما بعدها

(١) الوقائع المصرية عدد ١١٣ فى ٢٨ شعبان عام ١٢٥٤ هـ.

التغيير والتبديل فى مصالح الحكومة واختصاصاتها ، وبذلك أنشأ محمد على أول نظام ثابت لحكومة مصر وكانت قد حرمت النظام والاستقرار عدة قرون ، وارتبط إنشاء الوقائع المصرية بهذا النظام وأصبحت لسانا له وصدى لآماله الكبار .

ولعل أعظم ما بهر المؤرخين وشغلهم فى تاريخ محمد على النظم العسكرية التى أدخلها فى مصر وكون جيشه بمقتضاها ، فقد كتب المؤرخون عن هذه النظم مجلدات ضخمة أحدثها ما نشره الجنرال فيجان العسكرى الفرنسى المعروف (١) . ويتبين لنا قدر هذا الجيش إذا عالجنا خدماته للوالى ، فبه قضى على المماليك وزعمائهم، وطرد الانجليز فى سنة ١٨٠٧ وفتح بلاد العرب وأراح السلطان من الوهابية وسطوتها ، كما استعان به فى فتح السودان وكريت واليونان والشام أخيراً ، وهو القوة التى ارتكز عليها فى سياسته الخارجية إزاء الباب العالى ودول أوربا ، فلا غرو إن رأى المؤرخون أن العسكرية المصرية فى عهده فرضت النظام على شعبه وخلقت حساً وطنياً لم يكن معروفا من قبل ووضعت أساس الاستقلال المصرى (٢) وأنها فى رأى آخر مكنته من « أن يلعب فى مصر برغم موارده المحدودة دور أمة قوية السلطان » (٣) .

هذا رأى بعض المؤرخين فى النظام العسكرى وآثاره فى مصر ، غير أن مؤرخ الصحافة الرسمية لا يعنيه من هذا شىء بقدر ما يعنيه الأثر الذى خلفه الجيش المصرى فى الصحافة المصرية، وقد قامت الوقائع بنشر أخبار هذا الجيش (٤) وفسحت صدرها لذكر تقدمه وانتصاراته

---

(١) كتابه Histoire Militaire de Moh. Aly et des Ses fils, 2 Vols. 1936 وهناك كتاب Vice—Amiral Durand Viel عن Les Campagnes Navales de Moh. Aly et Ibrahim 2 Vols 1937

(٢) Clot. A. B. Apercu genéral sur L, Egypte 1840

(٣) De Freycinet — La Question d'Egypte. p. 19

(٤) عابدين وثيقة ٣٢١ ف ٢٧ جادى الآخرة ١٢٥٠ هـ ثم وثيقة ٢٤٣ ف ٢٦ ربيع الثانى ١٢٤٩ دفتر ٤٩ معيه تركى ووثيقة ٦٦٨ ف ٣ جادى الآخرة ١٢٥١ هـ دفتر ٦٦ معيه تركى

ولما كان جرنال الخديو لم يعد يحتمل نشاط الدولة بعد اتساعها وتنظيمها الجديد كذلك لم تستطع الوقائع المصرية أن تنفرد وحدها بتسجيل التفاصيل التى تتصل بالجيش وهو يكتب صحيفته الرائعة فى حروب الشام ، وهذه التفاصيل من شئونه الخاصة ، لذلك اختص الجيش بجريدة له سميت « الجريدة العسكرية » وإن مضت الوقائع المصرية تنشر تنقلاته وترقيات ضباطه وتصور فعاله المجيدة ، بيد أنها لم تتمكن من أن تلم بكل ما يتصل بحياة جيش يبلغ زهاء ثلاثمائة الف جندى وضابط(١) وقد طبعت هذه الجريدة العسكرية فى مطبعة ديوان الجهادية فى مستهل حملة الشام سنة ١٨٣٣ ، وقد أنكرتها الوثائق والمراجع قبل هذا التاريخ ، ولعل حوادث الجيش وجرائم الآلايات لم تكن تحتمل تخصيص صحيفة له قبل تنظيمه وازدياد جنده هذه الزيادة التى قلما تجارى فى تلك الظروف ، وقد فصلت إحدى الوثائق قدر هذه الصحيفة حيث قالت إنها « الجريدة الخاصة بنشر الجرائم التى تقع فى الآلايات ، وأنه يصدر منها « شهريا خمس عشرة نمرة الجارى طبعها فى مطبعة ديوان الجهادية . »(٢) وقد شكا حضرة صاحب الدولة الباشا السر عسكر من التهاون الملحوظ فى نشر هذه الجريدة العسكرية ، فقرر مجلس شورى الجهادية التنبيه على « أحمد أفندى ناظر مطبعة ديوان الجهادية لأن يبذل جهده حتى لا يقل عدد ما يطبع خاصا بالجرائم العسكرية من خمس عشرة نمرة فى كل شهر » وتكليف « ثابت أفندى كاتب مجلس شورى العسكرية بأن يختار من بين المستخدمين فى شورى الجهادية موظفا قديرا ويوليه مهمة تسليم ما يرد إلى المجلس من أعداد الجريدة العسكرية ، وإرسال أعداد هذه الجريدة بالبريد الى الديوان الخديوى » ثم يكلف مجلس شورى الجهادية « الأفندى وكيل مأمور الديوان الخديوى » بأن يعنى بأرسال الجريدة إلى الجهات المختصة مرتين فى كل أسبوع .

---

(١) راجع قيودات الأوامر العلية وتحريرات المعية لسنة ١٢٤٩هـ

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١٣ أصلى دفتر ٧٩٨ ديوان خديوى ٢٥ فى ٢٨ محرم ١٢٥٠ - ٤٣ مسلسل

ولم نوفق إلى الحصول على نسخة من الجريدة العسكرية حتى نصورها فى الصورة اللائقة بها ، لكن فى استطاعتنا أن نقرر من تسميه هذه الجريدة أنها كانت تنشر تفاصيل هذه الجرائم والقصاص الذى نزل بمرتكبيها ، وأنها قياسا على ما كان يحدث فى أمر توزيع الجرنال والوقائع نرجح أنها كانت توزع على ضباط الجيش ، ولعلها كانت تقرأ على الجنود أو يفسر لهم ما فيها وأكبر الظن أن حياة هذه الجريدة لم تستقم على ما كان يهوى دولة السر عسكر فان الجنود المصرية لم تكن خلال حرب الشام فى حالة تسمح باستقرار ينتج صحيفة تصدر خمس عشرة مرة فى كل شهر ، لأن الحوادث والجرائم التى تقع فى الجيش كان يتعذر نقلها فى انتظام إلى مصر من حدود الأناضول أو من أعماق السودان لتنتظم أمور الجريدة وحوادثها ، وفى ذلك شكا دولة السرعسكر كما رأينا . ونحن نرجح أن عمر هذه الجريدة لم يطل لأن الوثائق التى اتصلت بالجيش ونظامه وحروبه وظفره أنكرتها انكاراً تاما فيما خلا تلك الوثيقة التى أشارت اليها ، وعندى أن معاهدة لندن وقد حدت من نشاط العسكرية فى مصر قد حالت دون استمرار الجريدة واضطلاعها بالأعباء التى حدثتنا عنها وثيقة مجلس شورى الجهادية أو لعلها تطورت إلى شىء يشبه الغازتة العسكرية المعروفة بأخبار الترقيات والتنقلات بين صفوف الجيش ، وهو عمل صحفى هادىء تدعو اليه الحاجة وليس له موعد معلوم .

ooo

أثبت جرنال الخديو والوقائع المصرية والجريدة العسكرية أن ولى النعم كان يؤمن بقدر الصحافة وخطرها فى المسائل العامة التى كان يكرس حياته من أجلها ، وقد أدى جرنال الخديو وظيفته من حيث تمثيله للنظم القديمة ، كما أدت الوقائع المصرية رسالتها من حيث أنها كانت أكثر عمومية وأوسع إدراكا لمعنى الجريدة بصفتها الرسمية والعامة كما أنها كانت لسانا طيبا لإصلاحاته وتنظيماته التى أدخلها فى

سنة ١٨٢٦ . وهكذا كان الغرض من الجريدة العسكرية ، فقد ارتبط وجودها باتساع الجيش اتساعا لم يكن معهوداً من قبل .

وقد يبدو غريباً ألا تكون للشئون الزراعية أو التجارية جريدة مماثلة لصحف النظم الادارية والعسكرية ، مع أن هذه الشئون قد شغلت الدولة كما شغلها الجيش وتجديده ، فقد حفلت محفوظات عابدين بمئات الأوامر واللوائح والقوانين التى تتصل بتقوية جسور النيل وتنظيم البلاد الواقعة على شاطئيه والعناية بالرى وزراعة الأثمار وغرس الأشجار ، ومراقبة مياه المحمودية ، ونظام بيع المحصولات وما إلى ذلك من الموضوعات التى تتصل بالزراعة والتجارة (١)

وأهم الوثائق التى تنتظم أغراض الباشا فى التجارة والزراعة تبدو من أمره الخطير بانشاء بنك فى الاسكندرية ، مثل بنوكة الممالك المتمدنة ويكون له امتياز وسلطة فى تسعير العملة المصرية والعملة الأجنبية والأوراق وتسعير سائر أصناف الزراعة والتجارة الجارى الأخذ والعطاء فيها سواء كانت بالمزايدات أو بالممارسة أو بالاعلانات ، وفتح اعتمادات وقبول التحاويل والرجع الميرية لما فيه من إزالة الضرر واتساع نطاق التجارة ، (٢)

وفى انتظام شئون الزراعة واتساع المجال فى الحياة التجارية كما رأينا ما يبرر إنشاء صحيفة لهما تكون على غرار ما كان للجيش ، ولعل الوالى قد وجد فى الوقائع كفاء لهذا بما اعتادت نشره من هذه الأخبار ولعل الفترة التى تحرجت فيها الأمور بينه وبين السلطان ، وهى تقع بين سنتى ١٨٣٣ - ١٨٤٠ ، لم تتح له الانصراف التام إلى مثل هذه الشئون الجزئية إن صح التعبير ، فقد كان كل شىء فى خدمة الجيش ، فاذا انجلت الأمور عن معاهدة لندن واستقرت الأحوال بين القاهرة والآستانة انصرف جهد الحكومة عن الجيش واتجه إلى الاصلاح الداخلى وفى

---

(١) محفوظات عابدين — دفتر مجموع زراعة وهو فى ٢٥٠ صفحة من الحجم الكبير

(٢) أمر صادر عن اللائحة المختصة بانشاء بنك فى الاسكندرية فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٠٨ هـ

مقدمته الزراعة وحياة الفلاح ، وهو ولى نعمته كما يقول هو (١)

وفى ذلك العهد ـ عهد الهدوء والاستقرار ـ صدرت لائحة زراعة الأراضى وقد ضمنها الوالى جملة ذات على القصد منها فقد قال فى مقدمتها « إن رفاهية الأهالى هى من الزراعة » (٢) ، ثم توسع فى إنشاء الترع والقناطر واهمها القناطر الخيرية ، ولم يكن ابنه وخليفته ابراهيم باشا بأقل منه اهتماما بالزراعة ، فقد توفر عليها يرعى مختلف شئونها (٣) فليس غريبا إذن أن يكون محمد على قد فكر فى إصدار جريدة للزراعة والتجارة وحال مرضه دون اتمام هذا المشروع ، ومن ثم أخذ ولده ابراهيم على عاتقه أن يصدر هذه الصحيفة فأمر بانشائها فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٦٤هـ . وجاء فى أمره : « حيث استنسب عندنا فى هذه الدفعة ترتيب جرنال يحتوى على الاعلانات الملكية والأخبار التجارية لأجل الحصول على الفوايد العمومية واستصوب أن يرسل لكل منه كافة البنادر والقرى صورته الآتى نظيرها أدناه ليحصل لكل أحد فايدة من الجرنال المذكور ، وبما أن الحصول على ذلك كما يجب فهو منوط لإرسال الافادات والكشوفات والاعلانات المقتضى جلبها لديوان المدارس جمعه بجمعة بدون توقيف » (٤) ثم يبدى الوالى ضرورة العناية بهذا الموضوع والغيرة على نجاحه حتى يطبع فى كل أسبوع ويوزع فى البلاد والقرى كافة . ويشتمل الجرنال « على الأشياء التى تباع فى ظرف كل جمعة بساحات وسواحل محروسة مصر واسكندرية والبنادر الكبار بالأقاليم القبلية والبحرية والوسطا والأسواق المعينة والموالد الكبار بالأقاليم المذكورة . أعنى يكون مشتملا على الأسعار التجارية فى بيع الغلال والابزار والأصناف وأجناس الحيوانات المباعة فى المدة التى هى من ابتدى يوم السبت لغاية يوم الخميس ، ثم يفرض نشر أخبار المبيعات التى ترسل « إلى البلاد

(١) من أمر لمحمد على إلى مفتش عموم الفابريقات فى غاية جمادى الاخرة عام ١٢٥٢ هـ تقويم النيل ص ٣٧٤

(٢) أمر محمد على إلى ديوان الجفالك فى ٢٦ ذى القعدة عام ١٢٦٢ هـ تقويم النيل ص ٥٤٠

(٣) تقويم النيل لامين باشا سامى ص ٥٤٣ و ٥٤٤

(٤) محفوظات عابدين دفتر مجموع ترتيبات وظايف . ترتيب وظايف ديوان شورى المعاونة ص ٩ و ٣٠

الخارجية بحراً ، على أن يتولى ديوان المدارس جمع هذه الأخبار بوساطة المديرين ومن اليهم ألقيت أمور الدواوين .

فاذا فرغ من أخبار التجارة وتفاصيلها ذكر البند الثانى أنه يجب أن تنشر فى هذا الجرنال . « الاعمال التى تفيد الزراعة وأخبار الأطيان المزروعة زيادة عن العادة ببذل الجهد أو طرق مخصوصة لتربية الحيوانات أو زراعة تقاوى نظيفة أو زراعة أنواع النبات التى لم تعرفها مصر أو غرس أشجار نافعة مثمرة أو غير مثمرة » كما ينبغى الاتفوت الجريدة « مشاهدات أطباء المديريات عن الصحة والأمراض والعلل النادرة الوقوع والأدوية وأوجه العلاج » ثم يقرر الأمر فى بند ثالث الموضوعات الأخرى التى يجب أن تنشرها الجريدة وهى « أوصاف وفوئد البدء فى الترع والجسور والأبنية والعمارات الميرية وعدد الأنفار والصناع وماصرف عليهم وحوادث كسور القناطر أوقطع السدود والجسور قضاء وقدرا أو بفعل فاعل ومعالجة ذلك بالتعمير وكذلك أخبار الأضرار والخسائر التى تنزل بالغيطان من طغيان المياه ونشر المجهودات التى بذلت لاصلاح الحال » .

هذا مجمل لأهم ما جاء فى أمر ابراهيم باشا بانشاء الجريدة ، وقد علقت الوقائع فى ١٢ ذى القعدة سنة ١٢٦٤ ﻫ على ذلك الأمر بقولها « لما كان أمر التجارة والزراعة أساساً للرفاهية والثروة وقد أراد الجناب الخديوى أن يطبع (جرنال جمعى) فى شأن ذلك بحيث يشتمل على أخبار التجارة والزراعة والاعلانات الملكية وأن ينشر على البلاد والقرى كافة زيادة على نسخ الوقائع المعتاد نشرها فى كل أسبوع لتعلم أرباب التجارة والزراعة بمطالعته مايتحصل من الرواج ويكون وسيلة إلى استحصال الفوايد العامة » ثم ذكرت الوقائع فى ٣ ذى الحجة من نفس السنة أنه « . . . . بودر إلى الشروع فى طبع الجرنال المذكور من الآن ، طبق مراد الآصفى على الشان ، وسينشر فى كل يوم جمعة بدون انقطاع ، وقد حررت فى هذا الأسبوع أول نسخة منه وطبعت ، وعلى كافة المديريات نشرت » .

ويبدو من الأمر الخديوى أن فكرة انشاء هذه الصحيفة ليست جديدة فقد ذكر

أنه استنسب عند ابراهيم باشا فى « هذه الدفعة » ترتيب هذا الجرنال ، ومعنى هذا كما يدل منطوق أمره أن هناك محاولات قد بذلت مرة على الأقل قبل « تلك الدفعة » التى تقرر فيها إنشاء الجريدة ، وأن هذه المحاولات غالبا ما بذلت فى عهد والده محمد على الذى نرجح أن صحته لم تطاوعه فى المضى نحو تحقيق هذا المشروع الصحفى ، وهكذا نشرت جريدة التجارة والزراعة فى عهد خلفه « زيادة على نسخ الوقائع المعتاد نشرها فى كل أسبوع » كما تقول الجريدة الرسمية فى تعليقها على تلك الصحيفة.

وقد وزعت الجريدة على كافة المديريات ، وسمتها الوقائع فى كثير من أعدادها « الجرنال الجمعى » كما نقلت عنها بعض محتوياتها ، ولم يطل عهدها فقد كفت الوقائع عن ذكرها بعد وفاة ابراهيم باشا ، ولم نعثر على نسخة منها ، وأكبر الظن أنها نشرت خمس مرات فحسب منذ صدر الأمر بانشائها إلى يوم وفاة منشئها فى ١٤ ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هـ

الفصل الثانى

تطور الصحافة الرسمية

بلغت الصحافة الرسمية مكانة سامية فى عهد ابراهيم باشا ، فلما خلفه على شئون مصر عباس الأول تغيرت الحال ، وتغيرت نظم الحكم الداخلية كلها على وجه التقريب ، وأثرت أخلاقه الخاصة فيما صنعه جده العظيم . فقد كان سىء الظن بالناس شديد التطير عزوفا عن كل جديد ، فأقصى معظم الخبراء الذين استعان بهم محمد على من فرنجة ومصريين (١) ، وأقفل معظم المدارس بدرجاتها جميعاً بحجة الاقتصاد أو بدافع من طبيعة الحرص فيه ؛ ثم أغلق المصانع والمعامل وهى نتيجة لحاكم لا يؤمن بأثر التعليم ، وأفسد عامداً خير ما صنعه جده لوحدة البلاد ، فشاب مصرية الجيش بلون من الجنود الأرناءود وهم فئة عابثة حاول جده مدة سنوات التخلص منها والقضاء عليها (٢)

هذه العقلية التى أشرنا إلى بعض تصرفاتها فى إيجاز لم تحتمل بالطبع أية صحافة مهما يكن لونها ، وآية ذلك أن الجريدة التجارية الزراعية اختفت فجأة ولم يعد لها ذكر لا فى الوقائع المصرية ولا فى الوثائق المختلفة ، والوقائع نفسها لقيت من الضيق فى عهد عباس الأول ما حجبها عن القراء معظم أيام حكمه .

وتدلنا إحدى الوثائق على مدى فهمه لوظيفة الصحيفة الرسمية فهو يأمر بأن

---

(١) Merruau. L.Egypte Contemporaine. Paris 1840-1857 p. 123 etc

(١) الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا ج ١٤ ص ١٢٦ .

يقتصر توزيع الوقائع على « الحائزين على رتبة فريق ورتبة ميرميران ورتبة ميرلوا ورتبة ميرالاى فقط » (١) ومعنى ذلك أن الستمائة نسخة التى كانت توزع على المشتركين من الموظفين والعلماء وتلاميذ المدارس وأعيان المصريين ، قد انخفضت إلى بضع عشرة نسخة لعدد محدود من كبار ضباط جيشه ، ومصدر هذا كله أن الوالى قد علم أن الجريدة ترسل « لجماعة أمية وسفلة مثل حسن أغا وكيل الخراج وفيض الله أغا الطاهى وموسى اليهودى الآلاتى (المهرج) » ثم يقول فى كتابه إلى مجلس الأحكام « فلما رأيت ذلك خجلت من نفسى ورأيت أن إرسال الجريدة إلى أمثال فيض الله أغا وحسن أغا من الأمية والجهلة الذين لا يعرفون معنى الجريدة ولا سيما موسى اليهودى الآلاتى ، نقد عددت ارسال الجريدة لهم ذلا زائداً » (٢)

هاله أن تقرأ هذه الطبقة صحيفة الحكومة من أمثال وكيل الخراج وموسى الموسيق ، وهو اتجاه يجرى فى برج نظامه العام ، ويتفق تماما مع تفكيره وترفعه عن عامة الناس ، فبينما كان جده يفرضها فرضا ويخلق لها القراء خلقا ، يأبى هو أن تنحدر إلى أمثال هؤلاء من الأمية والسفلة .. وكانت الصحيفة فى أعدادها القليلة التى صدرت فى عهده تعبر عن قصد الباشا تمام التعبير ، فلم نعد نقرأ فيها مقالا ذا قيمة أو خبراً فيه طلاوة العبارة أو جدة المعنى .

ولم يكن حظ الوقائع والصحف الرسمية القديمة فى عهد سعيد بأحسن من حظها فى عهد سلفه وإن بدأ سياسته فيها بدأ حسنا فقد ذكر بعد توليه الحكم بثمانية أيام فى أمر له إلى مدير المدارس أنه « لما كان جودت أفندى محرر الوقائع من أهل العلم وأصحاب الاجتهاد كان الواجب المتبع لدينا فى ترقية الموظفين أن نرقى أمثاله فاعلموا أننا منحناه رتبة القائمقام وقيدوا له مرتب القائمقامية وجرايتها ابتداء من

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة ٤٩٧ دفتر ٤٨٤ معية تركى فى ٢٣ صفر ١٢٦٩ هـ إدارة

(٢) عابدين وثيقة ٤٨٤ معية تركى فى غرة ذى الحجة ١٢٦٨ من المعية إلى مجلس الاحكام

تاريخ أمرنا وأصرفوهما له كلما استحقهما طبق الأصل ، (١) وهذا الأمر يعنى أن والى مصر الجديد سيعنى على القليل بالصحيفة الرسمية ولكنه على عادته المعروفة من التقلب وقف عن تحقيق هذه النهضة الصحفية المرجوة فى عهده ، وتاريخه حافل بهذا التقلب الملحوظ فبينما يمنح الفلاحين حق ملكية الأراضى الزراعية ويتجاوز عن الضرائب المتأخرة عليهم ويلغى نظام الاحتكار (٢) نجده يمعن فيما صنعه سلفه من تغليق المدارس وينصرف عن الجيش ويحوله إلى عمال لقنال السويس (٣) بعد أن اهتم به فى أول الأمر . وكان الأمل عظيما فى ان تجنى مصر فى عهده كثيراً من نعمة الهدوء والاستقرار ولكنه لا يستقر على اتجاه فلا عجب إذن إن لقيت الصحافة الرسمية فى أول عهده تشجيعاً ملحوظا آيته ترقية محررها ثم نراه يردها إلى الجمود المطلق الذى تجاوز فى آثاره أسوأ مما صنعه سلفه عباس .

أراد سعيد باشا أن يتخلص من مطبعة بولاق وتكاليفها كما تخلص من المدارس الكثيرة التى أنشئت فى عهد والده محمد على ، وذلك بعد أن أدت واجبها أحسن الأداء منذ إنشائها متخطية كثيراً من الصعاب ، بيد أنها فى عهد سعيد لقيت عناء أثر فى نشاطها واضطرت إلى التعطيل فاحتجب جهدها من يوليو سنة ١٨٦١ إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٦٢ ثم عادت إلى الحياة فى فتور لتطبع بعض ما كانت الحكومة فى حاجة إليه من الكتب والدفاتر ، ثم أنعم بها على صديقه عبد الرحمن رشدى بك مدير الوابورات الميرية وملكه العقار والآلات (٤)

. تعطلت الوقائع المصرية سنة كاملة بوقف مطبعة بولاق كما رأينا ثم عادت إلى

---

(٢) محفوظات عابدين وثيقة ١١٠٩ دفتر ٤٨٤ معية تركى فى ٢٨ شوال عام ١٢٧٠ هـ

(٢) Merruau. L. Egypte Contemporaine p. 64

(٣) Lettres, Journal et Documents pour servir à L histoire du Canal du Suez. F. DeLesseps. T. 4. p. 333.

(٤) أمر عال إلى نظار المالية فى ١٣ ربيع الثانى عام ١٢٧٩ هـ دفتر الاوامر العلية الصادرة للمالية — محفوظات القلعة



عبد الرحمن رشدى بك صاحب مطبعة بولاق

الحياة بعد تمليك رشدى بك المطبعة ، وأذن له الخديو اسماعيل — وكان قد تولى الحكم بعد منحة سعيد لرشدى بك بشهرين تقريباً — « بنشر وإعلان الوقائع الرسمية الخاصة بالأهالى والحكومة على أصلها ، ثم أعاره بعض الموظفين القادرين على أداء الخدمة الصحفية فى الجريدة الرسمية (١) ، فأطلقت الجريدة من العقال وجالت فى ميدان المقال ، وشرعت تنشر الأخبار المصرية والأجنبية لكن فى هيئة غير رسمية » (٢)

بقيت الوقائع المصرية فى كنف رشدى بك زهاء ثلاثة أعوام حتى وافت سنة ١٨٦٥ فإذا اسماعيل باشا يشترى المطبعة الأميرية من صاحبها (٣) ويضع للصحافة الرسمية تاريخاً يبز تاريخها فى عهد أسلافه جميعاً ، ويجدد فى مناحيها ويخلق

---

(١) ارادة لأحمد رشيد بك ناظر المالية فى ٧ شعبان عام ١٢٧٩ هـ ترجمة ص ٤٠ دفتر ٥٢٥

(٢) الوقائع المصرية . من مقالة احمد خيرى بك . العـدد الصادر فى ٢٥ نوفمبر عام ١٨٦٥

(٣) تقويم النيل ج ٣ ص ٥٩٨

فى أنواعها ، فيبدأ بالوقائع ويقول فى أمره لنظارة المالية « إن من المسلم به أن للجرائد منافع ومحسنات عند الأهالى ولدى الحكومة ، ولذلك فاننى أرغب فى إدخال



الخديو اسماعيل مجدد الوقائع المصرية

جريدة الوقائع المصرية فى عداد الجرائد المعتبرة » ، ودخلت الوقائع فعلا فى عداد الجرائد المعتبرة ، وفاقت فى عهده تاريخها السابق فنشرت من الأخبار قديمها وحديثها ونقلت عن الصحف الغربية خير ما فيها ونشطت البرقيات بين صفحاتها ، وعنيت بالبلاد الشرقية وأمورها كما خصصت مكاناً رحباً لأخبار الداخل وتفاصيلها ، ولم تسقط من حسابها الأمور التجاريه والمسائل الاقتصادية والأبواب الاجتماعية والأدبية ، وفتحت صدرها للاعلانات كباب من أبواب رزقها ، كما نصبت نفسها لسانا يدافع عن الحكومة وتصرفاتها ويهاجم خصومها من الصحف الأجنبية فى مصر أو الصحف الغربية فى بلادها ، ونظم الخديو أمورها وعين لها خيرة العمال والمحررين وبذل لهم فى سخاء لم يعهده محرروها من قبل (١)

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٦٤ دفتر ١١٨١ أوامر للمالية فى ٣ رجب عام ١٢٨٢



الصورة التركية للوقائع المصرية فى عهد اسماعيل

وشاء الخديو أن يجعل لسنة ١٨٦٥ شرف النهضة الصحفية الرسمية فتصدر الحكومة صحيفتين أخريين ، صدى لنهضة عميقة فى الطب والجيش ، فقد أقبل اسماعيل والمدارس مغلقة ودور العلم معطلة فشاء أن يرد إليها الحياة فى غير تردد ، وعنى عناية خاصة بمدرسة الطب فكان تقدمها سريعا حتى جاوز عدد طلابها المائة ، ولم تكن وقفا على الشعب المصرى وحده بل فتحت صدرها للطلاب من البلاد الشرقية (١) غير من ضمت من طلاب الصيدلة والقابلات المصريات ، وإلى جانبها قامت مدرسة الطب البيطرى يشرف عليها جميعا فئة من أعلام الطب المصريين والأجانب على السواء .

رأى الخديو اسماعيل أن يكون للنشاط الطبي فى مصر أثر يخلد فعاله ويعاونه على نشر أفضل المسائل الطبية كما يكون مجالا يتبارى فيه الأطباء بانشاء الموضوعات المفيدة ، فأصدر مجلة « يعسوب الطب » وهى أقدم الصحف الطبية فى الشرق كله ، على أن تشرف عليها الحكومة المصرية ، وتمدها بالمال ، وقد قامت المطبعة الاميرية بطبعها ، ومضى يحررها محمد على باشا الحكيم كبير الأطباء المصريين ، وهى ترجو – كما تذكر خطتها – أن تقدم لمطالعيها من رياض الطب وأزهاره ما يغنيهم عن الرجوع إلى مطولات الكتب وشروحها أو المجلات الأجنبية وفصولها الطوال

---

(١) أمر عال إلى مجلس الصحة فى ٢٤ ربيع الاول عام ١٢٨٢ ه ص ٢١ دفتر ١٩١٣ عربى

كما يجنى اليعسوب وهو أمير النحل فى دولته موارد العسل من أزاهير الرياض، وكان شعار المجلة «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس».

وكانت موضوعاتها طريفة تغرى بالقراءة حقا(١) فلم تتعرض للمسائل الصحية الجافة، وكانت تعالج الموضوعات العلمية فى أسلوب يدركه القارىء العادى، وقد ساهم فى تحريرها الأطباء المصريون والفرنجة، ومنح الشيخ ابراهيم الدسوقى علاوة على راتبه مائة وخمسين قرشا مقابل قيامه بترجمة فصول الأطباء الأجانب (٢) ومن أهم ما حملته هذه المجلة الفصول التى كتبتها القابلة جليلة تمرهان، وهى فيما نعلم أول مصرية تكتب فى الصحف موضوعا، وموضوعا فنيا بالذات، وأكبر الظن أن المجلة كانت توزع على الأطباء وطلاب الطب فى مصر جريا على ما اتبع مع مثيلاتها وطلبا لتحقيق الفائدة منها. وكانت يعسوب الطب صدى لنشاط الحكومة فى النواحى الطبية، وكذلك أصبحت الجريدة العسكرية المصرية الصحيفة الرسمية الثانية التى أنشأتها حكومة اسماعيل فى سنة ١٨٦٥ باستثناء الوقائع المصرية، ومن سقط القول أن نقدم لإنشائها بحديث عن النهضة العسكرية فى ذلك الوقت، فذلك أمر يعرفه كل من درس عصر إسماعيل وألم بأطرافه وعدد المـــدارس التى أنشئت لتعليم الفنون العسكرية وما أنشىء معاونا لها من المدارس، غير البعثات الحربية إلى فرنسا (٣) والبعثة الحربية من فرنسا، وهيئة أركان حربه من الأمريكيين، ومطبعة الجيش ومكتبته ومتحفه.

وإذا استقام أمر الجيش على هذه الصورة التى عرضناها فى إيجاز فمن الطبيعى أن تصدر له صحيفة تكون عنوانا له «فقد اقتضت مروءته - أى مروءة الخديو - وتعلقت عنايته بأحداث هذه المجموعة العلمية الدورية المسماة بالجريدة العسكرية المصرية بحيث تنطبع وتنشر بوجه الانتظام على طرف حكومته العلية، إذ كان الغرض الأصلى منها أن تنشر بالخصوص على سائر الضباط الجهادية وضباط

---

(١) احتفظت دار الكتب باعدادها ابتداء من العدد ٢٤ فى ٢٣ محرم عام ١٢٨٥ هـ

(٢) أمر عال الى مجلس الصحة فى ٢٤ ربيع الاول ١٢٨٢ هـ ص ٢١ دفتر ١٩١٣ عربى

(٣) حقائق الاخبار عن دول البحار لاسماعيل سرهنك طبعة ١٣١٢ هـ ج ٢ ص ٣٠٧

الصفوف والعساكر بالجيوش المصرية وعلى تلامذة المدارس الحربية ، ولا تختص بالاشتمال على بنود تتعلق بأنواع العلوم والفنون العسكرية المتحصلة عند الملل المتأخرين والأمم المعاصرين فقط ، بل يندرج فيها أيضاً فوائد جليلة وإرشادات جميلة مما لابد منه لكل انسان متمدن ، ولا بأس به لكل حاذق متفنن من المعارف النافعة والفنون المتنوعة ، مع ما ينضم لذلك من تحلية هذه المجموعة بأدراج يوميات محصل ما يحصل فى سائر أقطار الدنيا من الحوادث الكبيرة البوليتيقية أى السياسية والوقائع الشهيرة العسكرية ، ثم تستمر الجريدة فى إعلان خطتها وتبيان أغراضها فتعلن أنها ستظهر « فى كل شهر مرة فهى شهرية قمرية . فكل من أراد من المستخدمين الميرية وضباط الجيوش المصرية وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية وأرباب المناصب العلمية أن يودع فيها فائدة مناسبة من معلوماته ، أو نادرة مقبولة من تأليفاته ليساعد المعينين بها على دوام تحريرها ، ويجاهد مع الرفقاء فى سبيل العلم والمصلحة العامة على تمام تسطيرها فليوجه من فضله إلى حضرة ناظر عموم المدارس المصرية ما استنسب إدراجه فى ضمن سطورها أو استصوب استيداعها فى طى منشورها حيث كان المعول الأعلى على حضرته فى عموم إدارة أمورها » (١) . فهى إذن تختلف أشد الاختلاف مع الجريدة العسكرية فى عهد محمد على ، إذ كانت الأولى للجرائم العسكرية وحدها . أما جريدتنا هنا فليست جريدة ضيقة المعنى محدودة الغرض ، وهى ليست مقصورة على الشئون العسكرية بل « يندرج فيها أيضا فوائد جليلة . . . . من المعارف النافعة والفنون المتنوعة » وهى تفسح صدرها لكل كاتب غير ضباط الجيوش المصرية من « المستخدمين الميرية وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية وأرباب المناصب العلمية » . ولم تشغل الجريدة العسكرية المصرية أقلام الكتاب والضباط المصريين وحدهم بل غنيت صفحاتها بمقالات المعلمين والضباط الأجانب حتى أن معظم أعدادها كان وقفا على أقلام هؤلاء الأجانب وخاصة « مرشير بك Mircher رئيس الإرسالية العسكرية الفرنساوية فى مصر » ، وكانت الخرائط التى

---

(١) من مقدمة الجريدة العسكرية فى غرة جمادى الثانية ١٢٨٢ هـ (٢٢ سبتمبر عام ١٨٦٥)

تنشرها الجريدة العسكرية المصرية حدثا جديداً فى تاريخ الصحافة المصرية .

وزاملت الجريدة العسكرية أخرى مشابهة لها وإن صدرت بعدها بعدة سنوات (١) عقب تأليف هيئة أركان الحرب المصرية ، وهى هيئة عسكرية كونت على أفضل صورة مماثلة لما كانت عليه جيوش أوربا ، ضمت اليها فئـات من الميكانيكيين والمهندسين والخبراء فى علم طبقات الأرض ، كما خصصت لها جماعة لوضع المصورات الطوبوغرافية الدقيقة عن مصر والسودان وغيرهما ، وكانت أعمال الكشف أهم أغراض هذه الجماعة الأخيرة (٢) وإذا كانت الجريدة العسكرية قد جاوزت حدودها فأذنت لكل صاحب علم أو فن أن يعرض معارفه على صفحاتها مهما يختلف الموضوع عما يوحى به اسمها ، فان زميلتها جريدة أركان حرب الجيش المصرى لم يسمح بهذا اختصاصها فإن « القصد من إنشائها تقدم الجيوش المصرية فى الفنون الحربية ، واطلاعهم على الوقائع والحوادث العسكرية التى تقع فى البلاد الأجنبية » (٣)

وهى صحيفة الضباط وحدهم لا يؤذن لغيرهم بالنشر فيها أو الاطلاع عليها ، فقد تعطلت فترة من الزمن فإذا أسباب احتجابها « تفرق الضباط الذين هم روح حياتها وواسطة حسن إدارتها فى الأقطار السودانية والبلاد الحبشية شهوراً متداولة وأياما متطاولة » (٤) . فهى صحيفة تحمل صفتها حقا وتربط بينها وبين هيئة أركان الحرب أغراض متماثلة واتجاهات معينة ، فعنيت بالمسائل الحربية العلمية التى من شأنها أن تفتق أذهان الضباط وتوسع أفقهم العسكرى وتضيف إلى معلوماتهم شيئاً جديداً ، فى أسلوب رائع يشرف على تهذيبه الشيخ حسن الطويل مصحح ديوان الجهادية (٥) وهى آنق طبعا فى أجزائها المتأخرة حين طبعت فى مطبعة عموم أركان

---

(١) الرافعى عصر اسماعيل ج ١ ص ١٩٠ (٢) المصدر السابق ص ١٨٩

(٣) راجع الجزء الاول من المجلد الاول للسنة الثالثة

(٤) جريدة أركان حرب الجيش — الجزء الاول — المجلد الاول — السنة الثالثة

(٥) » » » » » الثالث » الثانى — العدد التاسع

حرب بعد أن قامت بنشرها فترة طويلة مطبعة وادى النيل . وجريدة أركان الحرب ليست صحيفة علمية عسكرية فحسب بل فيها من المعانى الوطنية فصول عن وقائع الجيوش المصرية المظفرة فى الشام وبلاد العرب وكريت وغيرها كما حفلت أعدادها الكثيرة بألوان من المصورات المختلفة وأحدث الصور لآلات الحرب فى ذلك الوقت .

وإذا كانت رعاية اسماعيل للطب والصحة العامة أنتجت يعسوب الطب ، ونهضته فى الجيش وأقسامه استحدثت فى عالم الصحافة الرسمية جريدتين فإن عنايته بالتعليم وهو من أظهر مفاخر عصره كان قمينا بأن تكون له صحيفة تعبر عن هذا النشاط الذى أخذ يدب فى المدارس وقد أغلقها بعض أسلافه ولم يبق إلا على فئة منها لا تغنى ولا تثمر ، فأعاد اسماعيل تأليف ديوان المدارس بحيث يضطلع فى تنظيمه الجديد بالشئون التى ألقيت على عاتقه .

أنشأ الخديو شتى المدارس التى كان لها فضل النهضة الأدبية والفكرية فى عصره وفى عصور خلفائه من بعده ، فشهدت مصر لأول مرة مدرسة الهندسة فى سنة ١٨٦٦ وعوض عن مدرسة الحقوق بمدرسة الألسن الى لم يستسغ وجودها عباس الأول وشغل ديوان المدارس بأمر اللغة العربية ، كما لاحظ الخديو نفسه إهمالها فى مصالح الحكومة ، فرأى من ناحيته أن يرد لها اعتبارها فأمر بأن « المكاتبات التى تتداول من الآن فصاعداً بكافة الدواوين والمصالح الميرية التى بداخل جهات الحكومة تكون باللغة العربية » (١)

ولما كانت لغة الدواوين فى ذلك الوقت ركيكة العبارة ضعيفة الأسلوب شاء الخديو أن يقود أمر اصلاحها فى مصر ، دواوينها ومدارسها فأمر بإنشاء مدرسة دار العلوم .

---

(١) أمر صادر للمالية فى ٦ شوال عام ١٢٨٦ هـ دفتر ٩٣٠ ص ٤٦

ولم يقف نشاطه عند هذا الحد من التجديد فأوحى إلى إحـــدى زوجاته أن تتولى أمر تعليم البنات فأنشأت لهن مدرسة كان عدد طالباتها أربعمائة فتاة (١) ثم افتتحت مدرسة أخرى فى العام الثانى ولم يبق من أنواع المدارس نوع إلا أقام الخديو صرحه . فأسس مدارس للصناعة والمساحة والمحاسبة والزراعة ، هذا بجانب ما أنشىء من المدارس الحرة التى لقيت عطفه وبره كمدارس الأقباط والمدارس الأوربية المختلفة .

أتكون هذه النهضة العلمية الضاربة فى كل علم ، الآخذة بكل فن من غير وسيلة تعبر عنها كما عبرت عن جزء منها يعسوب الطب ؟ ما كان يمكن للصحافة الرسمية اكتمال من غير إنشاء الروضة لمدارسها ، وهى مجلة أنشأها على مبارك باشا فى سنة ١٨٧٠ فى وقت كان يلى فيه شئون التعليم ، فهى صحيفة ديوان المدارس تنفق عليها الحكومة ، وكان الغرض من إنشائها النهوض باللغة العربية وإحياء آدابها ونشر المعارف الحديثة ، وقد ألقيت مقاليد أمورها إلى أستاذ الصحافة الرسمية فى القرن التاسع عشر رفاعه رافع الطهطاوى محرر الوقائع فى عهد محمد على وناظر قلم الترجمة فى عهد إسماعيل ، يعاونه فى إصدارها جهابذة العصر فى العلوم والآداب والفنون المختلفـة .

كانت روضة المدارس ميدانا رحيبا من ميادين الأدب يتبارى فيه أولئك الجهابذة بموضوعاتهم الطريفة وأساليبهم الرفيعة فى الأدب والاجتماع والتاريخ والفلك والرياضيات ، وكانت تصدر حافلة بذلك مرتين فى كل شهر . وقد أمر اسماعيل بتوزيعها مجانا على التلاميذ ، فعودتهم ملكة المطالعه والبحث ، وفتحت صحائفها للنابغين منهم فكان ذلك يشجعهم ويدفع هممهم إلى البحوث والمجهودات المستقلة عن دروسهم ، وهى أول صحيفة احتفت بعلم من أعلام الشعر فى القرن الماضى فنشرت الشعر الحديث الرقيق ، للشاب النجيب اسماعيل أفندى صبرى ، (هو اسماعيل باشا صبرى فيما بعد)

---

(١) الوقائع المصرية العدد ٥١٩ فى ٥ أغسطس سنة ١٨٧٣ وما بعده

وهو أحد تلامذة مدرسة الإدارة وقد أغنتنا افتتاحيتها عن الطواف برياضها لتسجيل غايتها وتبيان أغراضها ، فهى تذكر وظيفة مصر فى ذلك العصر ، عصر اسماعيل « المتكفل بسمو درجتها ونمو بهجتها وتقويم صعدتها وتمكين نجدتها ، هذا الأمير الذى استحق ثناءها لأنه رد إلى ديوان المدارس مكانته ، وهو ديوان كل ما يرجوه « اعتماداً على مساعدة العناية الخديوية تعميم العلوم وتتميم المعارف ، وانتشار الفنون وإكثار اللطائف ، ومداولتها بين جميع أبناء الوطن ، وتسويتهم فى الورود على مستعذب هذا المشروع الحسن ، ثم تضيف المقدمة إلى ذلك أن الارادة الخديوية أرادت إصدار صحيفة باسم (روضة المدارس) تكون مجالا لأنفس المواد العلمية « بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة والمسائل المتأصلة والمتفرعة أقرب تناولا للمطلع المستفيد ، وأسهل مأخذاً لمن يعاينها من قريب الفهم والبعيد ، بقلم سهل العبارة واضح الاشارة وألفاظ فصيحة غير حوشية ولا متجشمة لصعب التراكيب ، ثم تبين لنا الغرض من إنشائها بقولها « إن المرام من ظهورها بهذه الصورة هو أن تتكشف للعامة مخدرات العلوم وترفع حجبها المستورة وتستضىء بنورها أرباب العقول السليمة وأصحاب الطبائع المستقيمة ، وخصوصا بين أبناء المدارس .... حتى تتسع دائرة معقولهم ومنقولهم .... ويبعثهم على ازدياد اهتمامهم إذا علم كل منهم أن ما يظهر من أعماله المستحسنة ، ويشهر من أشغاله الدائرة على الأفئدة والألسنة سيقيد بهذه الصحيفة » . أما موضوعاتها فهى « رسائل مؤلفة جديدة ونبذ مصنفة مفيدة من فنون وعلوم مختلفة ومسامرات من مستحسن الحكايات والأخبار مقتطفة ، وبعض تراجم من لغات أجنبية ، وسيكون كتابها من خيرة عمال ديوان المدارس ، ويصبح تحريرهم فى الروضة من أهم وظائفهم ، لذلك « صار كل منهم برسم عضو تأسيس يتشكل به جسم هذه الصحيفة مندوبا من طرف الديوان ، وكان أظهر من عمل فيها أبو السعود أفندى الذى اختير لترجمة مقالات الاساتذة الأجانب المنشورة فى الروضة وقد عنيت إلى جانب ما ذكرنا بشئون المدرسين ، تنقلاتهم وترقياتهم (١) وقد

---

(١) روضة المدارس - العدد الخامس

استغرقت بداية الصيف من كل عام أخبار الامتحانات المدرسية و حفلاتها كما أزدحمت بعض أعدادها بروائع من الشعر وقصائد المديح فى الخديو اسماعيل، وشغلت بعض سطورها بالاعلانات، وهى اعلانات شديدة الصلة بوظيفتها كفتح المدارس وبيع الكتب والحاجة، إلى خوجات، وما إلى ذلك

هذه هى الروضة التى بلغنا بها آخر مراحل النشاط الصحفى الرسمى فى عهد الخديو اسماعيل، وهى نهاية موفقة كما كان البدء موفقا فى الوقائع المصرية، ويكاد يكون عهد الخديو خاتما لنشاط الصحافة الرسمية فى مصر، فيما خلا مجلة شهرية علميه طبية نشرتها الحكومة فى أواخر سنة ١٨٨١ وقد أذاعت الأهرام فى محلياتها أن الأطباء الذين درسوا الطب فى أوروبا، شرعوا يفكرون فى إصدار جرنال طبى وأنهم عرضوا الأمر على رئيس النظارة فسهل لهم وقرر معاونتهم باحالة نفقة (الجرنال) على الحكومة، وأن أعضاء الجمعية الطبية انتخبوا لرئاسة تحريره الدكتور حسن بك محمود»(١)

وإلى أن عين الشيخ محمد عبده محرراً للوقائع لم نشهد جديداً فى الوقائع المصرية عما كانت عليه قبل عزل اسماعيل وتولية توفيق، فاذا أخذ الاستاذ الإمام مكانه فى تحريرها فى ٩ اكتوبر ١٨٨١ تغير تاريخها كله، وأبت أن تعطى صورة للصحيفة الرسمية - لولا وظائف محرريها فى الدولة ونشرها فى مطبعة حكومية - فهى قد جاوزت وظيفتها وتخطت حدودها وأصبحت صحيفة رأى وفكرة قبل أن تكون صحيفة حكومية تخرج لنشر القوانين وتسجيل الحوادث الرسمية، فهى فى ذلك الوقت من حيث سعادة مصر أو شقاؤها، طمأنينتها أو قلقها، تقدمها أو تأخرها، صورة حية لهذه الآمال والآلام، فإن كان تاريخ مصر مجموع حوادث شعب له حياة سياسية وأدبية وعقلية، فلتغير سير الجريدة الحكومية وتحريرها أيام الشيخ مكان رفيع من تلك الحوادث ومقام سام من ذلك التاريخ فهو قد أحدث للجريده لائحه رفعت من قدرها وقومت تاريخها، وبدلت غايتها وسار بها رويداً ثم حثيثاً إلى الصحافه الحرة المعاصرة، وإن ردها الاحتلال البريطانى إلى رسميتها الأولى ومقامها القديم.

---

(١) الاهرام فى ٥ فبراير عام ١٨٨١

لم تشهد السنوات الأخيرة من عهد اسماعيل صحفا رسمية أخرى ، بل أن الصحف الرسمية بدأ يعتورها الانحلال لعدة أسباب . فهى قد بدأت فى أوائل عهد الخديو يوم أخذت الحكومة على عاتقها شئون الحياة السياسية والاجتماعية وتصويرها فى صحف تصدرها هى وتملى عليها اتجاهها وتخضعها لرقابتها . ثم خرجت هذه الشئون فى نهاية عصر اسماعيل من يد الحكومة حين ظهر رأى عام لم يعد يحتمل هذه الصحافة المحدودة أو يكتفى بأفقها الضيق ، فنشأت صحف شعبية ملأت الفضاء ، وخنقت بشبابها الصحافة الرسمية القديمة ، ومن هذه الأسباب أيضاً أن حكومة اسماعيل قبضت يدها عن البذل لهذه الصحافة بعد الأزمة المالية التى أخذت بخناق الدولة فى جميع دواوينها ومصالحها ، ومن بينها ديوان المدارس وصحيفته والجيش ومجلتاه والطب ويعسوبه

ويجدر بنا ونحن نشيع هذه الجرائد الرسمية ونكتب صحيفتها التاريخية أن نذكر أفضالها على الحياة المصرية فى جميع جوانبها ، فأما أقدمها وهى الوقائع المصرية فلم تتعثر فى حياتها إلا لماما ، ولم يعرف فى تاريخ الصحف الشرقية جريدة بقيت على الزمن وتخطت أحداث الحياة ومضت قدما كصحيفة الوقائع ، ولم يعرف فى تاريخ الصحافة الرسمية جريدة شغلت الحياة الفكرية كالوقائع الرسمية ، فقد كانت معلماً لأدباء الشرق ولمفكرى مصر الكثيرين ، تحنو على طلاب العلم ومبعوثى الدولة(١) فتفتح لهم صدرها وتسمح للعامة بنشر مقالاتهم وآرائهم فيها(٢) وإذا كانت الصحافة فى عمومها مدرسة للتعليم والتثقيف فان الوقائع بقيت زهاء أربعين عاما وهى وحدها هذه المدرسة ، تذيع على المصريين بعض الأدب والاجتماع والسياسة أحيانا ، وكان ظل هذه المدرسة يمتد مرة إلى بلدان أوروبا حيث يقرؤها الطلاب المبعوثون فى دولهـــا الكبيرة ، ومرات أخرى على كريت والشام وبلاد العرب والسودان حيث تطالعها الجاليات المصرية من جند وضباط ومدنيين . ولا

---

(١) الوقائع المصرية فى ١٤ يولية ١٨٧٠ (٢) الوقائع فى ١٧ ديسمبر ١٨٨١

يذكر تاريخ الصحافة الرسمية فى العالم كله جريدة حكومية تنقد الحكومة ورجال الدولة (١) نقداً ينغص عليهم حياتهم كما كانت تنقد المسئولين فى مصر قبيل الثورة العرابية نقداً لاذعا أفاد جوانب الحياة المصرية ومكن للاصلاح فى إدارات الدولة ومصالحها (٢) الأمر الذى نقلها إلى مصاف جرائد الرأى التى تصدر عادة عن الأفراد والجماعات. والوقائع المصرية فوق ما ذكرنا تعتبر مصدراً خطيرا من مصادر التاريخ المصرى الحديث، وكل مؤرخ لنواحى هذا التاريخ لا يعود إلى الوقائع ولا يكمل حقائقه من صفحاتها يعتبر مؤرخا ناقصا غير محقق لأنه لم يستق تاريخه من جدوله الأصيل، ويعتبر بحثه - مهما يكن جهده فيه - بحثاً تنقصه الدقة التاريخية وتعوزه الحقيقة الأولى المنشورة فى الوقائع المصرية فى أسلوب الأوامر والأحكام والقوانين وفى بعض المقالات الهامة التى تصور طبائع الشعب ومثله فى الحياة.

ولا يستطيع مؤرخ الصحافة المصرية أن يزعم للصحافة الرسمية أثراً مباشراً فى توجيه الرأى العام أو خلقه، بيد أنه يستطيع أن يجزم بأن هذه الصحافة عاونت على تهيئة الأفكار وتثقيف العقول وتنوير الأذهان ولفت النظر إن صح التعبير. فجريدة أركان حرب الجيش تذكر كثيراً من مواقف الجيش المصرى المخلدة فى أيام محمدعلى وابراهيم، وتصور لضباطها موقف ضباطه فى الذود عن الوطن والدفاع عن حرمته وكيف طرد الانجليز فى سنة ١٨٠٧، وهى لا تذكر ذلك اعتباطا أو لمجرد الذكرى فى عددها السادس من المجلد الأول فى سنتها الثانيه بل تعلق قائلة، وإذا قدر الله بغزو هذه الديار مرة أخرى فليتذكر ضباط الجيش المصرى غزوة سنه ١٨٠٧، وليكن كل ضابط مصمما على المدافعة والذود عن وطنه ولا يرتكب العار فى التسليم كما ارتكبه أمين أغا، بل يدافع بنفسه وبعساكره عن كل نقطه يتجه الهجوم اليها، كما فعل على بك السلانكلى الذى اكتسب الفخر والشرف ومنع العدو وصده عن الوطن.

---

(١) تاريخ الامام ج ١ ص ١٧٩
(٢) الاسلام والتجديد فى مصر ص ٤٤

وكانت الصحف الرسمية عموما مدرسة لصحفيي مصر فيما بعد فمن تلاميذها كما ذكرنا رفاعه الطهطاوى ، وهذا له مدرسته التى ضربت بسهم صائب فى الصحافة الشعبية كعثمان جلال فى نزهة الأفكار وأبى السعود افندى فى وادى النيل وولده أنسى فى روضة الأخبار وصالح مجدى وعبد الكريم سلمان وأحمد عبد الرحيم فى الوقائع والشيخ محمد عبده فى العروة الوثقى . والصحف الرسمية مهما يكن عدد قرائها قليلا لها أثر عميق جداً فى مقومات النهضة العلمية الحديثة ، فقد عودنا العهد القديم أن يكون الأزهريون وحدهم رجال العلم القارئين له الكاتبين فيه ، ولكن الصحافة الرسمية أشركت معهم بل قدمت عليهم فئة أخرى غير رجال الدين من التلاميذ والموظفين والضباط والمعلمين ، فلم تعد القراءة أو الإنشاء وقفا على الأزهريين أو احتكاراً لهم ، كما نزعت المطبعة فى أوربا احتكار الكنيسة للعلم والمعرفة . وتولت الصحف الرسمية فى كثير من المواقف الدفاع عن الحكومة وشرح موقفها وتعداد أفضالها ومآثرها ، ودحض ما يراه الأجانب من السوء فى سياستها كما حدث يوم تولى الطهطاوى تحرير الوقائع واشتدت المشاكل على مصر قبيل معاهدة لندن وبعدها ، وأعادت الصحيفة الرسمية سيرتها فى أوائل عهد اسماعيل ، بل جعلت سياستها ليس مجرد الدفاع عن الحكومة بل مهاجمة خصومها فى صحافتهم المنشورة فى مصر أو الذائعة فى أوربا .

فبهذا وبغيره من مقالات الصحف الرسمية رأت المجموعة القارئة فى ذلك العصر شيئاً جديداً لم تعتده ، كما هيأت للطلاب والكتاب والمدرسين فرصة المنافسة بالاطلاع والإفادة والإنشاء فى غير موضوع واحد ، والإعلان عن الأكفاء والمجودين فى شتى العلوم والفنون وأتاحت الفرصة للشعر والشعراء فى الروضة أو فى الوقائع ، ونشرت فيها الكتب تباعا ، وهى كتب للعلم أو الحكاية التهذيبية كما ترجمت الفصول الطوال وأرخت بذلك لعصر الترجمة أجل تأريخ . ويجمل القول فى أسلوب هذه الصحف أنها زخرت بنوع من السجع الذى يزدحم بالفواصل ويشغل بالجناس ، وبعضه يثقل على السمع وينبو عن الفهم ويخرج على آداب اللغة العربية فلا يعدم من أساليبها المرضية

وأفضل ما فى تاريخ الصحافة المصرية الرسمية أنها نشأت مصرية خالصة ، ليس لغير المصريين فضل فى إنشائها أو تقدمها أو ارتقائها . بل كان لها هى الفضل على البلاد الشرقية بما علمت من رجاله أصول الإنشاء والتحرير ، حتى عادوا بعد قليل يقودون النهضة الصحفية فى الشرق ، وفى مقدمتهم أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب التى عظم شأنها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وكان لها فى تاريخ الشرق وتياراته السياسية أثروأى أثر ، كما كانت وثيقة الصلة بالخديو اسماعيل (١)

وإذا كانت المطبعة صاحبة فضل على الصحافة الرسمية فى مصر فإن الصحافة نفسها تقارضها هذا الفضل وتبادلها هذا المعروف ، فإن إنشاء الوقائع استتبع توسيع مطبعة بولاق فى أول الأمر (٢) ثم فرض أخيراً إنشاء مطبعة خاصة بها فى عهد محمد على وقبيل الاحتلال الانجليزى كما أوحت الصحف العسكرية بإنشاء مطبعة الجهادية وروضة المدارس بالتمكين لمطبعة الحكومة من التقدم والارتقاء

---

(١) محفوظات عابدين Dossier 45-2 فى سنة ١٨٧٠

(٢) راجع فى ذلك كتابنا (تاريخ الوقائع المصرية عام ١٨٢٨–١٩٤٢) طبعة ١٩٤٢

الفصل الثالث

نشأة الصحافة الشعبية

نشأت الصحافة الشعبية فى مصر نشأة غريبة عنها ، إذ تولى زمامها رجل دخيل فى عهد سعيد باشا ، وقد دعت ميول الوالى الجديد فى سياسته الداخلية إلى نشر هذه الصحيفة وهى الميول المعروفة عنه ، المأثورة عن أيامه ، فقد خول سعيد الفلاح حق الملكية العقارية للأراضى الزراعية ، وسن لذلك قانوناً مشهوراً باللائحة السعيدية (١) ثم وجد الوالى شعباً ينوء بالضرائب ، وعليه التزامات حربية ثقيلة أساءت الى النشاط الزراعى ، فعين الضرائب وربطها وألغى المكوس والجمارك الداخلية ، ثم هون الخدمة العسكرية وحفظ للجيش نقاوته من العناصر الأجنبية واحتفظ بطابعه الوطنى (٢) ثم ألغى الوالى متأخرات الضرائب (٣) ومحا فريضة العين واستبدل بها نقداً بعد الغاء نظام الاحتكار (٤) ، ويعتبر بره بالفلاح انقلابا اجتماعياً خطيرا ، فقد نال كما رأينا حق الملكية العقارية وأجيزت ملكية الحاصلات ومنح سلطة التصرف فى بيعها وتقدير ثمنها ، ولهذا أثره العميق فى شعب كان ولا يزال ملك الأرض عنده مادته الأولى والأخيرة ، فهدأت نفوس الفلاحين واستقرت أمورهم بعد أن كانت حياتهم لا تستقر على حال من القلق ، يهربون من قرية إلى قرية أو من القرى إلى

---

(١) الاطيان والضرائب لجرجس بك حنين ص ٣٨٨

(٢) Sabry, La Genèse de L. Esprit Nat. Egyp. P,13

(٣) مرو ـ مصر المعاصرة ٦٤

(٤) الرافعى عصر اسماعيل ج ١ ص ٢٦

الصحراء خوف الإذلال والكرباج . وقد استبدل سعيد المصريين بالأتراك فى في وظائف الدولة ودوائر أعماله (١) كما حارب بعنف الأرستقراطية التركية التى كانت تسيطر على الجيش والادارة ، وأسس مجالس لبحث المشروعات التى تعود على البلاد بالفائدة ، وأنشأ الوزارات المختلفة (٢) كما أنشأ شركات الملاحة ومد خطاً حديدياً ، وأشاع بين المدن أسلاك البرق الحديثة ، وشرع فى شق قنال السويس كما شق غيرها من القنوات الداخلية (٣)

لم تكن هناك حروب كحروب محمد على تفرق بين الأسرة وعائلها أو يجند لها الأفراد السنين الطوال ، وكانت سبل المعيشة هينة لينة حتى على أفقر الناس وأكثرهم إملاقا ، وفى هذا العهد قامت الحرب الأهلية فى أمريكا فحالت دون استثمار قطنها وأفادت مصر من ذلك فائدة عظيمة ، وبلغ ثمن قطنها ثلاثة أمثال الثمن القديم (٤) فهذه السياسة المشربة بروح العطف من الوالى ، وهذا الرغد — مهما يكن حكم التاريخ فيه — قد أنعش حياة المصريين الأدبية والمادية ، وإلى جانب هذه اللفتات من الوالى سعيد يجب أن نذكر أن الموافقة على امتياز قناة السويس فى سنة ١٨٥٤ كان عملا لا يقره السلطان ، إذ لم تؤخذ فيه مشورته ، وهو عمل فيه من استقلال الرأى وحرية العمل ما يزلزل قواعد التبعية للدولة العثمانية

حقا لم يكن هناك رأى عام بالمعنى المفهوم ليحس هذه السياسة العليا ، وإن كانت هناك موجة من الرضا والاطمئنان إلى العيش فى ظل هذا الوالى ، لذلك ساءت سياسة سعيد الداخلية والخارجية الدولة العثمانية ، كما ساءت الأتراك فى مصر وملأت قلوبهم حقدا عليه ، فكان خصومه أحرص منه على مخاطبة الشعب المصرى عن طريق الصحف ، فقد أحس الباب العالى أن هيبته فى نفوس المصريين قد هون من

---

(١) صبرى . كتابه السابق ص ١٤

(٢) Bréhier. L,Egypte de 1798-1900 p. 156-158

(٣) المصدر السابق ص ١٥٨ — ١٥٩

(٤) تاريخ المسألة المصرية لروذشتين تعريب العبادى وبدران الطبعة الثانية ص ٤

شأنها سعيد الذى لفت المصريين إلى جوانب من الحياة رضية لم يعتادوها من قبل ومن شأنها أن تصرفهم إلى حب واليهم والركون إليه ، وهذا مما يهدد مكانة الدولة العلية فى مصر ولم يفكر سعيد فى دعم سياسته العامة بتجديد الوقائع والعمل على انتشارها كما فعل أبوه من قبله أو خلفه من بعده وكذلك لم توح الساعة لفرد من الأفراد بأن يأخذ على عاتقه هذه المهمة ، فبقيت الدوائر الرسمية والشعبية خلوا من صحيفة قد تفيد فى الدعاية أو تشير برأى فيما يصنع الوالى أو تبين مواضع الخطأ والصواب فى سياسته ، ولكن الحكومة التركية على جهلها بقيم الصحافة ومعاييرها لم تفوت الفرصة فأرسلت اسكندر افندى شلهوب إلى مصر فأصدر مجلة السلطنة Alsultana وهى صحيفة أسبوعية كان الغرض من إصدارها باللغة العربية أن تلفت المصريين إلى واجباتهم نحو الباب العالى وما له عليهم من حقوق (١) ، ثم تذيع من وقت لآخر الأخطاء التى ترتكبها الحكومة المصرية (٢) وهى أخبار فى رأى الدولة تبين للمصريين أنهم منساقون إلى أمور خطيرة ، كما أن من غايات هذه المجلة أن تنال من هيبة الأسرة العلوية فى أسلوب ملتو لا يسىء إساءة علنية .

هذه هى الصحيفة الشعبية الأولى التى شهدتها مصر ، وهى كما يدلنا تاريخها لا يستطيع أن ينكرها مؤرخ الصحافة المصرية أو ينكر عليها وجودها كصحيفة شعبية ، وكأول صحيفة تعارض الحكومة . فشلهوب يجوز له أن يكون صحفيا فى مصر أو الشام أو الآستانة ويحسب على المكان الذى ينزل فيه ما دام ينتسب بالرعوية إلى السلطان كما تفيد اللوائح والقوانين السارية فى الدولة العلية وممتلكاتها إذ ذاك ، ولكنها ليست صحيفة مصرية لا فى كتابها ولا فى اتجاهها وأغراضها ، ومهما يكن أمر هذه الصحيفة فقد أخفقت ولم تبلغ القصد الذى أرادته ، إذ أن الناس فى ذلك الوقت لم يكونوا على قدر من التعليم يسمح لها بالبقاء أو الرواج ، فلم يعد لشلهوب ولا

---

(١) Munier, La Presse En Egypte. p. 1-2.

(٢) Clément Huart « La Littérature Arabe » Paris 1902. p. 428

لجريدته أى أثر فى تفكيرهم فاحتجبت بعد بضعة أعداد (١)

ومنذ صدرت مجلة السلطنة فى سنة ١٨٥٧ لم تشهد مصر صحيفة شعبية أخرى إلا بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ، فقد رأينا الوالى الجديد يهتم بالصحف الرسمية اهتمامه المأثور؛ ثم يهتم بالصحف فى خارج مصر، وخاصة فى باريس والآستانة، فيدفع لها من ماله، ويبسط يده لها كل البسط (٢) ذلك لأن اسماعيل ووجه فى أول حكمه باتفاقية القناة التى عقدها سلفه فأراد تعديلها، وقام وزيره نوبار بحملة موفقة فى فرنسا وفى صحفها ضد الاتفاقية، انتهت بتعديل كثير من الشروط المجحفة (٣)

ثم كانت له حاجات عند السلطان فى وراثة العرش فرشا رجال دولته وصحفيى الآستانة، فرنجة وأتراكا (٤) وأخذ بره هذا بالصحف والصحفيين ينتقل من باريس إلى عاصمة الدولة ثم مربلاد الشرق الأدنى، وأخيراً وضح أثره فى صحافته الرسمية على الصورة التى شرحناها فى فصل سابق.

تولى اسماعيل حكم مصر والناس يرون شئونهم العامة والخاصة ملكا لحاكمهم أو من يوليه تدبير أمورهم وكان شقاؤهم أو سعادتهم موكولين إلى عدله أو ظلمه وليس لأحد منهم رأى يبديه أو إرادة يتقدم بها لعمل ما وكانوا بعيدين عن معرفة حال الأمم الأخرى سواء كانت إسلامية أو أوربية، ومع كثرة بعوث محمد على لم يشعر الأهالى بشىء من ثمرات الأسفار والبعوث العلمية. ومع أن هذا الرأى صحيح من حيث انطباقه على صدر حكم الخديو فإن اسماعيل أسس لهم مع ذلك مجلساً تشريعياً فى سنة ١٨٦٦ هو مجلس شورى النواب الذى شغل إنشاؤه الصحف

---

(١) Ramadan. Envolut de La Légis . de La Presse En Egyp. p. 8

(٢) محفوظات عابدين . Doss. 44 - 1

(٣) راجع محفوظات عابدين فى الوثائق الفرنجية والتركية والعربية وهى أكثر من أن تعد

(٤) كرابيتس — اسماعيل المفترى عليه — ترجمة صروف ص ٥٣

الأجنبية (١) وكان من حق هذا المجلس أن يعلم حالة المصريين وأن يقرر فيها القرارات وهى فى الواقع لا ترفع إلى الخديو على أنها قرارت بل تقدم اليه على أنها رغبات له أن يفصل فيها بالرفض أو القبول . وهذا المجلس لا يستطيع بحكم لائحته أن يؤثر تأثيراً فعلياً فى اتجاهات الحكومة والتزاماتها (٢) وذلك لأن حاكم مصر فى ذلك الوقت وإن كان قد عمل على نهضة بلاده إلا أنه عاش فيما يختص بالحكم ونظمه بوحى من عصور الأحكام المطلقةلذلك لم توح اللائحةولا الوالى ولا نفسية الأعضاء بأن يجرؤ المجلس على فهم وظيفة النيابة كماهى الحال فى أوربا فبقى أداة طيعة لحاكم مصر لا يقوى على معارضته أو لعله لم يعرف بعد كيف يأخذ المعارضة .

ذكرنا هذه الإلمامة بشئون مصر العامة ثم أشرنا إلى مجلس شورى النواب ، لأنه حدث جديد غير معروف فى مصر ، هو شىء يتصل بأبهة الملك وتقليد أوربا فكان غريباً حتى على عقول أعضائه ، أولئك العمد الذين يأتون من بلادهم ويختمون على لوائح لا يعرفون ما فيها بل ولم يعرفوا ماعزى اليهم من الأقوال ، (٣) . وإذا كان المفروض أن يكون فى مصر مجلس للشورى يجتمع وينفض على هذا النحو فان الصحافة الرسمية لا يجوز أن تكون معبراً عن هذا المجلس الشعبي ، ومن هنا بدأ إسماعيل يرى وجوب إنشاء صحيفة شعبية تمثل المجلس أو اتجاه هذا المجلس أوتساير الفكرة فى وجود هذا المجلس ، فأوحى إلى أبى السعود افندى بأن يصدر جريدة وادى النيل .

قد يظن بعض المؤرخين أن جريدة وادى النيل صحيفة شعبية بالمعنى المفهوم ، ففيليب دى طرازى يذكر فى تاريخها أنها ، مجلة سياسية علمية أدبية أنشأها سنة ١٨٦٦ عبد الله أبو السعود ناظر المدرسة الكلية التى أسسها محمد على الكبير فى القاهرة وهى أول صحيفة عربية تناولت مثل المباحث التى كانت تنشرها فى القطر

---

(١) Douin . His. du Règne du Khed . Ismail. T. I p. 297.

(٢) الرافعى فى كتابه « عصر اسماعيل » ح ٢ ص ٩٢ وما بعدها

(٣) الوطن فى ديسمبر عام ١٨٧٨

المصرى وصدرت مرتين فى الأسبوع ، وعبارتها صحيحة وأفكارها سليمة ، وساعدها الخديو اسماعيل لأنها كانت تخدم أفكاره باخلاص واعتدال دون أن تتعرض للمسائل الدينية » (١)

فالفكرة إذن فى إنشاء هذه الصحيفة هى خدمة الخديو باخلاص وتحقيق سياسته فى اعتدال ، وما كان يمكن أن تمثل « جريدة وادى النيل » الصحافة الشعبية فى غير هذا الحيز الضيق من الحرية ، ذلك لأن صاحبها موظف فى الحكومة له مآثر وخدمات فى الصحافة الرسمية ، وهو من تلامذة رفاعة رافع رأس هذه الصحافة(٢) فلا غرو أن أوحى اليه اسماعيل باصدار وادى النيل ، فذكرت الوقائع المصرية خبر إنشائها فى محلياتها (٣) وحيتها إحدى الصحف الفرنسية المعاصرة فى مدينة الاسكندرية قائلة « قد حدثت صحيفة مصرية جديدة بمدينة القاهرة تسمى وادى النيل ، وقد أوضح منشئها وناظرها أبو السعود افندى فيما أورده من بيان الغرض المقصود بانشائها إنه التزم بأن ينشر فيها الأخبار النافعة للديار المصرية سواء كانت ترد من أوربا أو من الأقاليم المصرية » (٤) ويبدو من العددين النادرين اللذين حصلنا عليهما (٥) أن وادى النيل محاولة لا بأس بها كأول صحيفة وطنية فى مصر ، وقد ازدحمت معظم صفحاتها بأخبار الخديو ورجال حكومته ، ولولا أنها أعلنت شعبيتها لظن متصفحها أنها صحيفة رسمية ، فهى صورة الوقائع فى تفكيرها واتجاهها ، يعرف أسلوبها الأدبى رواية الخبر ويتعلق محررها بالسجع ، فهى تحاكى الوقائع وتخطو على أثرها فى الشكل والموضوع معاً .

---

(١) تاريخ الصحافة العربية جـ ١ ص ٦٩

(٢) راجع « أعلام الصحافة العربية » للمؤلف

(٣) الوقائع المصرية فى ٢٣ ربيع الاول عام ١٢٨٤ هـ

(٤) هذا الخبر منقول عن ذيل العدد الماشي من وادى النيل ومعه خبر مماثل تحدثت فيه جريدة حديقة الاخبار ببيروت عن صحيفة أبى السعود

(٥) هما العددان ١٠ و ١١ وهما يدلان على أن الصحيفة صدرت عام ١٨٦٧ لا ١٨٦٦ كما روت ذلك معظم كتب التاريخ

وقد سار على درب أبى السعود افندى كاتبان معروفان فى عصر اسماعيل بعلو الهمة وواسع الدراسة ، والدراسة الغربية بالذات ، وهما ابراهيم المويلحى وعثمان جلال (١) فأنشأ (مجلة نزهة الأفكار) صحيفة سياسية أسبوعية ، وكانا جديدين حقاً على الصحافة المعاصرة فى سنة ١٨٦٩ فصدرت جريدتهما غريبة عن الوسط الصحفى ، بعيدة عما يقره الخديو من آراء ، فلم يحتمل هذا التجديد فى الرأى والمعانى فهو يريد صحافة حرة ولكن بمقدار ، وهذان شابان قد غرتهما مظاهر التجديد الذى أخذ يدب فى الحياة المصرية فظنا أن أقلميهما حرية الكتابة على ما يهويان لكن إسماعيل بإيعاز من ناظر حربيته أمر بمصادرة الصحيفة بعد عددها الثانى (٢)

[بدأت الصحافة الحرة فى مصر ، لاهى شعبية ولاهى رسمية فى جريدة وادى النيل ثم تخلصت من رسميتها وظلت على سجيتها شعبية حرة فى نزهة الأفكار ، ووقف دون تقدمها حكم مطلق لا يحول دون بطشه بحرية الرأى حائل ، غير أن هذه الصحافة على قلتها قد غيرت من القول المشاع بأن الصحف المصرية بدأت فى كنف أهل لبنان وبجهد أبناء الشام . فهاتان الصحيفتان ومحرروهما من علمنا قد ردتا هذا الرأى وأبطلتا هذا الزعم وأوضحتا أن نشأة الصحافة الشعبية فى مصر كانت بأيد مصرية خالصة]

لم يكن اسماعيل فى أول الأمر يريد صحافة تعبر عن مصر أكثر مما كان يعبر عنها مجلس شورى النواب ، يريدها صحافة موالية فى جيدها حبل من رقابته مابقيت يدها ممدودة لنعمته ، صحافة هادئة تكون فى خدمته لتستحق عطفه عليها واحتفاءه بها ، وقد كان له أبلغ الأثر فى نهضتها ، ومساعداته الأدبية والمادية للقائمين عليها

---

(١) راجع عنهما « أعلام الصحافة العربية » المؤلف والحلبى فى تكوين الصحف فى العالم ص ٦١ والاسلام والتجديد فى مصر ص ٢٢ والمنار جـ ٢٢ ص ٧١٠ والرافعى عصر اسماعيل جـ ١ ص ٢٧٢

(٢) الرافعى عصر اسماعيل جـ ٢ ص ٢٦٣

غير منكورة ، وقد فتح صدره وصدر بلاده للصحفيين السوريين بعد أن جربت المصرية بجهد المصريين وأقلامهم ، فأقبل هؤلاء على اصطناع القلم واتخذوا الصحافة حرفة لهم حتى كان أكثر أصحاب الصحف من أهل الشام والبلاد المجاورة لها كصابونجى والنحلة ، وحموى وشعاع الكوكب ، وتقلا والأهرام . وكان لبعض هذه الصحف مواقف كريمة أخذت فيها جانب الخديو ودافعت عن استقلال مصر ؛ فقد بدأت العلاقات بينه وبين السلطان حين استوزر نوبار باشا وكلفه الدفاع عن وجهة نظر مصر فى بعض المسائل المصرية فى أوربا فاتصل نوبار بالحكومات الأوربية وتحدث معها فى أمر إنشاء المحاكم المختلطة فأذاعت السفارة العثمانية فى صحف فرنسا أنها تحذر المسئولين وعامة الناس من معاملة شخص يدعى نوبار باشا ويدعى لنفسه لقب وزير الخارجية المصرية لأن مصر كلها ليس لها صفة دولية ولا حق لها فى تعاقد دولى ؛ فكان أن ردت الصحف المصرية على السفارة التركية وأخذت تناقشها الرأى وتؤكد حق مصر فى مصالحها الخاصة لأن مصر لا يمكن أن تنزل إلى مكان الولايات العثمانية الأخرى وقد سبق لها أن مضت عقد قنال السويس دون تدخل تركية أو وصايتها (١)

ولما كانت الصحافة الشعبية فى نشأتها الأولى يقوم على تحريرها جماعة من السوريين ، وهى حقيقة تاريخية لاينكرها أحد ، لذلك وجب علينا أن نبحث - قبل التأريخ لهذه الصحافة - إلى أى مدى بلغت هذه الحقيقة التاريخية من التقدير والاعتبار ؟ فلويس شيخو يقرر « أنه كان للسوريين فى هذه الحركة نصيب عظيم حتى كان أكثر تلك المنشورات ومنشئيها من أهل سورية وزاد عددهم فى وادى النيل بعد ضغط الدولة العثمانية على المطبوعات حتى أناف على ثلثى الكتبة المصريين فتقدموا على غيرهم بما عرفوا من النشاط والتفنن والحق يقال إن أكبر مجلات القطر

---

(١) — Douin. His. du Règne du Khed. Ismail T.1 P. 72

المصرى كالمقتطف وأعظم جرائده كالأهرام كان يحررها السوريون ، (١) وهذا القول على ما فيه من صدق لا يخلو من بعض المبالغة ، فالسوريون حقا كان لهم فى مصر فضل السبق فى فنى التمثيل والصحافة وكان نشاطهم ملحوظا فى هذين الفنين وله عند المؤرخ واجب التقدير ولكن ليس معنى هذا أن الصحافة المصرية ما كان لها أن تظهر وتستوى لولا وفود هؤلاء إلى مصر فقد ظهرت جريدتا وادى النيل ونزهة الأفكار فى الشق الأول من حكم اسماعيل قبل ظهور أى جريدة سورية فى مصر بعدة سنوات فان مصر وحدها هى التى هيأت للسوريين هذه الفرصة ، فقد كان واليها يشترك بمئات النسخ ويقوم موظفو حكومته بمساعدة هذه الصحف فى تحصيل اشتراكاتها من الأهالى ومن بينهم من فرضت عليه هذه الاشتراكات مع جهله بالقراءة والكتابة(٢) وأظهر من ساعدهم اسماعيل أصحاب الأهرام إذ أوحى إلى بعض الأعيان أن يقفوا جهودهم على مساعدتها والدعوة لها .

وللخديو فى هذا تاريخ معروف أثبتته الوثائق فقد كان حفيا بالصحف المصرية على اختلاف جنسيات أصحابها وتباين أغراضها وقد أمد بعضها باعانات غير جريدة الأهرام ، فاهتمام الحاكم المصرى بالصحافة قد سمح للسوريين بأن يجدوا المجال النشاط والعمل ممهدا فى مصر

ولا يمكن لمؤرخ الصحافة المصرية أن يغفل من حسابه فى بحث هذه الحقيقة التاريخية الكتاب الوافدين على مصر أو المقيمين فيها من أبنائها المصريين أولئك الذين ملئوا صحف السوريين وجالوا فيها بأقلامهم وألقوا اليها بما امتازت به عقولهم من عمق وفهم كجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وأبى السعود أفندى وغيرهم ممن له فى كل صحيفة من صحفهم ذكر سواء كانت جادة فى وطنيتها أو هازلة فى مصريتها ولولا هذه البيئة الحرة لما استطاعوا إلى النجاح سبيلا .

وإلى جانب هذه الحقيقة يجب أن نذكر أن الحرية — حرية القول والكتابة —

---

(١) لويس شيخو ٢ ص ٦٧ — (٢) المصدر السابق ص ١٣١

قد عزت فى بلاد الدولة العثمانية جميعا حيث ضغطت الحكومة على المطبوعات وطبقت قوانينها العنيفة التى أفلتت منها مصر بتشجيع واليها وإهماله لها . وقد استطاعت صحف الشاميين وغيرهم أن تعيش وتتقدم بمعاضدة بعض الدول الأجنبية مادياً وأدبيا مهما لقيت من عنت الحاكم أحيانا فقد كان لتدخل قناصل الدول فى مصر وحمايتهم لهذه الصحف أثر كبير فى بقائها ونجاحها وهذه ميزة لم تتحقق للمصريين من أصحاب الصحف الشعبية الأولى

فالبيئة المصرية ، والبيئة المصرية وحدها من بلاد السلطنة هى التى كانت تتمتع بحرية منقطعة النظير لا توجد فى سوريا ولا لبنان ، والطبيعة المصرية والتفكير المصرى سمحا بوجود صحافة تقرأ لأن النهضة المصرية كانت أوسع مدى مما عليه بلاد الشرق جميعا ، وظروف الحياة المصرية بخديوها وأزماتها واضطراب الأفكار فيها بجديد فى شتى الميادين، كل أولئك جعل مصر تحتمل فى سعة آدابا وصحفا وسياسة،وقد فرضت شخصيتها المعنوية المتميزة وجودها على الدولة العلية مستمدة هذا الوجود من تاريخ حافل وذكريات يحسب لها فى مقومات الشعوب ألف حساب وقد ثبت أن الصحف الوطنية الخالصة التى ظهرت بجانب الصحف الشامية فى مصر لم تكن أقل منها نضجا أو أثراً فى نفوس الناس وتهذيب الرأى العام وأن مصر«لو لم يكن فى ربوعها الحرية وفى أمرائها الأريحية والتنشيط» (١) كما يقول شيخو لما قصدها فرد من هنا أو هناك

ومجمل القول إن مصر كانت فى ذلك العهد أمة لها رأى عام مهما يكن أمره فقد كان يفرض وجود صحافة بدأت لينة ثم تطورت مع أحداث الزمن . والصحفيون السوريون مهما يقض التاريخ فى مكانتهم من الصحافة المصرية لم يكونوا شراً على البلاد فقد أخصب جهدهم وآتى أكله فى الأرض الطيبة التى تغذيهم طبيعتها وتسمو بهم إلى وضع أصبحوا اليوم فيه أكرم الأمثال

---

(١) لويس شيخو ج ٢ ص ١٣١

وقد سمح اسماعيل بوجود الصحافة الشعبية المصريين والسوريين على السواء وأجاز لبعضها البقاء وأغلق من تجاوزت حدودها ، ولم يكن فى النصف الأول من حكمه يسمح بصحافة لا تماثل فى اتجاهها وتفكيرها الوقائع المصرية فأباح لمحمد أنسى ابن عبد الله أبى السعود فى سنة ١٨٧٥ نشر جريدته (روضة الأخبار) فى القاهرة على أن تنشر ثلاث مرات فى الأسبوع وهى على مثال الجريدة الرسمية ، وقد تخصصت للسياسة والعلم والأدب والزراعة والتجارة وأعانها الخديو بالمال(١) وأذن لها بنقل أخبارها من الوقائع المصرية وترجمة موضوعاتها من جريدة ليفانت هيرالد(٢) Levant Herald التى تصدر فى القسطنطينية وتعمل لحساب الخديو ثم هى تشغل صفحاتها جميعاً بمدح ولى النعم وإن بحثت قليلا فى الشئون الدولية(٣) وترجمت بعض الكتب التى ألفت عن مصر .

وفى نفس هذه السنة يتقدم سليم تقلا ـ وهو شامى ناثر وله حظ فى قرض الشعر (٤) ، يلتمس التصريح إليه بإنشاء مطبعة تسمى (الاهرام) كائنة بجهة المنشية باسكندرية يطبع فيها جريدة تسمى الأهرام تشتمل على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية وكذا بعض كتب كمقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضات والأشياء التاريخية والحكمة والنوادر والأشعار والقصص الأدبية وما يماثل ذلك من الأشياء الجائز طبعها ، وقد رخصت الخارجية بإنشاء جريدة الأهرام على ألا يتعرض صاحبها ، للدخول مطلقا فى المواد البولوتيقية

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١١٥ فى ٢١ ذى الحجة ١٢٩١

(٢) لقيت هذه الصحيفة من مساعدات الخديو ووكيله ابراهام بك فى القسطنطينية تأييدا قويا راجع محفوظات عابدين فى سنة ١٨٧١ وما بعدها وكذلك كرابيتس فى كتابه اسماعيل المفترى عليه وكان لمحررها دلال غريب على الخديو فزار مصر وهيأ الخديو قطارا خاصا لنقله إلى القاهرة (محفوظات عابدين وثيقة ١٩٠ ص ٥٦ دفتر ١٩٤٩ غير رسمى)

(٣) روضة الأخبار فى ٢٧ يونيو ١٨٧٥ (٤) شيخو ج ٢ ص ١٣١ - ١٣٣



سليم تقلا أحد صاحبي الأهرام

وأمثاله لقانون المطبوعات، وصدر الأمر لمحافظ الإسكندرية « بعدم المعارضة للخواجه المذكور فى إنشاء المطبعة المحكى عنها » (١)

وقد مثلت روضة الأخبار وجريدة الأهرام الحقبة الثانية من حياة الصحافة الشعبية ، وهى حقبة تتميز بالهدوء الداخلى الذى لم تتعقد أثناءه الأحوال المادية كل التعقيد ، كانت الأولى صحيفة الخديو من غير شك وهى تؤرخ الحياة المصرية من وجهة النظر الرسمية فى تلك الفترة وكانت الثانية تمثل اتجاها آخر فهى جريدة وطنية غير أنها تعطى فرنسا ومثلها مكانا طيبا (٢) وأشاعت عند قرائها هذه المثل فى كل عدد من أعدادها تقريبا ويلمح قارىء الأهرام فى نشأتها الأولى شيئا من الضيق والتبرم بالسياسة الانجليزية (٣) وقد غنيت بالأخبار الداخلية العادية التى

(١) محفوظات وزارة الداخلية - قلم المحفوظات ١١ - ٢ - ٩٤٦ الجزء الاول

(٢) مونبيه . الصحافة فى مصر ص ٦

(٣) Martin Hartmann : The Arabic Press af Egypt p. 53

لا توحي باتجاه سياسي خاص وإن ازدحمت بالمقالات الاجتماعية وهي مقالات استقبلها الخاصة في مصر بمزيد التقدير والإعجاب (١)

تختم روضة الأخبار والأهرام (٢) الحلقة الثانية من نشاط الصحافة الشعبية كانت الحلقة الاولى تجربة غير ناضجة تولى شئونها المصريون وحدهم فماتت إحدى الصحف وهي وادي النيل لعوامل يقتضيها الفن الصحفي وكانت خلوا منها ، كجدة الأخبار وهي في أخبارها رجع الصدى للصحيفة الرسمية فلم تغر الناس بشرائها أو التعلق بها ، وقضت نزهة الأفكار لأنها تجاوزت الغرض من ظهورها ورأت الحكومة أن المباحث التي تطرقها أبعد مما تحتملها الظروف السياسية والاجتماعية في سنة ١٨٦٩ ومع أن روضة الأخبار سبقت صحيفة الأهرام في الظهور ولقيت من عطف الخديوي

---

(١) صبرى . كتابه السابق ص ١١٠

(٢) ظهرت صحف قليلة الأهمية بجانب هاتين الصحيفتين منها (شعاع الكوكب) لسليم حموى في سنة ١٨٧٦ وأغلقت بأمر الحكومة وأصدرت الاهرام في ٩ سبتمبر ١٨٧٦ صدى الاهرام وهي تشبه الاهرام من حيث الموضوع وأصغر منها حجما وهي (يومية للتجارة والحوادث والاعلانات) وقد احتفظت مكتبة طلعت حرب باشا ببنك مصر باسم نسخ منها وأصدر صاحب الاهرام في نفس السنة مجلة المنارة نصف شهرية (بهيئة كتاب وتبحث من الامور التجارية والصناعية والزراعية والاخبارية والطبية والكيماوية) (راجع محفوظات الداخلية قلم المحفوظات ١١ — ٤ — ٩٤٦ الجزء الاول) . وتأخر صدورها إلى سنة ١٨٧٨ حيث قالت الوطن في العدد الخامس عشر (قد سرنا ما بلغنا من أن صاحب جريدة الاهرام قصد أن ينشر جريدة علمية تسمى المنارة فنهنيء حضرته على هذا المشروع الحسن) ولا ندري أبقي أمر هذه المجلة مشروعا حسنا أو وضع موضع التنفيذ لأننا بحثنا عن هذه المجلة فلم نجد لها أثرا

ويظهر أن صاحب الاهرام أصدر في سنة ١٨٧٦ جريدة أخرى من غير اذن ولم يذكر اسمها . وقال فيها محافظ الاسكندرية لناظر الحقانية والخارجية في كتابه إن صاحب الاهرام دأب على نشر جرنال « تلحيق الجرنال المذكور » بدون اذن ويطلب اليه منع ذلك (محفوظات الداخلية ١١ — ٢ — ٩٤٩ جزء أول)

وبره الشيء الكثير وحفلت بالموضوعات الأدبية وترجم لها أبو السعود افندى فإن نشاطها حده الجهل بفنون الصحافة وحدته هذه الرسمية التى طغت على صفحاتها ، ولم يسلم من هذه الأزمات المتوالية للصحافة الشعبية غير جريدة الأهرام فهى شيء جديد حقا بما حملت من برقيات الأنباء الخارجية التى زخرت بها والموضوعات الأدبية والاجتماعية الطريفة التى ساهم فى كثير منها شيوخ الكتابة فى ذلك العصر كالشيخ محمد عبده (١) غير المساعدات الأدبية والمادية والرعاية الظاهرة من الحكومة المصرية والقنصلية الفرنسية التى حالت دون طغيان الخديو عليها فى كثير من المناسبات



بشاره تقلا أحد صاحبى الأهرام

(١) الأهرام فى ٢ سبتمبر ١٨٧٦

ولم تكن الحكومة راضية كل الرضا عن الأهرام وسياستها فى سنة ١٨٧٦ فلفتت نظر محررها إلى أنها كثيراً ما خرجت عن جادة الصواب إلا أن محرر الأهرام كان لبقاً فى دفاعه، إذ أكد لمدير المطبوعات أنه فيما يتعلق بالأخبار الداخلية فإنه ينقلها عن الوقائع والمونيتور وكلتاهما رسمية ، أما المقالات السياسية فإنما ينقلها عن الجورنالات الشهيرة الخالية من التعصب والمقبولة من الحكومة كالليفانت هرالد والفار دالكسندرى ، ثم هو يؤكد انقياده للحكومة ويذكر مدائحه لها ودفاعه عما تنشره الجرائد التى تطبع فى الخارج كالجريدة التى تطبع فى لندن ؟ (١)

ومن كتاب صاحب الأهرام نتبين مقدار الحرية التى منحتها الصحافة الشعبية فصاحب الأهرام يكاد يكون لسانا للحكومة وهو مع ذلك لم ينج من المؤاخذة على ما نشر من أنباء حرصت الحكومة على عدم افشائها فى الصحف العربية ، لذلك تحظر الحكومة على سليم تكله أفندى بأنه محظور عليه نشر الأخبار والمقالات السياسية بما فى ذلك النقل عن الصحف الأجنبية سواء كانت حكومية أو غير حكومية ثم تحرمه حتى من التعليق على الأخبار العادية فى الاسكندرية وإلا تعرضت صحيفته ومطبعته للعقوبة الشديدة (٢)

وفى هذا الجو من التضيق على حرية القلم تخطت الأهرام جميع العقاب بلباقة فاقت نزهة الأفكار وباجتهاد لم تبلغه وادى النيل وبذكاء أعوز روضة الأفكار وبحس صحفى نزل بصاحبيها يوما إلى مرتبة العمال وصفافى الحروف لتصدر صحيفتهما فى موعدها ولا تختفى عن قرائها (٣)

---

(١) وزارة الداخلية ١١-٢-٩٤٦ جزء أول . من سليم تقلا إلى عزتلو مدير قلم المطبوعات الأفخم . الاسكندرية ١٨٧٦

(٢) وزارة الداخلية ١١ — ٢ — ٩٤٦ جزء أول فى ٦ ديسمبر عام ١٨٧٦

(٣) جورجى زيدان . مشاهير الشرق ج ٢ ص ١٠١ طبعة ١٩٠٣ (من كلام تقلا بك إلى جورجى زيدان).

الفصل الرابع

تطور الصحافة الشعبية

ظهرت الصحافة الشعبية فى مصر أول ما ظهرت مماثلة من حيث الشكل والموضوع للصحافة الرسمية المعاصرة لها معنية بنافة الأخبار ناشرة لقديم الأدب المحفوظ فى بطون الكتب ، وكل ما كان يدور بين السلطات المصرية العليا وبين الدولة العلية أو دول أوربا كان باطنه أكثر من ظاهره ، وكان ما يباح نشره من المسائل الهامة يستوجب رقابة الحكومة ويخضع لوحيها ، ولم تكن حالة مصر الاجتماعية والسياسية حتى سنة ١٨٧٦ تسمح بأكثر من هذه الصحف وأهمها صحيفة الأهرام فقد فقدت الصحافة الشعبية منذ إنشائها حتى تلك السنة أهم عناصر الشعبية فيها وهى إبداء الملاحظة وإسداء النصح ، والنقد والمعارضة إذا استوجبت الظروف ذلك .

لم تكن الحياة المصرية تحمل رأيا عاما فى تلك الفترة من حكم عاهلها إسماعيل فقد عاشت مصر فى عهد محمد على كما تعيش القرية فى كنف شيخ محنك ذكى أرسل البعوث إلى أوربا فعاد معظمها وتولى مصالح الدولة ودواوينها وبدأت تتكون فى مصر طبقة وسطى لم يظهر أثرها فى عهده ، وبدأت هذه الطبقة تتفوق فى الصناعة والزراعة ومنازل الحرب وبيوت العلم فى عهد سعيد وخلال حكم إسماعيل وانتقلت مقاليد الأمور فى عمومها من الأتراك إلى المصريين وأيقظت هذه الطبقة البلاد يقظة سريعة موفقة ، ولم يكن ينقصها إلا التنظيم وشىء من الشجاعة لتستقيم لها الأمور ، غير أن الخديو وإن كانت هذه الطبقة أهم أدوات حكمه أبى أن يرفع أحد عقيرته

بنقد الحكومة أو معارضتها وإلا كان نصيبه العقاب الشديد . وفى هذه اللحظة قامت الحرب التركية الروسية وكان لها آثار بعيدة المدى على تفكير الناس واتجاه الصحافة الشعبية ، فقد كانت هذه الحرب أول مسألة خارجية اهتم بها المصريون لأنها تتصل بأمر الدولة صاحبة السيطرة عليهم وهى فى كفاح مع دول أخرى ، وكان الأجانب فى مصر يتناولون الصحافة الأوربية الواردة من الخارج وفيها من تفاصيل الحرب ودقة الاخبار مايغرى بقراءتها ، وهؤلاء الأجانب أصحاب مصالح عند خاصة المصريين وعامتهم فكانوا يتحدثون اليهم بهذه التفاصيل ، ولم تجد الصحف الشعبية بدأ من إرواء ظمأ قرائها بنشر تفاصيل هذه الحرب ، فقلدت الصحافة الغربية وانطلقت فى إيراد الحوادث ونشرها وظهر من بين السطور ميلها إلى ما كانت تأتى به العساكر الروسية من ضروب الشجاعة ، كما ظهر ازدراؤها لما كان ينسب إلى الجنود العثمانية من التهاون ، واختلف الناس فى أمر هذه الصحف واستقبلوها بين منفر ومحبذ . وقد نشأ عن هذه الحرب ، أن استحدثت صحف لنشر أخبارها ونشطت هذه الصحف الجديدة فى رواية الأخبار والتعليق عليها ومعارضة الصحف القديمة فى الرأى والمذهب حول هذه الحرب ، واشتدت المنافسة بينها وكانت المجادلات الصحفية فى ذلك الوقت أول حدث فى تاريخ الصحافة الشعبية وبذلك تغير الاتجاه الصحفى التقليدى فى الاقتصار على تافه الأخبار وغثها .

وأهم ما أثر عن هذه الحرب أنها لفتت الصحف المصرية إلى الدول الأجنبية وخاصة ما كان منها متصلا بالسلطان والدولة العثمانية فأخذت تنشر عن أحوال الأمم الأخرى التفاصيل الغريبة وتشرح سيرتها السياسية والاجتماعية والمالية وتقارنها بما عليه مصر من سوء الأحوال (١) وقد أخذت جريدة الوطن (٢) وهى من آثار تلك الحرب تملأ صفحاتها الكبيرة بأنبائها شارحة تاريخ الروس وجغرافية بلادهم

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٣٧ — ٣٨

(٢) صاحبها ميخائيل عبدالسيد ومديرها جرجس ميلاد

باحثة أسباب الحرب مشيرة إلى موقف الروس من الدويلات العثمانية فى أوربا الشرقية وأحقية هذه الشعوب بالحرية التى تسعدها والدستور الذى تلح فى طلبه والمذاهب السياسية الجديدة التى تقف تركيا دون تحقيقها (١) وقد أصبحت جريدة الوطن سجلا لأطوار الحرب الروسية التركية بما نشرت من مقالات عن أسباب الحرب وأدوارها وختامها والمعاهدات التى تمت فى نهايتها وهى بحوث تدل على منتهى العمق والفهم، وقد أثرت هذه الحرب فى الأخبار الداخلية فقلت فى صفحاتها قلة ملحوظة.

ومما أثر عن هذه الحرب أيضا جريدة «مصر» لأديب اسحق فقد صدرت فى ٣٠ يوليه سنة ١٨٧٧ ويبدو من العددين النادرين اللذين حصلنا عليهما أن عنايتها بالحرب الروسية التركية قد مالت إلى جانب السلطان وهى فى أحدهما تتحدث عن الحرب وأطوارها وأمل الروسيا فى «الحيادة» من الدول وموقف الباب العالى من ذلك كله ثم تذكر فى ثانيهما خيبة الأمل التى لاحقت جنود الخليفة وتصور هذه الخيبة فى ألم وحسرة. (٢)

ولم تكن الأهرام أقل حماسة لأخبار هذه الحرب فقد انتهزت هذه الحرية التى أباحتها الحكومة وأخذت تندد بآثار الحرب فى مصر ثم مضت تدعو المواطنين إلى مساعدة جرحاها من المصريين، وفى هذه المقالات تنشر أعنف الأحاديث عن الظلم والظالمين وحكم الفرد وآثاره حتى تنبهت الحكومة إلى أن هذه الأحاديث تتجه إليها مباشرة ولا تتعلق بالحرب وظروفها فحسب (٣) فأنذرت الأهرام وهو الإنذار الوحيد فى غضون هذه الحرب واستكتبتها الحكومة تعهداً بألا «تدرج المواد الموجبة لتهييج الأفكار الأهلية عن أحوال الحرب الحاضرة» (٤)

ويبدو أن الجهات الرسمية فى مصر لم تحاول من ناحيتها عرقلة هذه النهضة

---

(١) الوطن فى نهاية عام ١٨٧٧ وأوائل ١٨٧٨ وخاصة العدد السادس عشر
(٢) مصر العدد ٣ و١٨ (٣) الأهرام عدد ٧٣ عام ١٨٧٧ وما بعده
(٤) محفوظات الداخلية ١١ — ٢ — ٩٤٦ جزء أول

الصحفية فغضت الطرف عما نشر من آراء أو أذيع من أخبار تمس الدولة العلية وإخفاقها فى هذه الحرب ، وذلك لأن الحرب الروسية التركية تتصل بمصر من حيث التزاماتها أمام السلطان . . طلبت الحكومة التركية مساهمة مصر فى هذه الحرب وقد ذكر الخديو فى مقالته الخديوية لمجلس شورى النواب فى ٣٠ أبريل سنة ١٨٧٨ أنه على استعداد لتقديم الجنود ومساعدة السلطان بيد أنه عقب على ذلك فى براعة بأن هذه المساعدة معلقة بحال الميزانية ومرتبطة أيضاً برعاية الدين العام (١) ومعنى ذلك أن الخديو لم يكن متحمساً غاية التحمس لاشتراك مصر فى هذه الحرب لأن المساعدة المطلقة مرهونة بحال الميزانية ، وميزانية مصر لم تكن تحتمل الاشتراك فى الحرب ثم إن ارتباط مصر برعاية الدين العام معناه اقتصار المساعدة على صورة ضيقة جداً فلم تشترك إلا ببضعة آلاف من الجنود لم تتجاوز ستة آلاف جندى وهذا عدد يسير جداً إذا علمنا أن سكان البلاد فى ذلك الوقت كانوا ستة ملايين نفس .

فلا غرو إذن أن كان موقف الحكومة المصرية مما كانت تنشره الوطن وغيرها موقفاً سلبياً بل موقفاً فيه من التشجيع ما سمح لهذه الصحف بالحديث فى أمور « بوليتيقية » ما كان يسمح لها بالخوض فيها من قبل ، ولم يكن للحرب الروسية التركية من فضل فى تطور هذه الصحف ونقلها إلى جو من الحرية فحسب بل كان لها فضل آخر وهو أن هذه الصحف أخذت على عاتقها وظيفة الدفاع عن الشئون المصرية الدولية وبذلك شاركت الصحافة المصرية الحكومة فيما كانت تختص به الحكومة نفسها فقد أنتجت الحرب الروسية التركية صلح سان استفانو بين الدولتين ثم مؤتمر برلين وما ترتب على ذلك من تضحية المسألة المصرية من غير مبرر واقتسام الإشراف على مالية

---

(١) Egyptian Despatch from the consulate general of the U. S. 30 may 1877 N 173

مصر بين فرنسا وانجلترا (١) . ولم تقف المطامع الأوربية فى مصر عند فرنسا أو انجلترا بل تجاوزتهما إلى روسيا التى طلبت رهن خراج مصر لتسدد منه تركيا غرامة الحرب بعد هزيمتها ، وهنا تبدأ الصحافة الشعبية وظيفتها الجديدة فتشرح قصة الحرب مرة أخرى وتعلق جريدة الوطن على ذلك لافتة الأنظار إلى طمع الدول الأوربية فى المصريين وخاصة انجلترا ثم تحمل فى شىء من العنف على الحكومة الانجليزية وعلى الصحيفة التى تمثلها فى ذلك الوقت The Standard وتشير إلى النيات السيئة التى تنويها إنجلترا لمصر فإن الصحف الإنجليزية دعت خلال الحرب إلى احتلال مصر حتى تحول القوات البريطانية دون تغلغل الروس إلى قناة السويس (٢)

كانت الحرب الروسية التركية حجر الزاوية فى تطور الصحافة الشعبية إلى صحافة حرة فقد شبت عن الطوق ورأت شئون مصر تسير فى اتجاه فيه غبن شديد على البلاد وقد أثار وجود الأفغانى فى مصر قبيل الحرب التركية الروسية وإنشائها تياراً من التفكير الحر ، فقد تتلمذ له الكثيرون من طلاب العلم والمتعطشين إلى الآراء الجديدة وكان حديثه ، ينير العقل ويطهر العقيدة ويذهب بالنفس إلى معالى الأمور ويستلفت الفكر إلى النظر فى الشئون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها وكان طلاب العلم ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام البطالة والزائرون يذهبون بما ينالون إلى أحيائهم فاستيقظت مشاعر وتنبهت عقول وخف حجاب الغفلة فى أطراف متعددة من البلاد خصوصا القاهرة ، (٣) . ولم يقف حظ الحياة

---

(١) عقد صلح تركيا وروسيا عقتضى معاهدة سان استفانو ولم توافق انجلترا على هذا الصلح وأمرت اسطولها بالتقدم إلى الدردنيل كما ارسلت جنودا إلى مالطة ثم انتهى الامر بموافقة روسيا على عقد مؤتمر برلين وقد اتفقت انجلترا سراً مع روسيا على تركيا على حين اتفقت مع الاخيرة على أن تتنازل لها عن قبرص وأعلن سلسبورى أنه ليس بينه وبين الدولتين أى اتفاق سرى ولكن صحافة انجلترا تذيع اتفاق قبرص . وهنا يهدد سفير فرنسا بالانسحاب من المؤتمر فيضطر الانجليز إلى ترضية فرنسا بمسائل خاصة بتونس منها حق الاشراف على المالية المصرية مناصفة (راجع ص ٨٧٥ . My Diaries)

(٢) الوطن فى ٩ مارس عام ١٨٧٨

(٣) الاستاذ الامام ح ١ ص ٣٧

الفكرية من فضل هذا الرجل عند حديثه الحلو ومحاضراته الممتعة لطلاب العلم ورواده من خاصة الناس فإن له على الصحافة الشعبية فضلا يعدل فضل الحرب الروسية التركية فهو الذى أوحى ليعقوب بن صنوع باصدار مجلة «أبو نظارة» أقدم الصحف الهزلية المصورة فى الشرق (١) وهو الذى اقترح على أديب إسحق إنشاء جريدة «مصر» فى القاهرة (٢) ويرجع إلى الأفغانى فضل السعى فى إخراج جريدة «مرآة الشرق» فقد توسط لصاحبها (٣) هنا وهناك حتى منح الترخيص بها. ولم يكن للأفغانى فضل الإيحاء والإشارة بانشاء هذه الصحف وحدها بل كانت له فيها المقالات الممتعة كحديثه عن «الحكومات الشرقية وأنواعها» ومقالته عن «روح البيان فى الانكليز والأفغان» وكان يمهرها باسمه تارة وتارة تحت حجاب اسم مصنوع مثل (مظهر بن وضاح) ومن أهم مقالاته فيها حملته على الانجليز تلك الحملة التى ترجمتها صحفهم (٤). وكذلك كانت التجارة مجالا لتلامذته كالأستاذ الإمام (٥) وكانت هذه الصحيفة تذكر الأفغانى وتنقلاته فى أسلوب غريب فتسميه «سيدنا فهرست كتاب الكمال وفذلكة حساب الجلال أستاذنا الأجل الفيلسوف الأكبر السيد جمال الدين الأفغانى» (٦) وقد لقيت التجارة حتفها على يديه فقد ملأها بالمقالات الثورية ابتداء من عددها السادس عشر ثم زعمت فى خبر من أخبارها أن الأمة وكلت اليه

---

(١) طرازى ج ٢ ص ٢٨٣ (٢) مشاهير الشرق ج ٢ ص ٧٠

(٣) صاحبها سليم عنحورى ولكنه تخلى عنها لابراهيم اللقانى لمرضه وعودته إلى وطنه وهو من الشآميين تلاميذ الافغانى وساعده فيها اسكندر نحاس كمدير لها وسعيد البستانى كمترجمها الاول وكتب فيها محمد عبده والشيخ على يوسف وهى لسان الحزب الوطنى فى نهاية عصر اسماعيل (راجع مرآة الشرق فى ٢٤ يوليو عام ١٨٧٩ عن كونها لسان الحزب الوطنى والتجارة فى ٢١ ابريل عام ١٨٧٩ عن تغيير صاحبها.)

(٤) الاستاذ الامام ج ١ ص ٣٩ - ٤١ و ص ٤٥

(٥) التجارة فى ١٧ يونية عام ١٨٧٩

(٦) التجارة فى ١٩ مايو عام ١٨٧٩ وصاحب التجارة هو أديب اسحق راجع أعلام الصحافة العربية

السفارة بينها وبين الخديو وكان هذا الخبر سبب تعطيلها الحقيقى (١).

عرضنا لأثر الحرب الروسية التركية فى الصحف الشعبية وبينا سهم الأفغانى فى نقلها إلى مصاف صحف الرأى وهذان عاملان لهما خطرهما فى تاريخ الصحافة الشعبية وتطورها وقد ظهرت بجانبها بعض العوامل التى لا تقل عنها أهمية ومصدرها الحالة فى مصر نفسها فقد جهد الخديو من ناحيته فى تهيئة الأفكار بما جدد فى حياة مصر الأدبية والمادية مما كان له أثره الواضح فيما بعد. وأنتجت محاولات الخديو الإصلاحية نتيجتها المرقوبة كما انتجت مساوئه نفس النتيجة فاذا الناس متبرمون لم تغنهم إصلاحاته ولم تحتمل طبيعتهم الرضية مساوئه فهو يعمل على إسعادهم فى ناحية وإفقارهم فى ناحية أخرى وأقرب الأمثلة ما ذكره قنصل الولايات المتحدة فى تقرير له وهو يتحدث عن الإصلاحات التى أدخلها الخديو فى مصر ويعقب على ذلك بحديث عن الأرض وتوزيعها وكيف استولت الأسرة المالكة على أكثر من خمسها وكيف كان هذا الخمس يفوق الأخماس الأربعه الباقية من حيث الجودة ومن حيث عناية الحكومة بارودائها وموقعها وتسخير الناس لخدمتها وكيف اختلستها من أصحابها بشتى الطرق (٢)

والخديو يستدين ويصبح دينه خطراً على الكيان المصرى فى نهاية عام ١٨٧٥ وفى أوائل عام ١٨٧٦ إذ أن هذا الدين أجاز للدول الأوربية حق التدخل فى شئون مصر ثم يشعر بالضيق المالى فضيع أسهم قناة السويس فى صفقة خاسرة ويستقدم بعثة كيف الانجليزية لتفحص مالية البلاد ثم توقف الحكومة عن أداء أقساط الديون وقد لاحقتها الأزمة من جميع جوانبها الأمر الذى ترتب عليه إنشاء صندوق الدين (٣) وتدخل الأجانب فى الشئون الداخلية.

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٤٧ و ٤٨ من ترجمة سليم عنحورى للافغانى

(٢) Despatch N 272 December 30 · 1878 . vol . 15 . p 78

(٣) فليب جلاد القاموس العام للادارة والقضاء عام ١٩٠٠ ج ٢ ص ١٤٤

لم يفد إنشاء صندوق الدين أو مشروع توحيد الديون فى مايو عام ١٨٧٦(١) أو إنشاء مجلس أعلى للمالية نصفه من الأجانب(٢) لم يفد كل هذا فى وقف تدخل الأجانب تدخلا مباشراً فى شئون مصر الداخلية بل ساعد ذلك على هذا التدخل حتى أصبحت حياة مصر المالية تحت رقابة مشتركة من الإنجليز والفرنسيين ثم تراءى لهؤلاء أن يؤلفوا لجنة للتحقيق فى ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ ، وكان من أظهر رجالها ريفرز ولسن Rivers Wilson أحد الوكيلين(٣) وينتهى أمر هذه الأزمات المالية المتلاحقة بإنشاء مجلس النظار لأول مرة فى تاريخ مصر وتتحقق بذلك فكرة المسئوليه الوزارية فى الحكومة المصرية بيد أن هذه اللفتة يشوبها وجود وزيرين أجنبيين فى مجلس النظار أحدهما إنجليزى للمالية والثانى فرنسى للأشغال(٤)

كانت هذه التطورات فى حياة مصر الداخلية امتحاناً لصحافتها ومحكا لنضجها وكفايتها فقد استفتحت الوزارة المختلطة أعمالها الأولى بإخطار رسمى لجميع الصحف التى « تتضمن الاعتراض بحالة خارجة عن حدود وظائفهم على مسلك الهيئة الحاضرة »(٥) ولم يكن قد بدا بعد من الصحف اعتراض على الهيئة الحاضرة بل إن الوطن ، وهى صحيفة حرة فى ذلك الوقت ، استقبلت الحكومة النوبارية استقبالا حسناً وأثنت على رجالها ثناء طيباً على اعتبار أنها وزارة مسئولة لا تظلم ولا تقضى بغير ما يوحى به القانون وخاصة المسائل التى تتصل بالمال وجباية الضرائب(٦)

وقد انتهزت الصحف تعيين الوزارة الجديدة فأخذت تشرح مساوىء العهد القديم فى تقريره « ضرائب غير مقررة ولا جائزة ولا مبررة » وتذكر موظفيه الذين أثروا من فقر الفلاح ونهبه حتى « أصبحوا من أهل اليسار والثروة والعقار وصارت فى حيازتهم أخصب الأطيان » ثم تتجه إلى ولسن واضعة بين يديه آمال

---

(١) نفس المصدر والجزء ص ١٣٣ (٢) نفس المصدر ص ١٥١

(٣) الرافعى . عصر اسماعيل ج ٢ ص ٨٢

(٤) لوموينتور أجيبسياق ٣ أغسطس ١٨٧٨ (٥) التجارة ٨ يناير ١٨٧٩

(٦) الوطن فى ٢١ أغسطس عام ١٨٧٧ وعدد ٤٣ فى سبتمبر عام ١٨٧٨

الفلاح فى القضاء على المفاسد والمفسدين(١) وتعقب فى موضع آخر بعد نشر تقرير ولسن عن الخلل المالى حاملة أشد الحملة على الخديو الذى كانت تسير الحالة بأمره وحده فيلزم الفلاح بالضرائب الفادحة ومع ذلك كانت خزانة الدولة خالية الوفاض ، بينما زادت عقارات الدائرة وبلغت مليون فدان ، (٢) .

وكان تشجيع الصحف الشعبية للوزيرين الأجنبين ظاهراً جدا حينما دافعت عن تعيينهما دفاعا شديدا لما طلبت إيطاليا أن يكون لها فى الغنيمة وزير ، فقد شرحت خدمات الوزارة المختلطة فى ارتفاع الأوراق المالية واستلام الموظفين رواتبهم والتمكن من عقد القروض الجديدة بفائدة ضئيلة وإن لم تفوت الشكوى من الموظفين الأجانب ورواتبهم المرتفعة . فالصحافة الشعبية لم تستقبل تعيين الوزارة استقبالا سيئاً ، وكان ذلك بعض واجباتها ما دامت شئون الحكم ألقيت إلى الأجانب ، ولكنها سالمت العهد الجديد لعله ينقذ مصر من العهد القديم ويقضى على المساوىء التى أساءت إلى الفلاح والموظف ، وأساءت إلى كثير من المرافق العامة والخاصة . وقد راضت الحكومة نفسها على أن تمنح الصحف بعض الحرية حتى تستطيع أن تفهم المآسى التى لقيها الشعب ، ولا يعنيها فى أول الأمر بعض الملاحظات التى تبديها الصحافة فى عنف كحملتها على مدير السكة الحديد الانجليزى أو مقالاتها فى الحالة المالية وماهية ، الحكومة المطلقة والمظالم الحاصلة والوزارة الشورية ، (٣)

لم يضغط الخديو على الصحف الشعبية خلال الحرب الروسية التركية ما بقيت ملتزمة مدحه والثناء عليه وكل ما شغلت به صفحاتها لم يمسسه من قريب ، فاذا حد التدخل الأجنبى سلطان الخديو فسح المجال لهذه الصحف فتنفست عما فى صدرها ونشرت مساوىء الحكم الخديوى قبل سنة ١٨٧٨ ولم تتحرج كما رأينا من مسألة الحكومة المشتركة وتحبيذها . واستطاعت أن تقول ماحالت دون قوله سلطة الخديو

---

(١) الوطن فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٨ (٢) الوطن فى ٩ أكتوبر ١٨٧٨

(٣) الوطن فى ١٢ أكتوبر و ٢ نوفمبر و ١٦ نوفمبر ١٨٧٨

فيما مضى ثم قلدت الهيئات المختلفة الصحافة فى الشكوى وإذاعة الفضائح بالمذكرات والمنشورات وأهمها مذكرة التجار الأجانب فى الاسكندرية التى أرسلوها إلى قناصل الدول ناعتين الخديو فى تصرفاته المالية بأقبح الأوصاف(١)

كادت ظاهرة الإعجاب بالحكم الجديد تستغرق صفحات الأهرام والوطن وغيرهما من الصحف المعاصرة التى لم تبلغ قدرهما من الذيوع والانتشار، غير أن هذه الصحف رأت بعض المآخذ فى الوزارة النوبارية فبدأت تلفت إليها النظر فى هدوء، فذكرت الوطن ما يجرى على ألسنة الناس من أن المستر ولسن سيعين موظفين إنجليز وسيقتدى به «دوبلنيار الفرنساوى» وأن ذلك سيحرم أبناء الوطن المتعلمين حقاً أجازه لهم تعليمهم وثقافتهم(٢). ثم تشتد بعض الشىء فترى جريدة التجارة أن حرمان المصريين حقهم فى الوظائف بربرية أوربية لا يجوز السكوت عليها لأن القوم «نازعونا الأرض المجبولة بدم آبائنا، وأصبحوا أمراء فى بلادنا وهى إمارة «الأجير وملكية المستعير وتأصل الدخيل ولا لوم عليهم فى ذلك ولا تثريب، فإن من لا يصون ماله يعلم الناس سرقته، ثم تهاجم الصحف الفرنجية «المطبوعة تحت سمائنا» لأنها لامت الوزير الفرنسى حين استخدم المصريين فى المسائل الهندسية وتذكر لها أن عهد الحرية المكبوتة وتقييد حرية الكتابة قد انتهى وأن الرأى الحر والفكرة الناضجة ليست احتكاراً للفرنجة دون المصريين

وقد ظنت الحكومة الجديدة أن تنفيس الصحف عن نفسها بذكر مساوىء الخديو وملاحظة شئون التوظف فى المصالح المصرية ورمى ولسن بالجهل فى الأمور المالية (٣) هو غاية ما تصبو اليه الصحف المصرية بيد أن الصحافة المصرية كانت قد بلغت من القوة ونضج الرأى واستقامة التفكير ماجعلها تبحث فى أعمق من المسائل التى عالجتها فقد كانت فكرة الشورى تأخذ عليها حياتها وجهادها فبدأت

---

(١) وثيقة رقم ١٣٦ ص ١٤٥ Blue Books 1878

(٢) الوطن فى ٣٠ نوفمبر عام ١٨٧٨

(٣) التجارة فى ١٠ أبريل و٨ فبراير و١٥ يناير ١٨٧٩

تنشر المقالات فى أن المسئولية الوزارية تكون عبثا على الصورة التى تألفت بمقتضاها الوزارة المختلطة فأمام من تكون هذه الوزارة مسئولة ؟ إذا لم يكن هناك مجلس النواب ، وهو يكون أهم شىء فى مصر كما أنه أهم شىء فى الممالك المتمدنة وإذا كان مجلس النواب لازما فى بلاد أوربا فهو ألزم لنا نحن المصريين لأن وزارتنا مختلطة من وطنيين وأورباويين والأورباويون لا بد أن يقدموا مصالح بلدهم وأرباب الديون على مصالح الوطنيين ، ثم تأخذ الصحيفة فى معالجة أمر تكوينه وحقوقه والتزاماته ثم تذكر فى مقال آخر الأهمية التى تعلقها على انعقاد هيئة تشريعية تسأل أمامها الوزارة إذ أنه « لا يخفى أن قوة المملكة وغناها لا يقوم إلا بانتظام مجالس شوراها » (١)

فإذا دعت الحكومة مجلس شورى النواب إلى الانعقاد استبشرت الصحافة بهذه الخطوة وأملت فى أن يضرب المثل على حيويته حتى يحس الناس وجوده ، وتحدثت عن أعضائه بأنهم قوم « لا تأخذهم فى الحق لومة لائم مع العلم بواجباتهم وحقوق الأمة وما بها من الآلام وبودهم لو افتدوا الإصلاح بدمائهم » (٢) فإذا تم انعقاد المجلس فى ٢ يناير ١٨٧٩ تشجعت الصحف بوجوده وانتقلت إلى معارضة الحكومة فى سفور وفى غير تحفظ . فحملت على ريفرز ولسن الذى لبس مسوح الرهبان حتى تمنت البلاد وجوده على ماليتها فلما تحقق له ذلك ألزم الفلاح بدفع الأموال المتأخرة فى السنوات الثلاث الماضية ، مع غرق الأراضى وشرقها فإذا لم يرض الفلاح بدفع هذه الأموال المتأخرة ألزموه أولا ببيع أرزاقه ومحصولاته ثم بيع مواشيه وأطيانه وجميع عقاراته بل زاد على ذلك بأن أمر بالاستعانة بالقساوة القديمة ، وعلقت على ذلك بأن السياسة القاسية لا تتفق مع حملات ولسن فى تقريره عن العهد القديم ثم تفصل ظلمه وجوره فى رفت

---

(١) الوطن فى ٢١ ديسمبر و٢٨ ديسمبر ١٨٧٨

(٢) التجارة فى ٢٣ ديسمبر ١٨٧٨

المستخدمين المشهورين بالخدمات الصادقة ، ثم تعلق آمالها على مجلس شورى النواب فى رفع المظالم جميعاً

والصحافة تشجع مجلس النواب وتعضده كما شجعها وجوده فهى تذكر أنباءه كاهم ما يعنى المصريين من أخبار فتنشر المقالة الخديوية والرد عليها وتبرز بعض النواحى فى هذا الرد وتشير إلى الجمل القوية فيه مثل مخاطبة الخديو بأنهم « نواب الأمة المصرية ووكلاؤها المدافعون عن حقوقها الطالبون لمصلحتها » ثم يتحدث الكاتب عن مجلس النواب . . . « وهو السبب الموجب لنوال الحرية وهو الباعث الحقيق على بث المساواة فى الحقوق » ثم يذكر مجلس النظار المسئول أمام الأمة ويشير المحرر إلى جمله هامة صدرت من مجلس النواب إلى الخديو على اعتباره ملكا لمصر المستقلة « ونعلن من صميم الفؤاد سرورنا وكمال ابتهاجنا بما تشرفت به مسامعنا من خطاب جلا لتكم » ثم يقرر المحرر أن مقالة الخديو ورد النواب أوجدا جواً من الثقة وأحيا آمال هذه الأمة التى لا تزال راجية أن تنال شرفها التليد « الذى شهدت به التواريخ وأنبأت به الآثار » (١)

وإن هذه التحية التى يلقاها مجلس النواب من الصحافة الشعبية لا تحملها على التهاون فى أمور البلاد إذا قصر المجلس فى واجب من واجباته فهى تبث شكواها لظلم الموظفين الوطنيين وخاصة فى السكة الحديدية وتبدى دهشتها من انصراف المجلس عن بحث مثل هذه الحالة فقد « كان بودنا أن مجلس شورى النواب الذى انعقد وضربت له المدافع أن يكون عن الوطن خير مدافع »

وهى إذا سخرت من المجلس والمدافع التى أطلقت له تأبى أن يهين أحد هذا المجلس وخاصة إذا صدرت الإهانة من أحد الوزيرين الأجنبيين فتقول عن موقف ولسن من الأعضاء أنه لم « يعرض عليهم قضية كلية ولا جزئية فكأنه يظن أنهم

---

(١) الوطن فى ٤ و ١١ يناير ١٨٧٩

ليسوا من الأكياس أو أنهم ليسوا من الناس بل إنهم كالأنعام أو أنهم بكم كالأصنام ، ثم تتجه إلى الأعضاء وتشجعهم قائلة ، فى هذا المقام الصعب الممتطى الزلق المرتقى يجب على الأعضاء التزام الخدامة ، وارتفاع الأخطار لايكون غالباً إلا باقتحام الأخطار ، ثم تحمل على الوزيرين الأجنبيين لأنهما تواطآ على الازدراء بالمجلس (١)

وتمضى الصحف فى تهيئة الأفكار وتفتيق الأذهان وتنشر بين آن وآن اقتراحات النواب أو لوائحهم كما تسميها فتذيع مع التقدير والتشجيع اقتراح محمود بك العطار وعبد السلام بك المويلحى إلغاء الضرائب القديمة دفعة واحدة وفرض ضرائب جديدة لا ترهق الفلاح ولكن رئيس الحكومة لا يعترف بحق النواب فى ذلك ولا يرفضه أيضا وتعرض جريدة التجارة هذه الحالة فى أسلوب عنيف وحجة قوية وتذكر فى شيء من الفخر بأن هذا البيان ، بيان النائبين علم الناس ، أن فى السويداء رجالا سودتهم نفوسهم فلا تسام خسفا ولا تضام عسفا ، (٢)

ثم تعالج الصحف أسلوب ولسن فى الحكم وطرائقه فى التفريق بين طبقات الأمة وبذر عوامل الفتنة بينها بتفضيله قوما على قوم ، هو يبسط السوط لجبى الضرائب من الفلاح وهو عار تقتله المسغبة ثم يأذن ، نصرف شهرين للعلماء الكرام إجابة لسؤالهم ، وترى الصحك هذه الفضيحة فى سياسة وزير المالية الإنجليزى وتعجب للعلماء من موقفهم ، لأنهم لم يراعوا إلا أنفسهم ولم يسألوا إلا إجراء أرزاقهم خاصة . وكان العهد بهم أن يؤثروا الغير على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة لوقوفهم موقف الرئاسة والإمامة وعلمهم بأن الذين لهم أرزاق

---

(١) الوطن فى ٢٥ يناير وأول فبراير ١٨٧٩

(٢) التجارة فى ٣ و ١١ يناير ١٨٧٩

متأخرة فى الزنامة هم ما بين يتيم وأيم وزمن ومقعد وغيرهم ممن لا يستطيعون حراكا لإصابة الرزق من غير هذا الباب ، (١)

فى مثل هذا الأسلوب القوى عالجت الصحافة المصرية شئون مصر متخطية جميع الصعاب الرسمية من انذار وتعطيل مؤقت ، فتحدثت عن مساوىء الخديو والوزارة النوبارية معا وهاجمت الأجانب ووزيرهم وشجعت مجلس النواب وأتاحت له فرصة الظهور ومدت رجاله بالرأى السديد الموفق وناقشت أموره الفقهية كواجب انتخاب رئيسه لا تعيينه وحقه فى فرض الضرائب والمسئولية الوزارية (٢) . كما بحثت فى وجوب فرض الضرائب على الأجانب وخاصة الوزيرين اللذين يتقاضايان ستة آلاف جنيه فى السنة من شعب يتشدقون بإفلاسه ، غير فصولها الأخرى فى المسائل المالية الدقيقة كالدين الموحد والثقة المالية والنقد

مهما يكن قضاء المؤرخين فى الوزارة النوبارية التى ضمت وزيرين أجنبيين فانها صاحبة فضل على الصحافة الشعبية وهو فضل غير مباشر ، فقد تولى نوبار النظارة طبقا لمرسوم ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ وهى أول وزارة فى تاريخ مصر الحديث تحملت المسئولية الوزارية ، والمسئولية الوزارية تستوجب الحذر أحيانا وتفترض سعة الصدر فتعامل الصحافة ، بالرفق والتلطيف وحسن البيان ، كما تقول جريدة التجارة وخاصة أن الوزارة ضمت ناظرين أجنبيين وهى صدمة وطنية أحس أثرها العامة والخاصة على السواء فقد كان المعروف أن الوزارة برمتها جاءت لتفض الأزمة المالية يعنى جاءت لتحمى مصالح الأجانب وترد اليهم أموالهم بشتى الطرق .

doesn't follow

ولم يقف سلطان الوزيرين عند هذا الحد بل تدخلا فى شئون الدولة جميعا فبدأت الصحافة تصور هذا التدخل بمقالات سياسية ذكرنا طرفا منها وكان لها أبعد الأثر فى أعضاء مجلس شورى النواب فنشط نوابه وأخذوا على عاتقهم مهام لم تبحها اللائحة

---

(١) التجارة فى ١٨ مارس ١٨٧٩ (٢) الوطن فى ١١ يناير ١٨٧٩

المجلس الأولى ولكنهم تشجعوا بعد أن رأوا فى الصحف قوة تنصرهم وتدفعهم وتحميهم فقد كانت لهم ، فى هذه الأيام بمنزلة المصابيح فى ظلمات الأحوال ، (١)

ثم أدت هذه الوزارة بأزماتها مع الموظفين ومشاكلها مع ضباط الجيش (٢) إلى اتفاق بين الصحافة والخديو لم يكن مكتوبا أو منصوصا عليه ولكنه كان اتفاق مصلحة مشتركة اقتضتها الظروف القاسية على الطرفين ، فالحكومة تشجع الصحف على إظهار ظلم الخديو ثم تشجع الفلاحين والسراة على كتابة العرائض فيما أصابهم من غبن على يديه (٣) ويستقبل ريفرز ولسن هذا كله استقبالا حسنا ثم لا تخرج الحكومة من ورطة الا لتقع فى أخرى وتنقلب الحال وتبدأ الطبقات شكواها من العهد الجديد الذى ساوى العهد القديم فى الظلم وزاد عليه أنه جرح الكرامة المصرية بتعيين وزيرين أجنبيين فى بلد مستقل . وكان من أظهر الطبقات ضيقاً وتبرما ضباط الجيش الذين احيلوا إلى المعاش فهؤلاء مثلوا المصريين جميعاً بالظلم الذى وقع عليهم والثورة التى قاموا بها . وأثر عن هذه الحركة تيارات خفية وعلنيـــة بين المشايخ والأعيان وبين الخديو وقامت الصحافة تمثل هذه الحياة الثائرة على الحكومة والأوضاع المعمول بها فتذكر علو همة الضباط الثائرين وعدالة مطالبهم (٤) ثم تطالب بوحدة الحكومة والشعب فى برلمان يمثل الأمة كل التمثيل وأن تكون مصر للمصريين وحدهم (٥) .

لم تفلح الحكومة المصرية برئيسها نوبار باشا ووزيريها الأجنبيين فى توجيه حياة المصريين فأصبحت حالهم أسوأ مما كانت قبل تولية الحكومة النوبارية أمور البلاد وضج البرلمان الانجليزى نفسه وصور المصريين فى عهد هذه الحكومة بأنهم أصبحوا بسياستها ، مجرد أشباح ، (٦) وشاركته فى ذلك الصحافة الانجليزية

---

(١) التجارة فى ٥ فبراير ١٨٧٩ (٢) الرافعى . عصر اسماعيل ج ٢ ص ٢٠١ - ٢٠٧

(٣) التجارة فى ٢ يناير ١٨٧٩ وقد نشرت عريضة محمد بنى سويف عما فيه الناس من ظلم

(٤) التجارة ٨ و ١٣ مارس ١٨٧٩ (٥) التيمس ١٦ و٢٨ ابريل ١٨٧٩

(٦) مضابط البرلمان الانجليزى المجلد ٢٤٤ عام ١٨٧٩ ص ٨٣٨ — ٨٤١

وعلى رأسها التيمس إذ تقول « إن مجلس النظار يستبـــد بالأمر دون رئيس الحكومة الذى منح حكم بلاده ، والإدارة تنتقل شيئاً فشيئاً إلى أيدى الأوربيين والمناصب العالية مغلقة فى وجوه المصريين مع أن مصر مهما بلغت بها الحال ملك للمصريين » (١) هذا حكم الانجليز على الموقف وهم أصحابه فلا عجب أن وزعت المنشورات ضد الحكومة وأعضائها (٢) واشتدت الصحف شدة لم يعهدها النظار فكتبت التجارة مقالا عنيفاً ضد واسن لإغفاله مجلس شورى النواب فعطلت خمسة عشر يوما واستقبلت أمر التعطيل باصرار على المعارضة « فان التجارة تحسب حب الوطن دينا والمدافعة عنه جهاداً فان عاشت فيه فهى سعيدة وإن ماتت فهى شهيدة ولقد أتاها الله النعمتين وأتاح لها الحسنيين فعاشت به وماتت عليه وستبعث بعد أسبوعين رافلة فى ثوب الشهادة مزينة بحلى السعادة على رغم أنوف حاسديها الذين أولوا كلامنا إلى ما لم نقصد وحاولوا إطفاء نور الحق ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المبطلون » (٣)

لم تستطع الحكومة النوبارية أن تواجه الحالة فاضطرت إلى الاستقالة وتولى توفيق باشا ولى العهد رياستها وأبقى الوزيرين الأجنبيين فى مكانهما القديم وزاد سلطانهما بما منحا من حق الفيتو على قرارات مجلس النظار (٤) بيد أن بنيان الحكم بقى متصدعا بالرغم من ولاية توفيق لرئاسة الحكومة . وقد استقبل مجلس شورى النواب الوزارة الجديدة أشد معارضة مما كان فرأت الحكومة أن تفض هذا المجلس ؛ وكان فى وسعها أن تصنع ذلك دون أن يحس الرأى العام ماصنعت ولكن الصحف تفوت عليها هذا الغرض وتهاجمها وتنصر النواب وتشجعهم وتعلن موقف المويلحى عضو المجلس من عطوفتلو رياض باشا الذى حضر إلى المجلس ليفضه حتى إذا ذكر الوزير شكره للخدمات التى قام بها المجلس ذكرت الوطن موقف المويلحى الذى انبرى للوزير محتجا بأنه لا معنى لتشكرات الحكومة

(١) التيمس فى ٣ مارس عام ١٨٧٩ (٢) الاستاذ الامام ج ١ ص ٢٣٨
(٣) التجارة فى ١٤ فبراير ١٨٧٩ (٤) Livre Jaune 1878 - 1879 p. 166.

فانهم – أى النواب – لم يبدوا مأثرة تنشر ولم يفعلوا شيئا يستحقون عليه الشكر والامتنان وأنهم مصممون على دوام انعقاد المجلس إلى آخر هذا الحوار البديع بين النائب والوزير . وقد أخذت الجريدة تعلق على ذلك كله وهى تلتمس للنواب مخرجا من الحرج الذى دفعتهم إليه الحكومة ، هذا الحرج الذى يحرمهم مواجهة ناخبيهم والتحدث اليهم فهم لم يفعلوا شيئا حقـا ولم يقوموا بواجبهم المفروض عليهم أداؤه . والجريدة ترى من واجبها أن تذيع على الناس ذلك الموقف « ليشهدوا المعركة بين الاستبداد والحرية » ، وليس هذا فحسب بل هى تحرض بقية الهيئات الأخرى على معاضدة النواب وتشجيعهم وتدفع الجماهير إلى شد أزرهم ذاكرة أن مجلس النواب المصرى تهزأ منه الحكومة وتراه لا يعادل مجلس نواب البلغار مع الفارق الكبير بين البلدين وبين الشعبين وبين موارد كليهما ثم تطالب بتنقيح قانون المجلس القديم إن كان له قانون كما تقول هى ؛ على أن يراعى فى وضع قانونه ظروف الزمان والمكان كما ألحت فى إطلاق حرية الصحافة ومعاملتها كغيرها وسن قانون لها ينظم أمورها . (١)

لم تستطع حكومة ولى العهد أن تواجه الحملة الصحفية بحزم مع أن الحكومة جمعت أصحاب (الجرانيل) وأكدت عليهم « بعدم درج شىء فى جرانيلهم مما يتعلق بمجلس الشورى والأجانب » (٢) وليست الصحافة وحدها التى زلزلت الحكومة وطوحت بهـا بل للخديو نفسه دخل فى ذلك ولمجلس شورى النواب نصيب غير منكور « فلم يعد هزوءة فقد أظهر أعضاؤه أدلة كثيرة على وجودهم واستقلالهم » كما تقول التيمس (٣) ولم يهمل بعض أعضاء المجلس والأعيـان الوزارة فأخذوا يحضون الجماهير على السخط على الحكومة فدعى بسقوط رياض وغيره من الوزراء فى المساجد والجوامع (٤) ثم اجتمعوا على هيئة « جمعية وطنية »

---

(١) الوطن ٥ ابريل ١٨٧٩ (٢) الرافعى – عصر اسماعيل ص ٢١٣
(٣) التيمس فى ١٥ أبريل ١٨٧٩
(٤) وثيقة رقم ١٠٥ ص ٦٥ Blue Books 1879.

ووضعوا مشروع تسوية مالية (١) وطالبوا بتعديل نظام مجلس شورى النواب على غرار المجالس الأوربية (٢) وأقر الخديو وجهة نظر الوطنيين ودعا شريف باشا إلى تأليف حكومة وطنية جديدة (٣)

كان انتصار وجهة النظر الوطنية انتصاراً للصحافة المصرية التى ساهمت فى ذلك مساهمة تحملت أثقالها وحدها من التضييق والإنذار والتعليق لذلك احتفلت بتعيين شريف باشا رئيسا للنظارة احتفالا عاما فيما خلا الأهرام فكان موقفها سلبيا فى هذه الأزمات المتتالية فنشرت الصحف كتاب الخديو للقناصل الذى تضمن موافقته على اللائحة الوطنية وتعيينه لشريف باشا وأبرزت فى إعجاب قوله « إن الأمة قد أجمعت على تنفيذ مقتضى هذه اللائحة ومعلوم لجنابكم أن الأمة إذا اتفقت كلمتها وإن على خلع ملك أو سلطان فلا بد من تنفيذ إرادتها واجابة رغبتها » (٤)

وعلقت الجريدة بخطورة هذا التصريح وصدقه فى تقدير الخديو لقوى الأمم

---

(١) قال مكاتب التجارة فى العاصمة فى ٥ أبريل ١٨٧٩ بعد أن تحدث من الجمعية التى انعقدت فى منزل راغب باشا « وبلغنى أن جماعة من التجار وغيرهم وفيهم حضرة الفاضل أمين افندى شميل نزعت بهم غيرتهم إلى تقرير أمر يحاولون به تخليص الوطن من أسر الدين فى ظرف ثمانية وعشرين سنة وهو أنهم يفتتحون بنكا وطنيا يكون رأس ماله أربعة عشر مليونا من الجنيهات تجمع من سائر أفراد الأمة على أقساط ثلاثة أو أربعة » ويقول فى ١٧ أبريل ستكون إدارة البنك وطنية وسيعدل بنك انجلترة ويفوق بنك فرانسا بستة ملايين ومن فوائده : (١) توطين الدين العام وبذلك تتقوى القراطيس المالية فى السوق : (٢) حصول الحكومة والبنك على كوبونات عشرة ملايين من غير مقابلة (٣) انتظام تجارة البلاد وزراعتها فيقبل الأهالى على المشروعات والشركات النافعة : (٤) استهلاك مقدار وافر من ديون الحكومة وبذلك تتخلص البلاد من الاستعباد الأجنبى . ومخترع الفكرة كما تقول التجارة مقالات أخرى سياسية واقتصادية هنا وهناك وهو أمين افندى شميل

(٢) التجارة فى ٢٧ أبريل ١٨٧٩ (٣) الوقائع المصرية فى ١٣ أبريل ١٨٧٩

(٤) التجارة فى ٩ ابريل ١٨٧٩

وسلطانها ثم أخذت تصف حفلات الابتهاج بالحكم الوطنى الجديد وترجو فى الحاح «رجوع المجلس إلى ما كان عليه من الانتظام» (١) ثم مضت الصحف بعد تأليف النظارة الشريفية تعدد مآسى حكم الوزيرين الأجنبيين وتفسح صدرها لأنصار الخديو فنشرت للشيخ «على الليثى منشىء المعية السنية» كما جاء فى تقديمها له مقالا ضرب فيه على الحط من قدر الحكومة السابقة التى تعدت اختصاصها وسلبت من الوطنيين حقهم فى تولى شئونهم كما حيا الوطنيين الثائرين الذين صنعوا اللائحة الجديدة ثم يرد الفضل كله إلى الخديو وشجاعته (٢)

وإذا كانت الصحافة المصرية عبرت أحسن تعبير فى تصوير هذه الفترة من الحياة المصرية حتى أصبحت لسان الحركة الناطق وجعلت من المصريين «أمة» كما يقول الخديو لها خلع الملوك وتولية السلاطين فإنها لم تنس حقوقها كما أدت التزاماتها من قبل فتحمل التجارة على الصحف المتشيعة للحكومة الأجنبية السابقة وتذكر ألوان الضيق التى ترتبت على وجود إدارتين للمطبوعات «أحداهما للصحف الفرنجية والثانية للصحف الوطنية» فإنهما على طرفى نقيض فى معاملة الجرائد تلك تطلق لها العنان ولا تعارضها فيما تقول مع كثرة وقوعها فى الحكومة وافترائها الكذب على الوطن وسعيها فى افساد القلوب والثانية تقف بالمرصاد لوريقاتنا القائمة بخدمة الوطن وتنوير بصائر عامته وتفكيه خواطر خاصته مع صدورها عن الغيرة الصافية والحمية الخالصة ومع صدق ولائها وحسن طاعتها وغزارة فوائدها نقول هذا وفى القلب حزازات من انقسام إدارة المطبوعات شطرين متمايزين بخلاف ما هى عليه فى الدولة العثمانية وسائر الدول فى العالم المتمدن ولكن لا غرابة فى هذا الخلل فهو من آثار الوزارة الساقطة» (٣)

ألحت الصحف فى عدالة المعاملة وهى ترجو هذا من وزارة الأمة على حد تعبيرها فقد فرغت من ظلم العهود السابقة وهى تعلم أن خصومها واقفون بالمرصاد

---

(١) التجارة فى ٣٠ ابريل ١٨٧٩ (٢) الوطن فى ١٩ ابريل ١٨٧٩

(٣) التجارة فى ١٥ مايو ١٨٧٩

للشعب وصحافته فالأجانب وحكوماتهم لن يرضوا عن هذا النصر الشعبي الملحوظ في الموافقة على اللائحة الوطنية ، والخديو مهما يكن عطفه على هذه الحركات فهو لن يقبل انتقال السلطة من يديه وكذلك حال خصومها من الوزراء السابقين



اديب اسحق محرر جريدتي مصر والتجارة

وخاصة رياض باشا ، الذي استعان بالنعمة على الكفران وجعل الجحود جزاء الاحسان فأغضب الامة بمسلميها ونصاراها ويهودها ،

ثم يستقبل أديب اسحق محرر التجارة حكومة شريف استقبالا حسنا ويدافع عن سياستها في تحصيل المال لسد النفقات والديون ويذكر أن الكرباج لم يعد أسلوب جبي الضرائب وأن الرئيس يجمعها ، بالتشجيع على الدفع عن طريق الوطنية ، ثم يطلب من المتحرصين الانزواء لأن الاستقلال والحرية اللذين يشتريان بالدم والروح يمكن بذل المال للمحافظة عليهما ، وهي تعرض ما قالته بعض الصحف الأجنبية في مصر شهادة منها لوطنية المصريين في دفع المتأخرات المالية عن رضا واطمئنان (١)

---

(١) التجارة ٣٠ ابريل ١٨٧٩

ولم يرض صاحبا الأهرام وصحفهما عن سياسة شريف باشا والخديو فيعارضاها معارضة ملؤها العنف حتى صدر الأمر بإقفال الأهرام وصدى الأهرام ومحاكمة صاحبيهما، ولكن الحكومة تعود فتجيز نشر الأهرام وحدها(١) وتأبى الرجوع عن غلق صداه (٢) ولم تفرح التجارة وهى خصمها العتيد لهذا الإغلاق فهو شىء يسوءها على كل حال لذلك كتبت تأسف على ذلك لعلها « بما يترتب على الجرائد من الفوائد فإنها واحدة ثلاثة هى محور التهذيب نريد المدارس والجرائد والتياترات » (٣) ثم تعقب فى العدد التالى متجهة إلى أولى الأمر آملة « من حكومتنا السنية الآخذة الآن بأسباب الشورى أن تنظر إلى الجرائد بعين الرفق ولا تمسها إلا بالتؤدة فهى واسطة المعاملة بينها وبين الرعية فإن فنيت وهى لسان الحال فإن هيئتنا المدنية تكون خرساء لا تحسن النطق فضلا عن البيان » (٤)

فالصحف المشايعة للحكومة المصرية تغار على كرامة الحكم المصرى فتجادل خصومه بشدة ولو كانت صحفا مثلها كما أنها تأبى أن ينزل بدولتها عقاب قد يؤثر عليها فيما بعد فتدافع عن الأهرام وصداه وتذكر أن اقفالها ساءها وتذكر المسئولين بفضل الصحف وضرورة الابقاء عليها مع أن صدى الأهرام اتخذت موقف الخصم من الخديو وحكومته ومالت إلى أنصار العهد السابق ونقدت تصرفات ولى النعم فأصدرت الحكومة أمرها بإغلاق صدى الأهرام ولكن صاحب الأهرام لا يقر السلطات على ما فعلت ولا يطيع أمرها ويمضى فى جريدته يشهر بالخديو ويصفه بأقبح الأوصاف ويعلن بأنه صرف مائة ألف جنيه من دم الفلاح فإذا قبض على صاحبه وأغلقت الصحيفة احتجت القنصلية الفرنسية على هذا أشد الاحتجاج (٥)

---

(١) محفوظات وزارة الداخلية ١١ — ٢ — ٩٤٦ جزء أول

(٢) أقفل صدى الاهرام لمقالة شديدة نشرها فى ١٠ صفر عام ١٢٩٦ هـ

(٣) التجارة فى ٢ مايو عام ١٨٧٩

(٤) التجارة فى ٣ مايو ١٨٧٩

(٥) Dossier N 44/4. محفوظات عابدين

ومع هذا كله فان السلطات المصرية تجيز لصاحب الأهرام بعدلأى أن يعوض عما فاته فتأمر بمنحه ترخيصا لصحيفة جديدة هى جريدة (الوقت) اليومية السياسية وهى لا تختلف فى شكلها وموضوعها عن أخواتها السابقات(١). ولم تكن الأهرام وصحفها وحدها موضع المؤاخذة من الحكومة المصرية بل كانت لها زميلات من أهمها صحيفة الوطن ؛ وللوطن فى تلك الأثناء موقف يدهش له المؤرخ ؛ حقا إنها لم تكن فى يوم من الأيام خصما لرياض باشا ذاته وإن حملت على الحكومة التى كان عضواً فيها ووقفت منها موقف المعارضة الصريحة فكثيراً ما قرأنا مديحها لرياض باشا فى أثناء وجوده فى الحكومة السابقة مع مقال فى نفس العدد ضد تلك الحكومة(٢).

والوطن على قدر مقالاتها الوطنية فى حقوق الشعب واستقلال مصر نراها تدعو إلى صرف الجيش لخدمة الزراعة ثم تطمئن الجماهير بأنه « إذا أم مصر أحد بسوء دافعت عنها انكلترا وفرنسا فانها تعتبر تحت حمايتهما » (٣) وهذا اتجاه لا يستقيم مع منطق الكفاح الذى كالحته. ثم تغير رسالتها الصحفية دون أن تكشف قناعها كشفاً يستوجب مؤاخذتها أو تعارض معارضة صريحة تبين مرماها واتجاهها الجديدين فلا تنشر مقالا من قلم أصحابها بل تزحم معظم صفحاتها بما نشرته الصحف الخارجية فى الوزارة الجديدة وخديو مصر وهى أقوال بذيئة جارحة لولى الأمر ومثبطة للعزائم الوطنية . وفطنت إدارة المطبوعات إلى قصدها فوجهت إليها إنذاراً على « نشر أخبار غير صحيحة دون أن يراعى فيها الحال والزمان . . فإن الاستمرار على هذا السير فى هذا الأوان مما يكدر الخواطر ويشوش الأذهان ولا يترتب عليه منفعة لأهل الوطن كما هو الغرض الأصلى بل ينتج منه ضرر بين يسبب تعلق الأفكار بما لا يغنى » (٤)

---

(١) محفوظات وزارة الداخلية ١١ — ٢ - ٩٤٦ جزء أول

(٢) كتب توفيق حبيب مقالا فى مجلة سركيس ذكر فيه أن الوطن كانت لسان حال رياض باشا (راجع محفوظات وزارة الداخلية دوسيه رقم ٤ مكرر) والواقع أنها لم تكن لسان حاله لأن المثل التى دافعت عنها لا يهضمها رياض

(٣) و (٤) الوطن ٨ مارس و ١٩ إبريل ١٨٧٩

وليست الصحف العربية وحدها التى اضطرب موقفها هذا الاضطراب فانقسمت أحزابا بل بينها صحف فرنجية كانت فى أغلبها من خصوم الخديو وحكومته الجديدة وفى مقدمة هذه الصحف الأجنبية فى مصر جريدة لاريفورم (La Réforme) فقد دأبت على تسفيه الرأى العام المصرى ورواية الأخبار الكاذبة عنه وتشويه حركاته السياسية السليمة فادعت أن بعض الذوات قد أمضى اللائحة الوطنية مقابل أربعة آلاف جنيه على سبيل الرشوة وأن غيرهم من النواب ذهبوا إلى القنصل الانجليزى يؤكدون له بعدهم عن هذه الحركة وأن كثيرين من سراة الأقاليم وعيون مصر أبوا التوقيع على هذه اللائحة مخافة أن يعود إلى مصر استبداد اسماعيل ، وردت عليها (التجارة) رداً حازما فكذبت كل ما جاء فى مقال لاريفورم وحملت عليها حملة شعواء (١) . ومن غريب المصادفات أن تكون مكاتبات القناصل لوزراء خارجيتهم متفقة مع المعانى التى أعلنتها الصحف الأجنبية فى مصر ، فنجد قول قنصل إنجلترا عن جبى الضرائب بالسوط وإسراف المديرين الذين فصلهم ولسن فى جبيها واقتراض الفلاحين لتسديدها (٢) نجد هذه المعانى منشورة فى تلك الصحف

وتكاد تقف جريدة (التجارة) وحدها فى الميدان الوطنى تقارع خصوم الوطن من الأجانب والمصريين ومن صحف الأجانب والمصريين أيضاً ، تكاد تكون وحدها لأن زميلتها جريدة (مصر) « هلكت فى مقام الجهاد » (٣) فى سنة ١٨٧٩ ولم نصادف جهادها لافتقارنا إلى أعدادها الضائعة ، ولم يشاركها فى الدفاع عن حقوق البلاد إلا صحيفة (مرآة الشرق) التى دافعت عن مصر المدينة « حتى انتبه أهلها من رقدة الغفلة ونشطوا لإنقاذها من التهلكة متوافقين فى الرأى متواثقين على الثبات معتمدين على الحقوق الوطنية والإنسانية » (٤)

وإذا كانت الصحف المصرية فى عمومها قد اعتنت بالنواحى السياسية التى شغلت خاصة المصريين من السراة والأعيان وأعضاء المجالس النيابية كتفاصيل الانتخاب

---

(١) التجارة ١٠ أبريل ١٨٧٩ (٢) الكتب الزرقاء . وثيقة ١٥٦ مايو ١٨٧٩
(٣) مصر ٧ ديسمبر ١٨٨١ (٤) مرآة الشرق ٧ مايو ١٨٧٩

ولمن يكون الحق فيه من المصريين والشرقيين المقيمين فى مصر (١) أو الاختلاف على لائحة المسيو تريكوالتى تعارض اللائحة الوطنية (٢) أوتفاصيل المسألة المالية التى ناقشتها مناقشة العليم الخبير بأصول المال ومشاكله (٣) ، نقول إذا كانت الصحف اهتمت بهذه المشاكل المختلفة فإن (مرآة الشرق) كان لها اتجاه يختلف بعض الاختلاف عن هذه الصحف فقد عالجت (مرآة الشرق) المسائل الاجتماعية والسياسية فى الخارج فناقشت المذاهب السياسية فى روسيا « كالسوسيالست والنهيلست أى حزب المساواة والكومون أى الإباحيين »(٤) ثم تفصل أساليبهم وأغراضهم فى أكثر من مقال ثم تعقب على ذلك بأن ظهور مثل مذهب الكومون مرجعه ظلم الراعى للرعية ، وتحمل على قيصر روسيا الظالم المستبد ثم تحمد للحكومة المصرية أنها قررت الشورى للبلاد « فجعلتنا آمنين شر الفتن والفاتنين » . وتتجه فى معارضتها اتجاها اقتصاديا وهو غريب جداً فى ذلك الزمن ، هى لا يعنيها أمر البرلمان ولا تفاصيل الانتخاب بقدر ما يعنيها أمراؤها الذين « فى غفلة لا يرفعون رءوسهم عن وسائد الغرور ولا يقصرون عن تشييد القصور ولا يفيقون من سكر اللهو ولا ينهضون من حطة الإهمال ، نبذوا مصالح البلاد وراء ظهورهم ونحن آلة بيد غيرنا يستعملها لمنافعه الخاصة كأن لم يكن صانع العالم قد منحنا استقلال الوجود » ثم تعاتب الإنجليز على موقفهم من مصر ولا تفوت الحملة على الفرنسيين معهم . ثم يربط محررها ابراهيم اللقانى فساد الحال فى مصر بفساد « أخلاق الأمراء وولاة الأمور وجهلهم بواجباتهم وسوء تدبيرهم واختلال إدارتهم . . . . . لا يعرفون شرعا ولا يرضون قانونا ولا يسمعون رأيا ولا يقبلون نصحاً بل تعدوا الحدود وانتهكوا المحارم وثلموا الأعراض وحاربوا العدل وقاوموا الإنصاف فطغوا وبغوا ونهبوا وسلبوا وفتكوا وهتكوا حباً فى أغراضهم

---

(١) التجارة ٩ يونيو ١٨٧٩ (٢) التجارة ٦ يونيو ١٨٧٩
(٣) الوطن ١٠ أبريل ٢٨٧٩ (٤) مرآة الشرق ٥ مايو ١٨٧٩

وكرامة لشهواتهم ، ثم يواجه الرأى العام بأهم ما ينبغى أن يلتفت إليه الرأى العام فى ذلك الوقت قائلا « إنهم شادوا القصور وغرسوا البساتين واقتنوا الحور والولدان ، وتأنقوا فى المآكل وتفننوا فى المشارب ، وزينوا الملابس وسحبوا مطارف العجب والخيلاء وأفراد الرعية على مرأى منهم حفاة عراة يتضورون جوعا ويتلظون ظمأ ويموتون بردا »(١)

اشتغلت الحكومة الشريفية بوضع دستور « على أحدث المبادىء العصرية وإن لم توات ظروف اسماعيل إعلانه والعمل به (٢) كما عنيت الحكومة بالحالة المالية وتسديد ديونها وأصدرت المراسيم فى ابريل لتكفل طمأنينة الأوربيين على على أموالهم ؛ ولكن ذلك كله لم يرضهم فطلبت الحكومتان الانجليزية والفرنسية عودة الوزيرين الأجنبيين إلى الوزارة ، فرفض الخديو ذلك وأحس الدائنون أن هناك خطراً على أموالهم فى مصر ما بقى الخديو على رأس الدولة يشجع بذكائه وقوة إرادته الحركة الوطنية وصحافتها على مناضلة خصوم مصر من الأجانب والمصريين جميعاً ، وارتبط هذا النشاط الوطنى بدفاع الصحافة عن حقوق مجلس النواب فى نظر الميزانية ، وأبى بعض الصحف الفرنجية إلا الحملة على الخديو وحكومته ولم تبد تركيا أى ميل لمعاضدة إسماعيل أو تشجيع الحركة الدستورية فى مصر . ولم يبد على الأعيان والعلماء أى لون من ألوان الثقة باسماعيل وإن ناصروه فى موقفه أمام الأوربيين ، ولم تكن الصحف توازره هو ذاته بل إن بعضها كمرآة الشرق دأبت على التعريض بأمراء الأسرة وحكام الأقاليم الذين عينهم اسماعيل ذلك لأن الصحافة كانت تمقته ، فقد اعتبرته علة شقاء مصر وبلائها وتحدثت فى ذلك حديثاً مستفيضا لما تم عزله فى ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ .

وأما (الوطن) فقد حمدت الله على عزل الخديو ونفيه وذكرت فى ٥ يوليه أن الله « جلى عن الأمة الظلم والظلمة والغمة فشكراً لله على تأديبه لعباده ثم لطفه

---

(١) مرآة الشرق ٢٨ ابريل واول مايو ١٨٧٩

(٢) الاهرام فى ١٣ يونيه ١٨٧٩

بهم وإزاحته للكروب عن قلوبهم ، ثم تتحدث عن رحيل الخديو وتعقب قائلة « إن ألد أعداء هذا القطر هم الذين ألغوا لائحة ولسن وسعوا فى عزله وعزل المسيو دى بلنيار بل فى عزل الوزراء الوطنيين أصحاب الرأى الناجح والعقل الراجح، ثم تحمل على الأعيان والنواب الذين سنوا لائحة وطنية تغاير لائحة ولسن ، وتصور المصريين وهى فى الحق تصور نفسها حين تزعم أنهم « ودوا أن يتخلصوا من هذا الرباق ويفك عنهم هذا الخناق غير أنه نهض الحزب الوطنى حسب وهمه أن يخلص البلاد من الظلم والتهلكة » ثم تتهم هؤلاء الوطنيين بأنهم « شرذمة قليلة من الناس » وأخيراً تحمل على مجلس النواب الذى أيد اللائحة الوطنية فكانت نتيجة تأييده عزل الخديو وتعلق على ذلك فرحة « نعم إنها نتيجة حسنة إلا أنها رمية من غير رام » .

وتنشر (مرآة الشرق) فى ٣٠ يونيه مقالا رائع اللفظ والمعنى معا تؤرخ به عهد إسماعيل فهى تذكر ملكه الزاهر وبدايته الحسنة فى تنوير الأذهان وخدمة البلاد ولكنه أساء اختيار الرجال فوظف لحكومته « الأمين والخائن ووغل عليه الصادق والمائن فبادروا الزرع قبل إبانه والثمرة قبل نضجها » ثم يذكر المحرر آثار هذا الفساد الذى أخذ عليه حياته جميعا وخاصة فى المسائل المالية « فكان كلما تخلص من ناب ذئب وقع فى مخلاب أسد . . فانتهى أمره بانصداع العزمة واشتداد الأزمة » ثم يعود إلى معاونيه ورجاله مرة أخرى « ممن قدمته الصدف وأعلته الاتفاقات وهو على خشونة البداوة وقسوة الوحشية لا يرعى للقوانين حرمة ولا للعهود ذمة » ثم يفصل دور هؤلاء فى تسليم البلاد للأجانب « حتى كاد يتم لهم النسب لولا بقية حية فى نفوس المتبصرين من أبناء البلاد » ثم يعطف على توفيق الخديو الجديد ويرجو أن تكون بطانته خيراً من بطانة أبيه وأن يطرد الذئاب من الدولة ثم يلفت نظره إلى الإصلاح وفى مقدمته « نشر علم الحرية فى الأفكار والأقوال والأعمال » ثم تتوجه إلى الدول فتثنى على فرنسا التى كان لها دخل فى خلع الخديو وحالت دون استبداد انجلترا بمصر « تلك الدولة الشرهة النهمة

ذات المحبة الذاتية المفرطة . أما جريدة (التجارة) فتودع اسماعيل فى آخر يونية من غير إفراط فى ذمه وإنما ترجو أن يعاد البناء العظيم ، على أساس الشورى وقواعد الحق ودعائم الحرية ، وقد سامتها سخرية الأهرام والوطن من الحزب الوطنى ومن رئيس النظار شريف باشا فإذا تعطلت جريدتا الأهرام والوقت بأمر الحكومة الشريفية لم تواسهما كما صنعت من قبل بل نشرت خبر تعطيلهما فى مكان ظاهر منها وعلقت على الخبر قائلة إن ذلك التعطيل ، أحدث عند الفئة الوطنية سروراً زائداً ، ثم ذكرت فى خلال سطورها أنهما جريدتان لا توازران المتطرفين فى سياستهم (١)

* * *

اهتمت الصحف الشعبية بالشئون السياسية اهتماما شغل معظم صفحاتها منذ الحرب الروسية التركية ، ويظهر تاريخها بين هذه الفترة وبين خلع الخديو اسماعيل فى نشاطها السياسى وهو نشاط يستطيع مؤرخ مصر الحديثة أن يرجع اليه ويستقصى منه أحداث البلاد وهو مطمئن إلى صدق الرواية وسلامة التصوير بعد تمحيص غير عسير ، ثم خرجت الصحافة الشعبية من انزوائها بعد الحرب الروسية التركية تتحدث عن حياة الشعوب والجماعات فى أوربا والشرق حديث الناقل عن صحف الغرب الباحث فى أمهات الكتب والمراجع بين حين وحين ، وأظهر من حمل القلم فى هذا الميدان أصحاب الوطن والأهرام ثم الأفغانى وتلامذته فى جرائد مصر والتجارة ومرآة الشرق وخاصة عن الشئون الشرقية التى تخصصت لها الصحيفة الأخيرة فى الخبر والموضوع .

وإذا كانت السياسة قد استغرقت هذه الصحافة وشغلتها بالمسائل القانونية والفقه الدستورى فليس معنى هذا أن المسائل الاقتصادية كانت غفلا من الرعاية أو العناية فان الكتاب لم ينشئوا البحوث والمقالات فى الأزمة المالية أو شئون

---

(١) التجارة ٧ يوليو ١٨٧٩

الدين فحسب بل فكروا يوما من الأيام فى الشئون الاقتصادية العليا فقد رأينا فكرة المصارف فكرة رسمية أرادها محمد على وبقيت منذ عهده حديثا رسميا لا دخل للشعب فيه بينما يظهر فى عهد إسماعيل من يفكر فى إنشاء مصرف وطنى فتصبح الفكرة فكرة شعبية (١) كان يرجى من ورائها لا سد الديون وفوائدها بل خلق دعامة شعبية اقتصادية تسند حرية البلد واستقلالها، والصحف أول من نادى بها وألح فيها . ولا يقف فضل الصحافة الشعبية عند هذا الحد فهى تدعو إلى تعليم الشعب وإنشاء الجمعيات الخيرية لتحقيق هذا الغرض، وتفتح صدرها لأخبار هذه المدارس الشعبية والجمعيات الخيرية وتتحدث عنها وتصف حفلاتها وتقدم للجمهور بالثناء رجالها، ونجد جماعة مصر الفتاة وهى جماعة تكونت فى نهاية عصر إسماعيل للنهضة بشئون التعليم ففتحت المدارس الليلية وتطوع شبابها لتعليم الجماهير . (٢) وتلاحظ الصحف الشعبية الشئون الداخلية الصغيرة فلا تغفل حادث عمدة أو مأمور يتبين لها أنه لم يؤد وظيفته أداء حسنا وتشير على الحكومة بجزائه وعقابه ثم تلفت نظرها إذا تداعت قنطرة أو غرقت أرض زراعية حتى تقوم الحكومة برأب الصدع وسد المياه وتعويض أصحاب الأراضى الغارقة(٣) ويتولى مكاتبوها فى المدن والاقاليم موافاتها بمثل هذه الأنباء برقا وبريداً، وبذلك أصبحت الصحافة الشعبية رقيبة على الحوادث الصغيرة كرقابتها على الحوادث الكبيرة . وقد خصصت هذه الصحف جزءاً منها لنشر بعض القصص المترجمة عن الكتب الأدبية الفرنجية أو نشر الكتب التاريخية ككتاب الجبرتى أو بعض الرسائل اللطيفة، وهى فى ذلك تقلد الصحف الفرنجية فى مصر كما أنها حفلت بالموضوعات الاجتماعية والعلمية والطبية (٤) والمقالات التاريخية وغيرها فى

---

(١) التجارة ٥ و١٧ أبريل ١٨٧٩

(٢) التجارة فى ٣ ابريل عام ١٨٧٩ (نقلا عن مرآة الشرق)

(٣) الوطن ٢٦ اكتوبر ١٨٧٨ (٤) الوطن ٢١ نوفمبر ١٨٧٧

على النفس والمنطق (١) وقد جادل بعضها بعضا فى هذه المسائل العلمية.

ومن أجمل ما حفل به تاريخ هذه الصحافة أنها كانت بعيدة أشد البعد عن التعصب الدينى ولم تبحث يوما فى موضوع يثير هذه الناحية التى تبرأت منها القضية المصرية فى ذلك الوقت، وكان المصريون يشعرون بجانب هذه الصفحة الطيبة أن الزعامة الصحفية لم تكن لهم لأن محررى هذه الصحف وأصحابها فى أكثرهم غير مصريين وهذا فى الواقع مصدر من مصادر التصدع فى الوحدة الصحفية المصرية وكذلك كانت بعض الصحف المصرية أو المتمصرة تعتمد فى حياتها على القنصلية الإيطالية أو الفرنسية أو الروسية، ومن هنا ظهر هذا الخلاف العميق بين هذه الصحف على مسائل مصر العليا وهى من الوضوح بحيث كانت تستلزم وحدة الغرض والاتجاه ووحدة الميول والآراء. وهكذا أصبح جزء من الصحف يعيش مطمئنا إلى حماية تعينه على بطش الحكومة وأصبح جزء آخر ضحية للسلطات المصرية وقانون المطبوعات، لا تحميه سلطة من السلطات التى دافعت وحمت غيره من سلطان العسف والاضطهاد.

وللصحف الشعبية فضل عظيم على نشر المطابع الحرة فقد أسس عبدالله أبو السعود افندى مطبعة وادى النيل بحروف شديدة الشبه بحروف مطبعة بولاق ثم عاد فأعد لها قاعدة جديدة تميزت بها (٢) وأنشأ صاحبا الأهرام مطبعة سنة ١٨٧٥ بقيت تكبر على الزمن حتى أصبحت من أكبر مطابع مصر والشرق جميعا، وكذلك أنشأ كاستيلى مطبعة لجريدة (الكوكب المصرى) وساعد الأفغانى أديب اسحق فى تأسيس مطبعة مصر لينشر جريدته وهيأ له فيها حروفا من حروف المطبعة الأميرية (٣) ولانتشار المطابع من الأثر ما لا يمكن أن ينكر فى تثقيف الأمم والشعوب.

---

(١) الوطن ١٩ أكتوبر ١٨٧٨
(٢) الهلال ج ١ السنة التاسعة فى أول مارس عام ١٩٠١ ص ٣٢٠
(٣) الاستاذ الامام ج ١ ص ٤٤ و ٤٥

الفصل الخامس

الصحافة المصرية خلال الثورة العرابية

عزل إسماعيل وبقيت آثاره كلها فالحكومة الشريفية قائمة بالحكم بعد تولية توفيق والأزمة المالية على ما هي عليه من الشدة والعنف والناس حيارى فى أمر معاشهم مذهولون لقدرة الأجانب على خلع خديوهم ، والصحافة تتولى وظيفتها فتشيع الخديو المعزول أسوأ تشييع وتستقبل الخديو الجديد أحسن استقبال فتذكر للمصريين أن نفوسهم ستطيب وأن عيونهم ستقر وأنهم سيتخلصون « بذلك الطالع السعيد من شرك الاستبداد وربقة الاستعباد ، وأن الوطن سيسلم من « المصائب التي حاقت به من فساد الرأى وسوء التدبير وطاعة الأغراض والشهوات ، وينجو من شر فئة ألفت النفاق والتدليس وتعودت التملق والتلبيس وطبعت على الخسة والدناءة وسعت فى بيع الوطن بأبخس الأثمان »(١) ثم تحوط الصحف الخديو الجديد على اختلاف نزعاتها وميولها برعاية لم يظفر بمثلها أبوه فى أدق مواقفه ، بيد أن هذه الرعاية يمليها الحس الصحفى الناضج العارف بواجباته الوطنية ، فقد راوغ السلطان فى إصدار فرمان التولية للخديو توفيق فهبت الوطن بنزعتها المعتدلة ومرآة الشرق بتطرفها المعهود تدعوان معاً إلى صدور هذا الفرمان وتشكو معهما الصحف الأخرى هذا الإهمال الذى يبديه السلطان نحو مصر التي أدت له خدمات « تفوق طاقتها ، وأن هذا الإهمال القمين بأن

---

(١) مرآة الشرق فى ٢٦ يونيه ١٨٧٩

يسيء إلى علاقات البلدين ، ويوهن من ارتباطهما ، ويهيء سبباً للتدخل الأجنبي لا فى شئون مصر وحدها بل فى شئون تركيا أيضا وهو يفتح بابا ترجوأن يوصد فلا يضطر أمراء مصر إلى الاستنجاد بالأجانب لتقرير حقوقهم وحقوق بلادهم، ثم تطلب فى حزم أن يصدر الفرمان مقرراً جميع الحقوق التى اكتسبتها مصر بفرمانات سابقة . (١) وفى هذه الأوقات من تاريخ مصر العصيب يقف الصحفيون أقلامهم لتأكيد حقوقها كما رأينا ويشدون أزر الوطنيين المتطرفين سواء فى المسائل الدستورية الداخلية أو المسائل المالية والخارجية، وتشرع صحيفتا الأهرام والوقت فى معارضتهما القديمة للوزارة الشريفية ، وترى حكومة شريف فى آخر الأمر أن تقضى عليهما فتأمر بإغلاقهما ، ولكن بعض القناصل يتوسط فى أمرهما كما تقول التجارة ثم تعلق على خبر التعطيل والوساطة فى أمرهما ، بأنه موقف موجب للأسف لأن صدور الأمر بإغلاق الجريدتين ليس عملا قانونياً ثم إن سرعة نقض الحكم وحل العقد ونهى الأمر على هذه الصورة غريب حقاً وأغرب ما فى الموضوع - كما ترى التجارة - هو تدخل قنصل من القناصل فى موضوع داخلى محض (٢) . وقد ترتب على تدخل القنصل وحمايته للأهرام وأصحابها أن أصبحت الجريدة لا تخشى قوى الحكومة أو تعنى بقوانينها أو تحسب لسلطانها حسابا ، ومضت فى سياستها لا تلوى على شىء ، وبرزت لها الصحف المتطرفة تقارعها وتجادلها وتقذع فى الحديث عن سياستها التى دأبت فيها على التهوين من شأن الأسرة الحاكمة ورميها بالخشونة والجهل وعد أمرائها من الدخلاء الأجنبيين وتنشر التجارة خلاصة حملة الصحف على الأهرام فتعرض أقوال (الكوكب المصرى) لصاحبها أنزلو كاستلى الإيطالى التبعة ورأى مرآة الشرق فيها (٣) وأن هذه الحملة على أصحاب الأهرام إن دلت على شىء فهى تدل على

---

(١) مرآة الشرق ٢٣ يوليو ١٨٧٩ (٢) التجارة ٨ يوليو ١٨٧٩

(٣) التجارة ل ٩ أغسطس ١٨٧٩

هذا الوفاق بين الخديو الجديد وحكومته والصحافة المتطرفة ، وكانت الصحف من ناحيتها أكثر حماية لهذا الوفاق إذتصف الخديو بالقدامة وحكومته وأنصارها بالوطنية ثم هى تنزه ولى الأمر عن الجنسية التركية وتعتبر ذلك شيئاً يمسه فى كرامته. وهو اتجاه جديد لم نشهده فى الصحافة إذا تحدثت عن الأمراء والخديويين .

وقد كان حظ الصحف الفرنجية فى مصر من هذه الحملات الصحفية الشديدة ملحوظا ، فلم تفوت الصحافة الوطنية المتطرفة لجريدةأجنبية فرصة التشهير بالإدارة المصرية بل ردتها وعالجت أمرها بعنف وقوة نادرين (١) كما أبرزت شهادة الصحف الأجنبية المعتدلة فى الوطنيين المصريين كجريدة لاريفورم La Réforme ، المعروفة بانحرافها عن الحزب الوطنى ، وتحمد لها شهادتها الطيبة وتقارن بينها وبين زميلاتها الأجنبيات ، فرنجيات وعربيات . (٢)

على هذا النهج وصلت الصحافة المصرية كفاحها دون تراخ فى الدفاع عن مصر وحقوقها منذ نهاية عهد اسماعيل ، غير أن الوفاق بينها و بين الوطنيين من ناحية وبين الخديو توفيق من ناحية أخرى لم يطل أمره ذلك لأن الخديو قد أصبح مديناً بكيانه الرسمى إلى انجلترا وفرنسا ، فهو حريص على ودهما موات لقنصليهما فى مصر ، والقنصلان فى خصومة مع الوزارة الشريفية فلا غرو إن أبى الإصلاحات الدستورية التى رآها شريف باشا ، واضطر ناظر نظاره إلى الاستقالة (٣)

تولى الخديو رياسة الحكومة بنفسه وألغى مجلس النظار وأعاد الرقابة الثنائية فى ٦ ديسمبر عام ١٨٧٩ (٤) ثم رأى أن يقيد حرية الفكر فبدأ بطرد الأفغانى من مصر — وكانا صديقين من قبل — ولكن الطرد جاء بإيعاز من قنصل

---

(١) مرآة الشرق فى ٧ يوليو ١٨٧٩ (٢) التجارة فى ١٧ يوليو ١٨٧٩

(٣) بلنت — التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر . ترجمة البلاغ ص ٩٦

(٤) الوقائع المصرية فى ١٤ و ٢٤ أغسطس ١٨٧٩

انجلترا (١) ثم ألزمت الصحف جميعاً نشر خبر نفيه وادعت الحكومة، أن هناك جمعية سرية من الشبان ذوى البطش مجتمعة على فساد الدين والدنيا المضر بالبرية ورئيسها شخص يدعى بجمال الدين الأفغانى، ثم ذكرت له أقبح الأوصاف، فأبعدت ذلك الشخص المفسد من الديار المصرية بأمر ديوان الداخلية ووجهته من طريق السويس إلى الأقطار الحجازية لإزالة هذا الفساد من البلاد، (٢) ولم يحتج أحد على نفى الأفغانى وهو زعيم له مقامه المقدور عند خاصة مصر ومفكريها وكان حظه من إهمال الخاصة كحظ شريف باشا الذى استقال من أجل الدستور والحريات العامة فلم يثر من أجله أحد، وقد نشرت الصحف جميعاً أمر الداخلية بنفى الأفغانى إلا واحدة (٣) نرجح أنها مرآة الشرق لأنها دون الصحف جميعاً قد خلت من خبر النفى، ولأنها الصحيفة التى ذكرت الرجل أحسن الذكر وأشارت اليه صراحة وضمناً، فأمر بتعطيلها خمسة أشهر، لأنها اعتادت الدخول فيما لا يعنيها ونشرت مطالعات سخيفة مخترعة من تلقاء نفسها خرجت فيها عن حدود وظائفها، (٤) وهى الصحيفة الوحيدة التى عطلت عقب نفى الأفغانى وإن أنذرت معها جريدة التجارة.

لم تطل رياسة الخديو لمجلس النظار إذ عهد بالنظارة إلى رياض باشا فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ (٥) وكان رياض يرى الحكم البيروقراطى أحسن أداة لإنقاذ مصر فى ذلك الوقت، وخصومته للتطرف فى الرأى معروفة، ومن عيوبه الظاهرة أنه كان أكثر حكام مصر طاعة للقناصل وهى طاعة جشمته المصاعب والأخطار (٦) وإلى رياض ينسب عهد إرهاب الصحافة، ويتصل هذا الإرهاب

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٧٨ (٢) التجارة ٢ سبتمبر ١٨٧٩

(٣) الاستاذ الامام ج ١ ص ١٧٨

(٤) الوقائع المصرية ٧ سبتمبر ١٨٧٩ (٥) الوقائع ٢٥ سبتمبر ١٨٧٩

(٦) بلنت — التاريخ السرى ص ٩٧

بنظام الرقابة الثنائية وهو نظام يجعل للرقيبين من السلطان على شئون الدولة مايشمل سلطة النظارة فى جميع المرافق العامة غير الشئون المالية التى تخصصا لها، ويكفى الا يكون للخديو حق عزلها إلا بموافقة دولتيهما لتبين خطر الرقيبين فى حياة مصر جميعا (١) وقد ساء الصحافة المصرية أن يخنع الخديو ورياض باشا هـذا الخنوع المشين فى رأيها لدولتى انجلترا وفرنسا وكانت جريدة (مصر الفتاة) أول الصحف التى استهدفت الإرهاب وراحت ضحيته وهى لسان حزب بدأ يولد وحكم إسماعيل فى الرمق الأخير ، وهو يتكون من بعض اليهود (٢) كما يقول الشيخ محمد عبده بيد أنه كان من العناصر المعارضة التى احتفت بها جريدة (مرآة الشرق) وآمنت بمبادئها الجديدة ودعت لها بالتوفيق يوم عزل إسماعيل (٣) واهتمت الصحف الأوربية بهذا الحزب وتحدثت عنه حديث البرم به الساخط عليه، وأهمها جريدة التيمس فذكرت أنه تقليد لحزب تركيا الفتاة وأنه جعل مبادئه صورة مطابقة لمبادىء الثورة الفرنسية من الحرية والإخاء والمساواة ، وأن معظم أعضائه من أبناء الإسرائيليين الشرقيين الذين ولدوا فى مصر وصاروا من كبار الأغنياء (٤) وكانت الخصومة بين جريدة (مصر الفتاة) (٥) وبين الوطن خصومة ساحقة إن صح هذا التعبير فقد عجزت الوطن عن مجادلتها فكفت عن ذلك وأعلنت أنها فى قصور إذا كان الميدان الشتم والسباب (٦) . وكانت جريدة مصر الفتاة أول الصحف التى ثارت على توسيع اختصاصات الرقيبين فأنذرت حملتها على الحكومة بهذه المناسبة (٧) ثم رأت الحكومة فى نفس اليوم وبإيعاز من الرقيبين

---

(١) الرافعى . الثورة العرابية ص ٤١ (٢) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٧٥

(٣) مرآة الشرق ٢٦ يونيه ١٨٧٩ (٤) الوطن ٢٧ سبتمبر ١٨٧٩

(٥) من شعارها « البحث عن حقوق كل إنسان فاكر » ومصر للمصريين . وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية ومن محرريها أديب اسحق وقد أقامت الدعوى على الحكومة أمام المحكمة المختلطة بعد أن أغلقها رياض باشا . (راجع طرازى جـ ٣ ص ٥٧)

(٦) الوطن ١١ أكتوبر ١٨٧٩ (٧) لومونيتور إجبسيان ١٧ نوفمبر ١٨٧٩

طبعا أن الإنذار عقاب هين لا يليق بجرم الحملة التى قادتها الجريدة فصدر الأمر بتعطيلها تعطيلا نهائيا « لنشرها مقالات وأخباراً عدتها الحكومة مهيجة للخواطر والأفكار » (١)

وعوقب أديب إسحق عقابا شديداً لحملته الصحفية على الأجانب وعلى الرقيبين والحكومة المصرية معهما ، وإصراره العنيف على ألا يتهاون فى هذه الحملة فعطلت جريدتاه « مصر والتجارة » بعد أن أنذرتا وقالت الحكومة فى قرار التعطيل « حيث سبق صدور الإنذارات مراراً عديدة وتنبيهات شفاهية من إدارة المطبوعات إلى أصحاب امتياز الجرائد الأهلية عموما وإلى صاحب امتياز جريدتى مصر والتجارة خصوصا بعدم خروجهم عن حدود وظائفهم ولا ينشرون ما يوجب تشويش الأفكار ، صدر له آخر إنذار بأنه إذا رجع لمثل ذلك فتلغى جريدتاه بالكلية وحيث أنه بعد هذا الإنذار لم يترك مسلكه الأول لما نشره فى جريدة « التجارة » نمرة ١٢٣ الصريح فى انه لا يرجع عما هو مصر عليه وحيث أن ما اعتادت على نشره هاتان الجريدتان ضرره أكثر من نفعه اقتضى الحال صدور الأمر من إدارة المطبوعات بالغائهما مؤبداً . » (٢) ثم مضت الحكومة الرياضية فى خطتها نحو الصحافة فعطلت جريدة (المحروسة) وذلك لأنها تحدثت مرراً عن الأجانب المقيمين فى مصر وطالبت بفرض الضرائب عليهم ثم ذكرت أن إعفاءهم منها فى عهد محمد على أمر استوجبته الفائدة الحاصلة من وجودهم يومئذ ثم علقت على ذلك بقولها « ما من نظام أو قانون وضع فى الدنيا وبقى نافذاً إلى الأبد فما كان ملائما على عهد محمد على باشا صار فى هذا الزمان غير ملائم » (٣) وبهذه وبغيرها من المقالات العنيفة أتاحت للحكومة فرصة تعطيلها خمسة عشر يوما . (٣) وعكفت الحكومة على الصحف الأجنبية فى مصر فرأت

---

(١) الوقائع المصرية ١٧ نوفمبر ١٨٧٩ (٢) عن الوطن ٢٢ نوفمبر ١٨٧٩

(٣) المحروسة ١١ سبتمبر ١٨٨٠ (٤) الوقائع المصرية فى ٢٨ ديسمبر ١٨٧٩

بعضها يعطف على الأماني القومية فأنذرتها ثم عطلتها نهائيا كجريدة (لاريفورم La Réforme وأغلقت مطبعتها بحجة أنها تنشر مقالات مثيرة للأفكار وكذلك أنذرت جريدة (لوفار دالكسندرى Le Phare d, Alexandrie (١) ثم أصدرت أمرها بحظر دخول جرائد النحلة وأبي نظارة وأبي صفارة والقاهرة والشرق إلى مصر (٢) وهي صحف مصرية في الخارج .

وبينما تلقى معظم الصحف المصرية هذا العنف من الحكومة الرياضية هي وزميلاتها الأجنبية في مصر نجد الأهرام في معسكر الخديو حيث وجهات النظر متفقة منذ بعيد ، فالوقت على نقيض الصحف الأخرى تدافع بحماسة عن المراقبة وتوسيع اختصاصها وتزعم أن وجود الرقيبين في هذا الوضع لا يؤثر مطلقاً على الوزارة أو التزاماتها (٣) وهي ترى رياض المثل الحي للحاكم العادل الذي يضع الأمور في نصابها (٤) وتعتدل الأهرام فلا تسرف في المدح بيد أنها حريصة على تزكية القنصل الفرنسي الجديد ، البارون دي رينك وكيل فرنسا السياسي ، ذي الكفاية الممتازة وصاحب الفضل على تركيا في شتى المواقف ، وهي تبشر المصريين بخيره وترجو أن يؤدي لمصر خدمات كثيرة . (٥)

كانت سياسة رياض باشا في تناول أسلوب الحكم ومن أظهر أدواته الصحافة نقطة التحول التي بدأت في أعقابها تأخـــذ الثورة العرابية طريقها إلى النضج والاستواء فقد عجز الناقمون عن التعبير عما يخالج شعورهم بعد أن غلقت صحفهم وكممت أفواه الباقيات منها ، فكان طبيعياً أن يلتمسوا في السر ما عجزوا عنه في العلن فشرعوا في توفير أول بيان سياسي لهم حملوا فيه على مساوىء الحكم الخديوي وأسلوب رياض السياسي وضياع المصالح المصرية بين استبداد الحكومة وجشع

---

(١) لوموניتور اجيبسيان في ٢٦ و٢٧ مايو ١٨٨٠

(٢) الوقائع المصرية في ٢٨ ديسمبر ١٨٧٩ (٣) الوقت ٢٨ فبراير ١٨٧٩

(٤) الوقت ١١ يونيه ١٨٧٩ (٥) الاهرام في ١١ مارس ١٨٨٠

المموالين الأجانب، وطبعوا هذا المنشور من عشرين ألف نسخة عجز رئيس الحكومة عن معرفة كاتبه أو ناشره (١) ثم رأى هؤلاء الناقمون من الوطنيين كشريف باشا وسلطان باشا وغيرهما أن يعبروا عن رغباتهم فى صحيفة مصرية تصدر فى الخارج، فأوعزوا إلى أديب إسحق أن يصدر صحيفته فى باريس لتكون لسان حالهم على أن يتكفلوا هم بتوزيعها فى مصر، وكانت الصحيفة شديدة اللهجة فى معارضتها، وقد استطاع خصوم رياض أن يوزعوها بالرغم من سلطان رئيس الحكومة وعيونه من رجال الإدارة. (٢)

لا يجوز لمؤرخ الصحافة المصرية فى تلك الحقبة أن يسقط من حسابه حين يتحدث عن صحافتها التيارات المختلفة التى تفاعلت مع الصحافة وأنتجت حوادث الثورة العرابية وخلقت معها صحفا أخرى هى أهم الصحف فى هذا الفصل. وقد ذكرنا حادث الأفغانى ومشروع شريف باشا فى وضع قانون أساسى لمجلس النواب، وشرحنا موقف مصر الفتاة والصحف المعارضة وما لقيت من العنت والإرهاب، وتحدثنا عن الرقيبين واختصاصاتهما الواسعة، ويبدو أن رياضا بعنفه والخديو ببطانته والأجانب بمرابيهم تآزروا جميعاً على تهيئة الفرصة لإعلان التبرم بالحالة التى شهدتها مصر إذ ذاك، فقد شكا الضباط من استئثار الترك والأرناءود بالرتب والرواتب وشكا الخاصة من استبداد الحكومة وانصرافها عن كل فكرة دستورية وتعطيلها مجلس شورى النواب زهاء سنتين، ثم شكت العامة من ضيق العيش والضرائب المرهقة.

أجمعت الطبقات جميعاً على الشكوى واتخذ التبرم صورة عملية فثار الضباط «لتنزيل وزارة رياض باشا وجعل الحكومة دستورية» (٣) وطوحت الحوادث بحكومة رياض وعاد شريف باشا إلى رياسة النظارة بعد الثورة العسكرية

---

(١) John Ninet : Arabi Pacha p. 37 (٢) المصدر السابق ص ٤٨

(٣) العصر الجديد فى ١٣ سبتمبر ١٨٨١ وهى إحدى صحف سليم حموى

المعروفة ، واستأمنه الجيش على حقوقه وأمنه الأعيان على طلباتهم وأهمها الدستور وأكد لهم شريف ، أن تشكيل مجلس النواب هو الوسيلة الوحيدة لما نقصده من الإصلاح ، (١)

هدأت الأمور بعد اضطراب وبدأت مصر تشعر بلون من الاستقرار فى عهد الوزارة الشريفية وإن زها نجم الجيش وزعيمه أحمد عرابى ، فقد كان هذا الجيش ممثلا بحق لشعور المصريين جميعاً لأنه الطبقة الوحيدة بين هيآت الحكومة التى غلبت عليها مصريتها . غير أن الزعماء العسكريين تنحوا عن الميدان مؤقتا يراقبون الإصلاح المنشود فى حذر ، واستقبل الأجانب العهد الجديد استقبالا لا بأس به ، ولم يحملوا على الجيش الذى ، قوى ما فى مصر من رأى عام ، وأملوا فى أن يقضى العهد الجديد على مساوىء الحكم التى تفشت فى البلاد ، وطلبوا الصبر والأناة من أصحاب الديون حتى تتم الحكومة الشريفية إصلاحاتها فتصبح حقيقة واقعة لا خرافة طالما تشدق بها دعاة الاستبداد . (٢) .

وقد استقبلت الصحافة الوزارة الشريفية استقبالا حسنا جدا فقد جاءت بعد أيام مظلمة من اضطهاد الرأى وكبت اليراع ، ونفست عن نفسها فى أسلوب حاد كانت حدته موجهة إلى الأجانب خاصة ، فقد اعتبرت الصحافة أن الضيق الذى لحقها مصدره الأجانب ورقيبا هما وقناصلهم فحملت عليهم حملة قاسية ذكرها اللورد كرومر فى كتابه قائلا ، أخذت الصحف العربية فى أثناء ذلك تستثير حفيظة الأهالى على الأوربيين وأسلوبهم فى الحكم وتحرك التعصب الدينى ، (٣)

أما الحملة على الأوربيين فحقيقة تاريخية أحستها الحكومة الشريفية فأخطرت الصحف بها ولفتت النظر إليها فذكرت أن « الجرنالات تعودت من مدة على الخوض فى كلام يتعلق بالأجانب مع غاية الحدة وإظهار التأثر منهم والتغيظ بلا سبب ولا

---

(١) الوقائع فى ١٧ و ١٩ سبتمبر ١٨٨١ (٢) التيمس ١٠ يناير ١٨٨٢

(٣) كرومر ج ٢ ص ٢١١

موجب ، لا يراعون فى كلامهم حالة البلاد المصرية وعلاقاتها السياسية مع أنه لا يوجد فى داخلية البلاد ولا فى روابطها الخارجية ما يوجب اندفاع الجرائد المذكورة فى هذا الطريق على وجه يوجب اضطراب الأفكار العمومية وبخدش الأذهان ، ويبين الإخطار علاقة مصر بالسلطان وواجباتها نحوه ، ثم يوضح حرص الحكومة على مصالح البلاد أمام الدول جميعا ، ثم تنذر الصحف ، بأن لا تخرج فى مقالاتها عن حد الاعتدال وألا تتعرض لشىء من الطعن والتنديد بأحد من معاهدينا لا على وجه العموم ولا الخصوص » (١) فمهاجمة الأجانب إذن حقيقة تاريخية أقرها إنذار الحكومة للصحف . أما التعصب الدينى الذى يذكره كرومر فتنكره مواقف الصحافة الوطنية خلال الثورة جميعا ، حتى إن إحداها ذكرت أنه لا يعنيها أن يكون على رأس الحكومة مسلم أو مسيحى وإنما يرضيها أيهما إذا جعل مصالح الوطن فوق كل اعتبار ، وهى تسخف سقم تفكير السابقين فى تعصبهم للدين « ولكننا أبناء هذا الجيل يعار علينا أن نسلك ذلك المنهج ونجعل الاختلاف فى المشرب والتباين فى العقيدة علة لعداوة مواطنينا الذين ليسوا على شاكلتنا فى الدين مع كونهم مشاركون لنا فى الجنسية والوطنية ، ثم إذا بقى شىء من أدران الأقدمين فى نفوس العامة فعلى النبهاء الذين تنورت أفكارهم وعلموا أن ما أصاب الأقدمين من الضعف وما لحقهم من الشر مسبب عن تعصبهم للدين أن يدعوا الناس إلى ترك هذا التنابذ الذى لا خير فيه » (٢) . ويؤكد وجهة نظرنا فى براءة الصحف من التعصب الدينى أن إنذار المطبوعات لها لم يشر إلى هذا التعصب فى كثير أو قليل ، غير أن الحكومة أرادت وقف الحملة مهما يكلف الثمن وهى سليمة الطوية تتميز بسمة شعبيتها ، وقد أصاخت لها معظم الصحف إلا جريدة (الحجاز) وهى صحيفة حديثة العهد بالحياة ، فقد أنشئت سنة ١٨٨١ لصاحبها السيد سراج ابراهيم المدنى ، إذ استمر صاحبها فى حملته على الأجانب ، حيث كان يطعن فى الدول

---

(١) مصر للمصريين ج ٤ ص ٢٠٧ (٢) المفيد ٢٤ أكتوبر ١٨٨١

الأجنبية طعنا غير أدبي ويسقط عند الكلام فى شأنها بما لا يليق وكثيرا ماطلبناه ونبهنا عليه وشددنا فى الأمر وحذرناه من الرجوع إلى مثل ذلك . . . فلم يرتدع ولم ينزجر . . . ثم خالف المنشور العمومى الذى بعث به اليه وإلى جميع أصحاب الجرائد العربية إلى أن أتى فى عدده الأخير بأزيد مما حذرناه منه مراراً ، فمن أجل هذا صدر قرار مجلس النظار بإلغاء جريدته لغوا مؤبداً» (١)

والحكومة إذا حزمت أمرها فى تهدئة الحالة بإغلاق الصحف المتطرفة وهى كما نعلم حكومة شعبية قد تؤاخذ على مصادرة حرية الرأى بيد أنها حريصة على مصلحة مصر وإن أدى ذلك إلى تعطيل الصحف ، وهى كذلك تأبى على الصحف الأجنبية فى مصر أن تسىء إلى المصريين ومشاعرهم الدينية ، فقد نشرت جريدة (ليجبت L, Egypte) فى ٢ أكتوبر ١٨٨١ مقالا عرضت فيه بالنبى محمد ، فهاجت لذلك الصحافة المصرية ولفتت النظر إلى هذا المقال فصدر الأمر بتعطيلها (٢) وحاول صاحبها أن يحتمى بالقنصلية الفرنسية غير أن حزم الحكومة حال دون هذا التدخل (٣) وذكرت المحروسة فى ابتهاج شديد نبأ إغلاق جريدة (ليجبت) وموقف الحكومة المشرف من القنصل الفرنسى الذى نصح لصاحبها بمغادرة البلاد (٤)

بدأت الصحف بعد أن تحررت من قيودها توجه المطاعن تلو المطاعن الى إجحاف نظام الضرائب الذى وضعته المراقبة الأوربية وأعفت الأوربيين منها والقت العبء كله على كاهل الوطنيين ، كما أنها أنحت بأشد اللائمة على كثرة تعيين الفرنسيين والإنجليز فى الوظائف ومنحهم المرتبات الباهظة (٥) وهى شكوى قديمة

---

(١) الوقائع المصرية ٨ نوفمبر ١٨٨١ (٢) الوقائع المصرية ٢٩ نوفمبر ١٨٨١

(٣) الرافعى — الثورة العرابية ص ١٦١ (٤) المحروسة ٧ نوفمبر ١٨٨١

(٥) بلغ عدد الموظفين الاوربين ١٣٢٥ موظف بلغت مرتباتهم المنتظمة ٢٧٩٠٥٦ جنيها (مصر رقم ٦ (١٨٨٣)) ص ٦٧)

حديثة ، ثم راحت تطلب حياة الشورى لمصر والتعليم لأبنائها ، وفى ذلك يقول حسن الشمسى وهو من ضحايا العهد الماضى ، إنه سينهى دور صحيفته (المفيد) حينما « يأتى يوم يقال فيه تنبه الغافل وتعلم الجاهل وغلت يد العادى وردت الحقوق لذويها وسلمت الأرض لبنيها » ، وهو يحدثنا عن صحيفته وهى إحدى الصحف المعبرة عن الحزب العسكرى بأن ظلم المستبد حال بينه وبين التبكير فى إصدار هذه الجريدة وذكر أن الصحف الباقية « إنما سايرت الظالم وغيرها سقط فى ميدان الشرف والجهاد » وأنه فضل التعطيل على النهوض فى ظل الظلمة المستبدين . (١) .

وتعتبر جريدة (المفيد) من خيرة صحف الثورة فقد دأبت على نشر افتتاحياتها عن مصر ومشاكلها فى أسلوب وطنى عنيف ، ولصاحبها مقالات رائعة عن الاستقلال والحرية بعنوان « محاورة سياسية » (٢) وكان طبيعياً أن يعنف محرر (المفيد) فى مقالاته وهو لسان جامح من ألسنة الثورة وكان طبيعياً أيضاً أن تتبرم به حكومة شريف لأنها ترجو الهدوء والاتزان ، لذلك جمعت فى معاملتها المفيد اللين والشدة معا لترضى الوطنيين والأجانب على السواء ، فعطلت (المفيد) أسبوعين فحسب وبذلك أرضت الدوائر الأجنبية ثم أرضت الدوائر الوطنية بهذا العقاب الهين ، ويظهر قدر (المفيد) بين صحف العصر من حزن زميلاتها على تعطيلها فقال كاتب (المحروسة) « ساءنى صدور الأمر بتعطيل جريدة (المفيد) أسبوعين فإن محررها فى الجريدة نير الفكر قويم المشرب لا يظهر بما يخالف المصلحة أو يخرج عن الحد . . . وفى مأمولى أن (المفيد) يصدر من بعدها بمزيد الفائدة ويكون فى مقدمة الجرائد الداعية إلى الوحدة الوطنية الناهية عن الإحن والعداوات المذهبية العاملة على علم بأحكام الحرية » (٣) .

وبينما تلق الصحافة الوطنية المتطرفة من الحكومة الشعبية هذا الحزم نجد

---

(١) المفيد ٥ اكتوبر ١٨٨١ (٢) المفيد فى ١٢ ديسمبر عام ١٨٨١ وما بعده

(٣) المحروسة فى ٧ نوفمبر عام ١٨٨١ واسكندرية فى ١١ نوفمبر عام ١٨٨١ وكذلك أنذر مجلس النظار جريدة الوطن يوم عطل المفيد

(الأهرام) تتجنب هذه المشاكل بالانصراف عن شئون مصر الهامة وتعنى بنشر الكتب والمقالات الطوال عن البوسنة والهرسك والروسيا والمانيا ، وهى إذا عطفت على الشئون المصرية فانما تنقل ذلك عن الصحف الفرنسية والانجليزية ، ثم ينقل المحرر رأى الحكومتين الانجليزية والفرنسية فى الحركات السابقة على تأليف الوزارة الشريفية وموقفهما الجديد « لكبح كل حركة » وهى تنذر العرابيين « وسعادتلو احمد بك عرابى » بالذات (١) . وقد عمدت الأهرام إلى التحدث عن أوربا وتقدمها من الناحيتين المادية والأدبية ، وقابلت بينها وبين تركيا ، فأفرطت فى ذكر مساوىء الأخيرة ، ثم نقلت عن صحف لندن حملات على الباب العالى وفى الفاظها ما لا يليق أن ينشر فأنذرتها الحكومة مرتين (٢) أما تدخل الدولتين « فى الأعمال المصرية وما كان له ونشأ عنه » فعندها أن « فوائده جزيلة ومنافعه عميمة » لأنه وقف تصرفات سيئة كان يجيزها المسئولون المصريون وأن « السواد الأعظم » مقتنع كل الاقتناع بحسن النتائج وواثق كل الثقة بما وراء العمل المتفق من النجاح ، وقد أيدت له الحوادث هذه التصورات فزاد اقتناعا وثقة ، ثم تعطف الأهرام على الفرنسيين وتبرىء ذمتهم مما يتهمهم به المغرضون « فليس من يجهل منا أن الدولة الفرنسوية لا تقصد أمراً ولا ترغب شيئاً فى مصر » (٣)

وإذا وجد الوطنيون صحفا تعطف على أمانيهم وتدعو لهم وتعبر عن أغراضهم وإذا وجد الأجانب أو الانجليز والفرنسيون بمعنى أوضح صحفا تعترف لهم بالفضل وتذكر أياديهم البيض على مصر ، فان للخديو فى هذا التيار الجارف من النشاط الصحفى قدر محدود ، فقد أنشأ معوض فريد فى مدينة الاسكندرية مجلة أسبوعية سماها (البرهان) فى سنة ١٨٨١ ويحررها الشيخ حمزة فتح الله اللغوى

---

(١) الاهرام فى ٨ أكتوبر عام ١٨٨١

(٢) الاهرام فى ١٢ فبراير عام ١٨٨١ والمحروسة فى ١٤ يناير عام ١٨٨٢

(٣) الاهرام فى ٢٦ فبراير عام ١٨٨١

المصرى المعروف ، والبرهان تعلن بأنها صحيفة السراى وتفخر بذلك كل الفخر فقد « حلت صحيفة البرهان من أعتابه العليا محل القبول ، وأن جنابه الفخيم يكاد يستوعبها تلاوة ، وأنه أمر بأ كثر من ثلاثين نسخة اشترا كاللمعية السنية ، والخديو عند المحرر آية من آيات الدهر فاذا رأيته ، ألفيت فى محياه ما يجذب إلى التسبيح الأفواه ، لا سيما إذا ترقرق ماء البشر فى عزته ، وتفتق نور المجد من أسرته ، وإذا كانت الصحافة العربية المصرية جميعا على اختلاف مشاربها تحبذ الشورى وتدعو لها وتأبى الظلم وتحمل على الاستبداد فان الشيخ حمزة فتح الله يقول بغير هذا فى مقال ضخم بعنوان « الشورى ومجلس النواب المصرى » وذلك على أيام من افتتاح هذا المجلس « نحن وإن كنا نعلم ما يترتب على الشورى من الفوائد العميمة والمنافع الجسيمة وما ينجم عن التفرد بالرأى من سوء العاقبة ، غير أن ذلك لم يكن يمنعنا من إبداء ماتراه من الملاحظات فى الأمرين كليهما ، أعنى الشورى والتفرد بالرأى المعروف بالاستبداد ، فأما الشورى فانها وإن كانت ممدوحة عقلا وشرعا بما ورد فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة فى غير موضع إلا أن ذلك ليس على معنى أنها واجبة حتما على أولى الأمر ، بحيث لا تمضى بدونها بيعتهم ولا تنفذ أحكامهم ، لأن هذا ما لا يقول به أحد ، بل إن مبلغ العلم فيها أنها من الأمور التى ندبت اليها الشريعة المطهرة من قبل اتمام مكارم الأخلاق » . ثم يمضى الكاتب مبينا وجهة نظر المعارضين للشورى « وأما الاستئناس بأن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد ترك الأمة شوروية فهو غلط ظاهر » ثم يستمد صورة الملوك من العصور الوسطى ويدعو لها قائلا « ألا وإن الملوك ظل الله تعالى فى أرضه ، لا يجوز الخروج عن طاعتهم ولا البغى عليهم ولا تخاف ذمتهم ولا تنكث بيعتهم ولا ينقض عهدهم فى حال من الأحوال اللهم إلا بكفر صريح لا يحتمل التأويل » (١)

---

(١) البرهان فى ٢٦ مايو ١٨٨١ وأول ديسمبر ١٨٨١

فى هذا القلم الرجعى أيد الشيخ حمزة الرجعية المصرية فى وضوح لا يقبل الشك أو التأويل ، ولا يرضى الصحفيون المصريون هذه النغمة بل ترد جريدة (مصر) لصاحبها أديب اسحق - وقد عاد من منفاه فى باريس وأصبح ناظراً لقلم الإنشاء والترجمة بديوان المعارف - ترد على هذه الأقلام مادحة الديمقراطية المصرية الجديدة فقد نشر الكاتب فى آخر ديسمبر ١٨٨١ بمناسبة افتتاح مجلس النواب مقالا يدل دلالة بينة على الغرض منه ، وهو غرض ممزوج بتقديس الشورى والفرحة الصادقة بالعهد الجديد ، ذكر مفتتحا مقاله ببيت من الشعر :

صفحا لصرف الدهر عن هفواته   إن كان هذا اليوم من حسناته

« كيف لا وهو حاجة النفس وأمنية القلب منذ توجه الخاطر إلى السياسة الوطنية وانصرف العزم إلى إحياء الهمم وانعقدت النية على حفظ الحقوق واتحدت الوجهة فى القيام بالواجبات ، وهو النشأة التى كست الوطن رداء الفتوة قشيباً . وهو البغية التى غرست للأمة غصن الأمل رطيبا . وهو ما رجوناه زمانا ودافعنا الزمن فيه . وتمنيناه أعواما وغالبنا الحدثان عليه ، ثم يقول « فياحسنه من يوم رد فائت البهاء وأحيا مائت الرجاء . وأعاد شباب الأمة ، وسدل ستور النعمة ، وأظهر مقاصد الأمير وأبدى مساعي الوزير ، وقضى لبانات النبهاء ، وحقق أمانى النزهاء ، فلا زال مشرق الشمس مرفوع لواء الأنس ، منقوشا على صفحات الصدر بأحرف من نور على توالى الأيام والدهور » . وأديب اسحق يعبر فى هذا المقال وفى غيره أصدق التعبير عن التيارات الفكرية التى تخالف تفكير حمزة فتح الله ومن على شاكلته . وهو يشتد على هؤلاء الرجعيين الذين يسفهون الرأى الحر كما يقسو على أبواق الأجنبيين من أصحاب الصحف العربية الذين يعيبون على الوطنيين تطرفهم « فالحزب الوطنى غير متعصب إلا لوطنيته ، والحزب الوطنى غير معاد إلا الخائنين يروم إحياء مصر لسكان مصر وترومون إماتتهم جميعا بأيها اللؤماء ، ويريد أن يكون المصرى فى مقام الانسان مستقلا بوجوده متمتعا باستقلاله فائزاً بحقوقه

ناهضا بواجباته ، وتريدونه بمنزلة الحيوان يساق للحرث فإن عجز فللسلخ ، ويطلب أن يكون الوطنى آمنا فى داره مساويا لجاره يستغل زرعه ويستدر ضرعه ، وتلتمسون أن يكون غريباً فى آ له مصادراً بماله يطعم من يحرمه ويؤمن من روعه ويحفظ من يضيعه ويصون من يبيعه » (١)

ووسط هذه المسائل العامة التى فرغت لها الصحف المصرية لم تنس أن لها حقوقا فأخذت تفكر فى حالها ومآلها ، فالمطالبة بقانون للمطبوعات ينظم أمورها من أغراض الصحافة المصرية منذ أيام أسماعيل ، فلا غرو إذا تحدثت عنه اليوم والحت فى المطالبة به . وهى تختلف فى شأنه ، فبعضها يريده قانونا حرا (كمصر) وغيرها وبعضها يريده صورة رضاها الشيخ حمزه فتح الله فى مقال له عن (اليراع) (٢) وبعضها يرجوه وفيه من التضييق ما يلزم بالتزمت ، وأكبر الظن أن المحرر - وهو هنا سليم النقاش صاحب (المحروسة) لم تسعفه ثقافته الضيقة بهضم المعانى الحرة الموجودة فى القانون المطلوب . فقد رأى أن يكون فى التشريع مايضطر الصحف إلى الاعتدال ، وأن تراعى فيه حالة البلاد وأطوارها الأدبية والسياسية ، وأن يحول القانون دون حرية الصحافة فى شئون مصر الخارجية وخاصة مااتصل بالدول الصديقة . وهو يرجو ألا يستمد القانون أصوله من القوانين المعمول بها فى فرنسا وانجلترا لأن عقلاء البلدين يشكون الحرية فى هذين القانونين (٣)

ومهدت الحكومة لقانون المطبوعات بأن ضمت المطبوعات الفرنجية إلى العربية فى إدارة واحدة ، وتساوت بذلك الصحف جميعا فى الحقوق والالتزامات (٤) ثم صدر قانون المطبوعات المصرى فى ٢١ نوفمبر ١٨٨١ وهو أول تشريع للصحافة يرتب شئونها ويحدد واجباتها ويعلن حقوقها ، وإلى أن يحين وقت الحديث عنه مفصلا نذكر للتيمس كلمة قالتها فيه تجمل الرأى عنه ، فهو عندها قانون شديد

---

(١) مصر ٢٩ يناير ١٨٨٢ (٢) البرهان ١٠ نوفمبر ١٨٨١

(٣) المحروسة ٧ نوفمبر ١٨٨١ (٤) المحروسة ١٥ نوفمبر ١٨٨١

وهو أسخف من أن ينفذ (١) وقد أشارت إلى شدته الجريدة الفرنسية الرسمية فى إحدى المناسبات (٢). وقد أصدرت حكومة شريف قانون المطبوعات ولم تطبقه على صحيفة من الصحف العربية بالرغم من صفة التزمت والتضييق الغالبة على معظم مواده، بيد أن جريدة (La Gazette Des Tribunaux) كانت الجريدة الفرنجية الوحيدة فى مصر التى أنذرت بمقتضى هذا القانون فى ٧ يناير عام ١٨٨٢ لخوضها فى المسائل السياسية دون أن يبيح لها ترخيصها ذلك، ثم لأنها استعملت التمويهات المنطوية على سوء القصد، (٣). وفيما عدا هذا الانذار بقى القانون معطلا عن أداء وظيفته فى جو مملوء بالأحداث الجسام.

مضت الحكومة الشريفية تؤدى وظيفتها أحسن الأداء، وأفسحت صدرها للملاحظة والنقد، سواء من أعضاء المجلس أو من صحافة مصر، هى لاتنذرها ولا تعطلها إلا مضطرة. وكادت تستقيم الأمور لها وتتمكن الحياة الدستورية من التأصل والاستواء لولا أن هذا النجاح لم يرض الرقيبين الأجنبيين ولم يرض قنصليهما فإذا الأخيران يخلقان أزمة فجة غير مناسبة، فقد انتهزت الحكومتان الانجليزية والفرنسية فرصة انعقاد مجلس النواب فأرسلتا فى يناير مذكرة مشتركة تعلنان فيها تأييدهما للخديو واستعدادهما لهذا التأييد بشتى المظاهر (٤). وكان لهذه المذكرة أثرها البعيد فى تطور الحوادث وانتقال الثورة من اليمين إلى اليسار فقد رفضتها الحكومة وبلغت القنصلين هذا الرفض (٥) ثم أرسلتها الى الباب العالى مع وجهة النظر المصرية ثم نشرت المحروسة رأى الحكومة العثمانية الذى وجهته إلى سفيرى انجلترا وفرنسا وتبدى فيه، سوء الأثر الذى حصل لها من جراء هذا العمل، وبعد أن ذكرت الجريدة محافظة الدولة على مصر وامتيازاتها وأن

---

(١) التيمس ٨ نوفمبر ١٨٨١ (٢) المحروسة ٧ يناير ١٨٨٢

(٣) الوقائع المصرية ١٤ يناير ١٨٨٢

(٤) Livres Jaunes 1881 - 1882 N 42.

(٥) Livres Jaunes 1881 - 1882 N. 28.

الشعب المصرى هادى، وسعيد بحالته أبرزت كل هذه المعانى فى قول الباب العالى ، وفى ظننا أنه يستحيل إبداء أقل الأدلة على ماينافى ذلك أو الاستشهاد بأى حادث داخلى متعلق بمصر يكون داعيا لإصدار مثل هذه اللائحة المذكورة ، وبناء على ذلك لانرى شيئا مما يقتضى باستصواب ما أجرته الدولتان من تقديم تلك اللائحة لسمو توفيق باشا ، (١) وقد أخفقت المذكرة فى أثرها المطلوب فى مصر وتركيا ولكن الدولتين أبتا إلا خلق المشاكل ، فأرسل القنصلان بايعاز من المراقبين الأجنبيين يطلبان الحد من سلطان البرلمان فى تقرير الميزانية ، ولما هو معروف عن مجلس النواب من عدم الخبرة ومن ميوله العدائية نحو العنصر الأوربى فى الحكومة ، (٢) وهو تحد ظاهر لأهم وظائف المجالس النيابية لم ترض عنه صحف مصر وحملت على إهانة النواب المصريين حملة شعواء (٣)

وقد اضطرت الوزارة فى آخر الأمر إلى الاستقالة بعد أن رفض النواب وجهة نظرها ، فقد كانت ترى وجوب عمل الميزانية بموافقة المراقبين الانجليزى والفرنسى ورقابتهما ، والنواب لايرون هذا الرأى ولا يقرون هذا التدخل ، وقد علقت (المحروسة) على الموقف برمته بأن الخديو والنواب وعامة الناس قد اعترفوا بالدين وفوائده فليس من العدل حرمان المجلس التشريعى من أهم اختصاصاته وهى إقرار الميزانية ما دام أمر الدين فيها لن يمس (٤) ولكن صحف القنصليتين الفرنجيات حملت على الوطنيين وخاصة (الأجبشين جازيت Egyptinn Gazette) حملة عنيفة تولت الصحافة الشعبية الرد عليها دون الحكومة التى شغلت بالأزمة عن كل شىء وناقشتها وبينت مواضع الجور فى عمل الدولتين وظلمهما لمصر ، هذا البلد الذى يكرم الأجانب وهم يسيئون اليه ، ثم عاتبت فى عنف الصحف الأجنبية وعلى

---

(١) المحروسة فى ٢٨ يناير عام ١٨٨٢

(٢) Livres Jaunes 1881 - 1882 N. 34, 38

(٣) مصر والمفيد فى أوائل نوفمبر عام ١٨٨٢

(٤) المحروسة ٤ فبراير ١٨٨٢

رأسها (الأجبشين جازيت) التي تكيد للوطنيين وتزعم تعصبهم للدين وحملتهم على المسيحيين، ونفت هذه السوءات عنهم وأكدت بعدهم عن التعصب في أمور الدنيا أو شئون الدين (١) ثم ساهمت الصحف الأوربية في لندن وفي باريس في هذه الحملة على المصريين ومجلس نوابهم وحكومتهم فيما خلا محرر التيمس، فكان رجلا واسع الفكر ملماً باللغات العربية وآدابها، وكان معتدل الرأي في المسائل المصرية فلم يرها كغيره من الصحفيين لا تعني غير بورصة لندن، وكثيراً ما فتح صدر التيمس لآراء الوطنيين المصريين، غير أن هذا العطف من مستر شنري المحرر بالتيمس على الأماني المصرية لم يستمر، لأن مراسل هذه الجريدة وغيره من مراسلي صحف أوربا في مصر كانوا يستمدون أخبارهم الهامة من السير أوكلند كلفن المراقب البريطاني، وكانت وكالتا روتر وهافاس خاضعتين لنفوذ المراقبة الثنائية، وكل منهما تتقاضى ألف جنيه في السنة، وكانت وكالة روتر لا ترسل برقياتها إلى لندن إلا بعد إجازتها من القنصلية أو الرقيب الانجليزي.

وقد أضر هذا الأسلوب الصحفي بالقضية المصرية في الخارج إذ وضعت – كما رأينا – الأنباء الصحفية تحت مراقبة الوكالات السياسية أو ما يشابهها، فقد كان لموظفي فرنسا وانجلترا في مصر السيطرة التامة على الأخبار التي يجوز أو لا يجوز إرسالها إلى لندن، وكان أجر هؤلاء المراسلين إما مالا أو معلومات سرية لها خطرها في الفن الصحفي (٢) وقد اشتركت الصحف في الخارج ووكالات الأنباء في مصر والصحافة الأجنبية المصرية وممثلو الدولتين، اشترك كل أولئك في قطع الطريق على الهدوء الذي حققته حكومة شريف باشا وآزرتها بعض الأحداث الداخلية كمؤامرة الضباط الشراكسة (٣) وقصة الحكم عليهم (٤) وتطرف الصحافة المصرية فاستقالت الوزارة الشريفية وانتقلت مقاليد الأمور إلى الحزب العسكري وأنصاره.

---

(١) المحروسة ٧ فبراير ١٨٨٢ (٢) بلنت التاريخ السري ص ١١٦ – ١١٧
(٤) الوطن ٢٩ ابريل ١٨٨٢ (٥) الوقائع المصرية ٢٣ مايو ١٨٨٢

وكانت الصحف قبل الحكومة البارودية الجديدة تشغل حديثها كله بشئون مصر العامة ، وكانت لسانا طيبا للحركات الحرة ومدافعا خطراً أمام الصحف الأجنبية فى مصر أو فى الخارج ؛ غير أن هذا الاتجاه المحمود صحبه لون من التحزب للجنس والوطن ، كان له أبعد الأثر فى انحراف الصحافة الوطنية وتنكبها مثلها الرفيعة واشتباكها فى معركة وزعت جهودها وفرقت شملها .

وكانت الصحف الوطنية المتطرفة تحمل على بعض المتمصرين من الصحفيين ، ولم تتعد الحملة فى أول الأمر بعض هؤلاء الأفراد غير أنها مضت تتحدث عن المصريين والشاميين فى دوائر الحكومة والصحافة وخاصة الدوائر الصحفية ، فقد كان الصحفيون الشاميون فى مقدمة العناصر الحرة يلتهبون حماسة لاستقلال مصر وحياتها الدستورية ، بيد أن هذه الأقلام الملتهبة خبت ثم انزوت ثم وقفت إلى جانب الخديو علانية لما تحرج الأمر كما وقفت الصحف الوطنية أقلامها ضده وضد أسرته . وكانت (المفيد) جريدة من جرائد الثورة العرابية بلغت حماستها غايتها فى سنة ١٨٨٢ وهى لا تمثل العناصر العسكرية أو المذاهب السياسية وحدها ، بل حفلت صفحاتها بكثير من المقالات الاجتماعية والاقتصادية الممتعة ، فهى يوما تتحدث عن ذل المصريين المادى والأدبى (١) وتكتب فى يوم آخر مقالا ثورياً عن الفلاح التعس « السيد فى صورة العبد ورب الدار فى موقف الخادم » (٢) وقد بلغت مكانتها الصحفية قدراً جعل الأجانب يحسون خطرها ويلتمسون عطفها وخاصة فى مشروعاتهم الاقتصادية ، وقد حاولوا رشوتها لتحبذ عند العامة فكرة اقتصادية خاصة ، فتأبى المفيد هذه الرشوة وتفضح أصحابها من الشرقيين والأجانب الذين نسوا فى مساومتها أن « نفس الحر لا تبيع شرفها بثمن » (٣) ومنذ أبديت محاولة رشوتها فى ذلك المشروع الاقتصادى اتخذت (المفيد) خطة جديدة نحو

---

(١) المفيد فى ١٤ نوفمبر عام ١٨٨١ (من مقال ابراهيم الهلباوى)

(٢) المفيد ٢٣ يناير ١٨٨٢ (٣) المفيد ٢٧ مارس ١٨٨٢

الشآميين فى مصر ، فهى تكتب المقالات تطلب من الحكومة فصلهم من وظائفها لأنهم غير خليقين بأن ينتسبوا اليها ، وإذا عاتبها الشآميون من أصحاب الصحف ردت عتابهم فى منطق لا يسف وفى عبارة مهذبة بيد أنها عنيفة قاسية (١) وتشتد الخصومة بين (المفيد) والصحف الثورية من ناحية وبين صحف الشآم التى تصدر هناك من ناحية أخرى ، وهى صحف قاسية الأسلوب زاد عنفها فى أوار المعركة فى مصر ، وتتدخل (المحروسة) فى أمر هذه الخصومة وهى آخر مابقى فى مصر من صحف الشآميين المتمصرين وهى ترجو فى عبارة رقيقة أن تفصل فى هذه المعركة وتقضى على هذا الخصام . بيد أن المفيد تتهمها بإيثار فرنسا على تونس يوم امتحن هذا البلد الشقيق بقسوة الفرنسيين وجبروتهم . ثم تأبى عليهم صفة الوطنية التى تدعيها لنفسها ، فهى قد ولدت تسبح بحمد الخديو توفيق سنة ١٨٨٠ وكانت صديقة لرياض باشا فى وقت كان إرهاب الصحافة ديدن الحكومة وغايتها وفى ذلك من النفاق ما لا تقبله صحيفة وطنية العقيدة حرة الفكرة .

وقد رد سليم نقاش على المفيد رداً هادئاً استغرق زهاء صفحتين ونصف صفحة من صفحات المحروسة الأربع ، عرض فيه موقف صحيفته وبين فيه مواضع التجنى عليها ، « فإنها وحدها تجرأت أيام الاستبداد المحض ونادت بالحكومة الشورية . . . ووحدها بين الجرائد العربية فى ذلك الحين أخذت تناصر الحزب الوطنى . . . وهى وحدها أيضا عارضت النفوذ الأجنبى عند خوف الإفراط فيه وهى أول جريدة صرحت بسوء إدارة بعض المصالح الأجنبية . . . . وهى وحدها تحملت غضب المسيو دوبلينيار وتحامله عليها وقد حرمت لذلك من فوائد جمة حباً منها بالوطن وأهله . . . وكم وقفت وكم أنذرت وكم عظات وكم حذرت . . . » وإن لم تنكر إعجابها بفرنسا ومثلها العليا فى الحياة . (٢)

وتمضى (المفيد) فى حملتها على الشآميين وصحافتهم وتنقل عنها الصحف

---

(١) المفيد ١٣ و٢٣ ابريل عام ١٨٨٢ (٢) المحروسة ١١ أبريل ١٨٨٢

الناشئة فى أحضان الثورة حتى شغل هذا الموضوع حياة المصريين جميعا ، وحتى اتهمت الصحافة الشآمية فى مصر والشام الحكومة المصرية بأن تلك الحملة من صنعها ، وأنها تدفع صاحب (المفيد) وزملاءه إلى هذه الأزمة ، واضطرت الحكومة إلى تكذيب هذه التهمة وإعلان هذا التكذيب فى صحيفتها الرسمية مؤكدة أنها لا تنظر إلى موظفيها إلا من حيث كفايتهم وجدارتهم . (١) ولم يكن (المفيد) موفقاً فى هذه الحملة التى جاءت فى وقت اشتدت فيه الخصومة بين الخديو ووزارته ، فاضطر كثيرون من الشآميين أصحاب الصحف وأصحاب الأعمال إلى الهجرة من مصر ، وساء ذلك صحيفة (الطائف) لسان حال العرابيين الرسمى فكتبت مقالا بعنوان « المصريون والشاميون » تندد فيه بمن خلق هذه الأزمة وتسمى مهاجرة الشآميين الى بلادهم نزوحا سيعودون بعده « بالسلامة ليعود للمصريين الأنس بإخوانهم والفرح بسلامة بنى جنسهم الذين يعز عليهم أن يروهم فى روع أو اضطراب أفكار ». (٢) غير أن حملة (المفيد) كانت قد أثرت فى بعض أصحاب الصحف الشآمية فى مصر فاضطر صاحب الأهرام إلى الهجرة ولم يعجب (الطائف) أن يمعن « بنو جنسها » فى أمر لا يدعو إليه داع وهى ترى هجرة صاحب الأهرام عملا لا مبرر له وتذكر ذلك معاتبة ، اختفت جريدة (الأحوال) (٣) لتغيب صاحبها فرارا مما توهمه كثير من المهاجرين (٤)

لم تعد الثورة تحتمل صحفا معارضة فكانت أشد استبدادا من حكومة رياض ، فقد اضطر أديب اسحق وهو موظف فى الحكومة المصرية ومن خيرة الشآميين الذين لهم فى الصحافة أثر غير منكور ، اضطر إلى الانسحاب من جريدة (مصر)

---

(١) الوقائع ١٩ ابريل ١٨٨٢ (٢) الطائف ٢١ يونيه ١٨٨٢

(٣) جريدة الاحوال لصاحبها سليم نقلا ومديرها بشارة تقلا صدر العدد الاول منها فى ٧ يونيه ١٨٨٢ (٤) الطائف فى ٢١ يونيه ١٨٨٢

والتخلف عن ميدانها بعد حملة المفيد وزميلاته (١) وفى شهر مارس ١٨٨٢ أعلنت جريدة (البرهان) وهى صحيفة الخديو توفيق أنها عزلت الشيخ حمزة فتح الله من تحريرها (٢) وذلك لتحتفظ بوجودها ولا تتعرض لبطش الثورة وحكومتها، ومن الصحف التى لقيت حتفها فى ذلك الوقت جريدة (الزمان) وذكرت المطبوعات أنها ارتكبت ما يخالف قواعد الدين الاسلامى وأنها دأبت على المطاعن الشخصية ثم أهانت جانب الحكومة . (٣) ولم يبق من الصحف الشآمية إلا جريدة (المحروسة) فقد عاشت موالية للحكومة فى الظاهر حتى تبين لها أن صاحب الجريدة يعبر عن رأى القصر ورجاله ويذيع من الأخبار ما يقلق الأمن وتضطرب له الأفكار ، فأمر عرابى باشا بتعطيلها ثلاثة أشهر فى يونيه ١٨٨٢ (٤)

طبقت الثورة قانون المطبوعات فى شكل واسع لم يبق إلا على بعض الصحف الموالية ومن أهمها (المفيد والطائف) ،وكانت أهم وظائف هذه الصحف الحملة على الخديو توفيق وأسرته ، وشغلت (المفيد) معظم صفحاتها بالحديث عن الخديو السابق حديثا هو غاية ما يمكن نشره من بذاء ، فهى لا تتحدث عن شهواته فى التواء بل تفصلها تفصيلا سواء اتصل الحديث بذكر أو أنثى . وهى تنشىء هذه المقالات ولحمتها الادعاء وسداها المبالغة التى لا تستند الى التاريخ (٥) وتقرن (المفيد) الحملة على إسماعيل بالحملة على الانجليز فى أكثر من مقال ، أما الخديو توفيق فقد سفرت فى الحملة عليه ونعتته بالجبان المستخذى . (٦) ولم تعد الصحف المصرية تطرق الموضوعات الدستورية أو تناقش المسائل العامة بخبرة الدارس الحصيف بل انتهى ذلك العهد وأصبحت الصحف المصرية تحرر بأقلام مصرية

---

(١) مصر فى ٨ مارس ١٨٨٢ . راجع وداع أديب اسحق لها فى هذا العدد .

(٢) البرهان فى ٣٠ مارس ١٨٨٢ (٣) المفيد فى ١٧ أبريل ١٨٨٢

(٤) المحروسة فى ٣ يونيه ١٨٨٢ وفيه نشرت أن الأهرام عطلت شهرا

(٥) المفيد فى ٢٧ ابريل ١٨٨٢ (٦) المفيد فى رمضان ١٢٩٩ (١٠ رمضان)

خالصة ، وأصبح كل أصحاب الصحف من المصريين بعد اختفاء (الأهرام) وغيرها من الجرائد فى الاسكندرية والقاهرة وبعد أن انزوى الكثيرون من الشآميين كتاب الصحف وقد ظهرت على أنقاض الصحف الشآمية صحف مصرية كثيرة (كالفسطاط)(١) والسفير والنجاح (٢) بيد أن هذه الصحف جميعا لا تبلغ فى مكانتها ولا فى خطرها ولا فى إنشائها وتحريرها ما بلغته جريدة (الطائف) التى كان يحررها كاتب حاد الطبع نابغ فى الإنشاء وهو عبد الله النديم ، خطيب الثورة وكاتبها غير منازع ، كانت صحيفته فى أول أمرها تحمل على المساوى.



عبد الله نديم

(١) من محضر استجواب رفعت بك ـ راجع عصر المصريين ص ١٧١ ـ ١٧٢

(٢) حرر الشمسى جريدة (السفير) وهى أقل أهمية من (المفيد) وأخيرا اختفى المفيد واستبدله الشمسى بجريدة (النجاح) فى ١٠ أغسطس ١٨٨٢ (من مقال الشمسى فى السفير ٢١ أغسطس ١٨٨٢)

الاجتماعية العامة كالمواخير والحانات والمراقص التى غزت القاهرة فى ظل الامتيازات وتحت حمايتها ، والنديم صحفى ممتاز كثيراً ما نشر المقالات الرائعة فى جريدتى (المحروسة والعصر الجديد) اللتين كان يصدرهما سليم النقاش فجاء فيهما بالمعجب والمطرب ، وكانت له صحيفة أدبية رائعة تسمى (التنكيت والتبكيت) أصدرها فى ٦ يونيو عام ١٨٨١ فى حجم كتاب عادى « صحيفة وطنية أسبوعية أدبية هزلية ، وهى مجلة كما يقول « هجوها تنكيت ومدحها تبكيت ولغتها لا تلجئك إلى قاموس الفيرزبادى ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا ، وسخريتها « نفثات صدور وزفرات يصعدها مقابلة حاضرنا بماضينا ، وهى فى مجموعها مقالات اجتماعية عن الحياة فى مصر .

انتقلت الطائف من المقالات الاجتماعية الخاصة إلى الموضوعات السياسية العميقة والأخبار الهامة التى تميزت بها فى عهد الثورة حتى إن معظم الجرائد المعاصرة نقلت عنها أكثر ما نشرت ، واحتفظت « التنكيت والتبكيت » وهى صحيفة نديم الثانية بموضوعات الأدب والاجتماع . وكان من أهم وظائف الطائف الدفاع عن الثورة ورجالها وقد احتفى بها رجال الثورة وأنصارها فاشترك لها النواب بمبالغ كبيرة وأصبحت لهم لساناً فيه من العنف والشدة ما اضطر الشيخ محمد عبده إلى تعطيلها شهراً (١) وقد اتخذ عطف الهيئات عليها لوناً رسمياً فكتب محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب فى ١٥ ربيع الثانى عام ١٢٩٩ ﻫ إلى « داخلية ناظرى عطوفتلو افندم حضرتلرى » يقول :

« حيث إن حضرة محرر الطائف أظهر ارتياحه إلى نشر محاضر المجلس وأفكار نوابه وما يتبع ذلك مما يستدعى القيام بالحقوق الوطنية للمجلس رئى أنه لا مانع من مكاتبة الداخلية لتصدر أمرها إلى إدارة المطبوعات بمعرفة هذه الصحيفة ممتازة بهذا الاختصاص ونسبتها إلى المجلس على الوجه الذى قدمه حضرة محررها

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٣٣٦

المومأ إليه ، (١) . وقد ذكرت جريدة (مصر) فى ٢٣ مارس عام ١٨٨٢ أن مجلس النواب ، قد اختار جريدة (الطائف) الغراء لنشر ما يروم إبداءه من الآراء والخواطر والتقارير والمحاضر فهى الآن صحيفته الشبيهة بالرسمية ، ثم تقول ، وجريدة (الطائف) جديرة بهذا الاختيار فهى موصوفة بالوطنية معروفة بصدق النية ، منتشرة نافذة الكلام خطيرة مرعية المقام ،

ظهرت خطورة الطائف فى هذه الرسمية التى حبتها إياها الحكومة دون الصحف الثورية الأخرى ، فقد استطاع محررها أن يكون على بينة من شئون الدولة وأن يجد فى عطفها المادى والأدبى ما يعينها على تخطى المصاعب التى تعترض الصحف عادة وتحول دون تقدمها ، وهذه ميزات بجانب قدرة محررها تجعل لها مكانة خاصة بين الصحف المصرية خلال الثورة العرابية . ولم تقتصر الطائف على ، نشر محاضر المجلس وأفكار نوابه ، بل صورت الأعداد القليلة التى عثرنا عليها مدى العنف فى تحريرها ، وأظهر ما فيها تاريخ حياة الخديو اسماعيل فى أسلوب فيه من النقمة عليه والتشفى منه ما أبعده عن التاريخ العادل ، فقد بدأ المحرر فصلا عن ، الخديو السابق ، بعنوان ، سلب الأملاك من الملاك ، فى صفحتين كاملتين من صفحات الجريدة الأربع ، ثم مرض النديم وأقعده المرض عن إتمام الفصل فأرسل يعتذر عن تحرير جريدته ، إلا ما كان من تاريخ حضرة اسماعيل باشا فإنى أتكلف بكتابته لأن نشره من ضمن علاج ما بى ، ! (٢) ثم انتقلت من الحملة على اسماعيل إلى الإقذاع فى الخديو توفيق فى لهجة قاسية فيها تعريض بمقامه حتى أن حكومتها أمرت بتعطيلها نهائياً فى ١٧ مايو عام ١٨٨٢ ترضية للخديو واعتذاراً له عما ارتكبته صحيفة الحكومة من الإساءة إلى الحاكم الشرعى (٣)

تحرجت الأمور فى مصر قبيل الاحتلال البريطانى بثلاثة أشهر تقريباً فتدخلت

---

(١) مصر للمصريين ج٧ ص٢٤٨ (٢) الطائف ٦ مايو ١٨٨٢

(١) الرافعى . الثورة العرابية ص ٢٧٤

الدولتان الانجليزية والفرنسية بمذكرة تطلبان فيها استقالة الوزارة البارودية وإبعاد عرابى وبعض خاصته عن مصر وإعادة السلطان المطلق إلى الخديو توفيق، وقد ترتب على هذه المذكرة استقالة الوزارة وتأليف النظارة الراغبية ودخل فيها عرابى باشاوزيراً للحربية، ثم تطورت الحوادث سراعا وحدثت مذبحة الاسكندرية وانتقل الخديو إلى الثغر فى ١٩ يونيه عام ١٨٨٢ واعتصم بها حتى قضى الأمر باحتلال مصر وتسليم العرابيين.

ومنذ ضربت الاسكندرية وانحاز الخديو إلى الانجليز حين احتلوها أصبحت فى مصر صحافتان، صحافة فى القاهرة تمثلها الوقائع المصرية والطائف - وقد عادت إلى الحياة - (والنجاح) وما إليها من صحف الحرب والثورة، وصحافة فى الاسكندرية يقود زمامها الشيخ حمزة فتح الله فى جريدة (الاعتدال) يحمل فيها على عرابى ورجاله «البغاة الجهال العاصين الخليفة ونائبه» (١) ويعاون فيها أديب اسحق الموتور من العرابيين بالمقالات والمنشورات (٢). وبقيت صحف الثورة فى القاهرة خلال الحرب العرابية فيما خلا (الطائف) فهذه قد انتقلت إلى الميدان الحربى حيث تحرر عن كثب فى معسكر (كنج عثمان) وكانت معظم مقالاتها لاستثارة الهمم والطعن على الخديو وانجلترا (٣) وعن (الطائف) نقلت صحف القاهرة أخبار الحرب وتفاصيلها فضلا عن مقالات محررها (٤) ثم دأبت الجريدة على إصدار ملاحق لها تذكر فيها مساوىء أنصار الخديو، ومن هذه الملاحق الملحق الذى نشرته بعنوان «سليم وبشارة تقلا وتوفيق باشا»، وهو هجو مقذع لا يليق، تحلل فيه الكاتب من أسلوبه المعروف وأسف فيه إسفافا منقطع النظير (٥)

---

(١) مصر للمصريين ج ٥ ص ١٨٦ — ١٩٣ (٢) نفس المصدر ص ١٩٤.
(٣) مصر للمصريين ج ٧ ص ٢٩ — ٣٠ من اعترافات عرابى باشا أثناء محاكمته
(٤) مصر للمصريين ج ٧ ص ٢٦٦ من محضر استجواب حسن افندى الشمسى
(٥) ملحق الطائف فى ٨ شوال ١٢٩٩ هـ

كانت الصحف الثورية خلال الحرب تتبع اتجاه الحكومة ، فكان مدير المطبوعات — وهو إذ ذاك أحمد رفعت بك — يمد محررى الصحف بنبذ مما جاء فى الصحف الأوربية لإبرازها إن كانت فى جانب مصر وللرد عليها ومناقشتها إن كانت تخالف أغراض الثورة (١) وقد تركت الصحف « تقذف الخديو وشيعته معه نظراً لأن المجلس العام المنعقد بالداخلية والذى كان يضم جميع الوجهاء وأعاظم العلماء والذوات ورؤساء المذاهب المختلفة والبرنسات قرر توقيف أوامر الخديو لأنه خالف الشرع الشريف والقانون المنيف » . أما الموضوعات الأخرى التى كانت تنشرها الصحف « فإن القطر المصرى كان تحت القانون العسكرى وقد بلغت ذلك الجهادية للداخلية وبذلك أصبحت الصحف تحت الرقابة وأن الرقيب كان يعرض على المجلس العرفى ما ستنشره الصحف وأنه ممنوع منعاً باتاً نشر ما يشتم منه التعصب الدينى أو الطعن الشخصى الغير سياسى ، وقد وبخ حسن افندى الشمسى رسميا أمام المجلس العرفى لنشره مقالا تعصبيا وطعنا شخصيا وخرج بذلك من جريدة (المفيد) وأقفلت جريدته (الفسطاط) لنشرها مقالا مماثلا بأمر من المجلس العرفى » (٢)

هذه كانت سياسة الحكومة نحو الصحافة فى أدق مواقفها وهى مواقف على حداثة عهد المصريين بها تبين إلى أى مدى استوى تفكيرهم فى علاج أمر المطبوعات فالصحافة المصرية خلال الحرب تتبع نظاما مماثلا فى طرائقها أحدث ما يتبع معها فى الحروب الحديثة ، كما أن الدولة قد نزهتها عن التعصب والطعن الشخصى وعاقبت بعض الصحفيين من أنصارها حين امتنعوا عن تحقيق رغبتها وذلك أمر لا تجيزه الدعاية الصحفية إذا قامت حرب بين أعرق الأمم وأعزها فى شئون الصحافة كما شوهد ذلك فى الحرب العالمية الثانية .

° ° °

---

(١) مصر للمصريين ج ٧ . ص ٢٦٥ (٢) نفس المصدر ص ١٧١ — ١٧٢

وقد وقفت الصحف الثورية عن الظهور بعد تسليم القاهرة، ومهما يكن من أمر فإن تاريخها فى الصحافة المصرية تاريخ حافل فى كثرتها وفى أسلوبها المتميز بالعنف وإن غلبت عليه العبارة المشرقة والصور البديعة، وهى صحف غنية بدراستها للمسائل السياسية دراسة علمية موفقة وإن قطعت عليها الثورة هذه الدراسة الممتعة. وقد تحدثت صحف الثورة فى كل موضوع اتصل بالسياسة أو الأدب أو الاجتماع، فقد حيت الجمعيات الخيرية المختلفة إسلامية وقبطية، وساعدت بدعايتها على تقدمها، ثم نشرت القصص تباعا وطبعت الكتب العلمية والأدبية فى مطابعها وباعتها بأزهد الأثمان. ومن أهم هذه الصحف العلمية الأدبية مجلة (المقتطف) فقد تكفلت بما كانت تقوم به صحف الدولة الرسمية كروضة المدارس وما إليها فنشرت طرائف العلم والأدب والتاريخ، وكان أصحابها الثلاثة يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس ينقلون اليها أروع وأفضل ما فى الكتب والجرائد العلمية والصناعية، فى الغرب والشرق (١).

وقد تحرت الصحف فى أول الثورة الصدق فى رواية أخبارها وإن انحرفت فى آخرها عن هذه السمة الطيبة وغلبها القدح الشخصى فترة فجاء فى أبواب الأدب مثالا رائعا يعنى أصحاب البلاغة وأساطين البيان.

وجاءت صحافة الثورة بجديد غير معروف هو البراقيات الخاصة التى ازدحمت بها معظم الصحف وفى مقدمتها الأحوال والأهرام، وإلى هذه الأخيرة تنسب صحافة الأحاديث. فقد تخصص أحد أصحابها فى مقابلة وزراء الدول وزعمائها فى فرنسا وانجلترا والتحدث معهم عن مصر وشئونها وتسجيل هذه الأحاديث فى كتب أرسلها إلى مصر ونشرتها الأهرام على مدى الأيام. وقد روجت صحف الثورة العرابية للاقتصاد الوطنى فدعت إلى انشاء المصارف وحيت أصحاب الفكرة فيها وضربت على هذه النغمة الفينة بعد الفينة مدللة على ما للاقتصاد

---

(١) هكذا أذاع المقتطف فى العدد ١٢ من السنة الثانية ص ٢٨٨

الوطنى من أثر فى استقلال الشعوب وحريات الأمم . وهى تعالج معالجة الحصيف مشروعات الحكومة الداخلية فإذا أنشأت الدولة بنكا زراعيا وهللت لتغطيه أسهمه صحفها (١) هاجها أسلوب تكوينه والمفيدين منه وهم « أصحاب الطين والأغنياء » ودارت المناقشة بين الصحف وأصحاب الرأى فى البلاد فى شأن هذا البنك (٢) . فإن كانت الأحداث السياسية فى تلك الفترة من حياة مصر قد وقفت غالب الأقلام على هذه الأحداث فإن الصحافة المصرية لم تفوت البحث فى شئون غير شئون السياسة فى حرية ساعد عليها استقلال رأى محرريها وعدم ارتباطهم بحزب من أحزاب الرأى على الوجه المعروف من الارتباط بين الصحف والأحزاب فيما خلا فترة الحرب ورقابة الرقيب ، وهى فترة تميزت بالحزب العسكرى وتحزب الصحف القاهرية له .

---

(١) المحروسة ١٤ يونيه ١٨٨٠

(٢) المحروسة ٢٢ و ٢٦ يونيه ١٨٨٠

الفصل السادس

١٩٠٤

الصحافه المصرية منذ الاحتلال إلى الاتفاق الودى

وجدت الثورة العرابية من يعيبها ويأخذ على رجالها أنهم أتوا كبيرة لم تعرفها أمة من الأمم ، والثورة العرابية فى الواقع شىء تردد صداه فى أقطار الدولة العثمانية طلباً للدستور والحياة الحرة التى ثارت من أجلها بلاد أوربية فى حوض البحر الأبيض المتوسط فى أوائل القرن التاسع عشر أو فى أواخره ، والثورة العرابية ثورة عامة فى مصر لم تدفع اليها طبقة دون طبقة بل شايعها الجامدون والمجددون على السواء وآزارها « جميع الوجهاء وأعاظم العلماء والذوات ورؤساء المذاهب المختلفة والبرنسات » (١) . ولم تخفق الثورة العرابية لأن أصحابها كانوا يرجون شيئاً بعيداً أو يتمنون حدثاً جديداً يغير طبيعة الحياة ويسىء إلى الأمم المتحضرة بل أخفقت الثورة لغموض السلطنة العثمانية فى موقفها منهـا ، وقدرة الأجانب على حبك الدسائس لها ، وأخيراً لضعف قادتها من حيث تفكيرهم أو قوى جيوشهم .

لم تخفق الثورة فحسب بل نكبت فى رجالها فأضحوا بين قتيل ومنفى وسجين واستلم الانجليز أمة ذاهلة أوفى شبه ذهول ، ليس لها قادة فقد أخرجهم الاحتلال من الميدان فظهر الخمود على الخاصة ، وبلغ الإعياء عند العامة مبلغاً مضى بهم إلى لون من التسليم والركون إلى القضاء والقدر ، ولم يعد أمام المحتلين أحد يطاولهم فى رأى أو يناقشهم فى حساب ، وأصبحت أمور مصر كلها وديعة فى يد البريطانيين يتصرفون فيها على ما يشتهون .

---

(١) مصر للمصريين ج ٧ ص ١٧١ — ١٧٢ من استجواب أحمد بك رفعت

وقد اتفق اللورد دوفرين Dufferin سفير انجلترا فى الآستانة زهاء نصف عام فى مصر لينظم أمورها فى ظل احتلال مؤقت ، وكان أظهر ما صنعه فى تمثيل الرأى العام إنشاءه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، أما المجلس الأول فيتكون من ثلاثين عضواً منهم أربعة عشر عضواً تعينهم الحكومة ومثلهم تنتخبهم الأقاليم وواحد ترسله القاهرة وآخر تختاره الاسكندرية (١) ثم يضاف إلى هؤلاء وزراء الدولة وستة وأربعون عضواً لتتكون الجمعية العمومية منهم جميعاً ، وليس لهذين المجلسين من مظاهر الحياة إلا قدر لا يعتد به فى عظائم الأمور فلم يكن لهما على الحكومة سلطان ولم يكن لرأيهما قطع فى المسائل العامة فيما خلا حق الجمعية العمومية على الحكومة فى إقرار الضرائب الجديدة (٢) . ولم تكن هذه هى الحياة الدستورية التى من أجلها هاجت مصر وكافحت فهى « صورة كاذبة للحكم الدستورى أجيد رسمها » كما يقول أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى (٣) فلا عجب إن بقيت مصر أربعين عاما وهى تفتقد مجلساً نيابياً يعبر عن أغراضها وينطق بلسانها .

وهكذا كون الرأى العام الرسمى . أما الرأى العام الشعبى ممثلا فى الصحافة المصرية فذلك أيضا لم يخل من عناية اللورد دوفرين ، فإنه لم ينس وهو يختم نظامه الجديد ذكر حقيقة هى أصدق ما قال فى أمور مصر فانه يرى « أنه بقى فوق ذلك نظام واحد ضرورى لجعل النظم التى تقدم وصفها فعالة مثمرة ذلك هو الصحافة الحرة » (٤) فالصحافة فى تقرير Dufferin نالت جانب رعايته وهو جانب واضح لا لبس فيه ، ويرى بعض المؤرخين الإنجليز أن التفاتة اللورد وجدت صداها وتحققت معانيها حتى « أهمل قانون سنة ١٨٨١ إهمالا تاما ونالت مصر حرية صحفية لم تعرف فى شمال أفريقية أو غرب آسيا » (٥)

---

(١) George Young. Egypt p. 150-151. London 1927

(٢) الرافعى . مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال . القاهرة فى ١٩٤٢

(٣) مضابط البرلمان ١٨٨٣ مجلد ٢٦٧ ص ١٣١٠

(٤) مصر رقم ٦ سنة ١٨٨٣ ص ٥٠ (٥) Young. p. 179-180.

ويكاد الباحث فى تاريخ تلك الحقبة من تاريخ الصحافة المصرية يؤمن بأن إشارة اللورد دوفرين قدلقيت أذنا مصغية سواء كانت من الانجليزأصحاب النفوذ الحقيق فى البلاد أومن المصريين العاملين بارشادهم فى تصريف الأمور ، ويقوى هذا الاتجاه أن تقارير السير بارنج السنوية قد أغفلت شئون الصحافة بمايدل على أن أمورها قد استقامت وأنها خلومن الأحداث التى شهدتها الثورة أوعرفهاعصر اسماعيل فى خاتمته . ثم يفاجئنا اللورد كرومر فى تقريره عن سنة ١٩٠٣ بحديث طويل عن الصحافة المصرية استغرق من التقرير ثلاث صفحات كاملات ، وهو يستهل حديثه عنها بأن إنما أغفلها فى العشرين سنة الماضية لأنه لم تكن هناك حادثه ذات أهمية تتصل بشئونها ، وهو يزعم أنه حرص على حريتها فى تلك الفترة مع أن الاتجاهات العامة منذ عهد الاحتلال كانت توحى بالتضييق عليها والوقوف دون حريتها المطلقة ، وهو يشرح فكرة اطلاق العنان لها شرحا تمليه الثقة التامة بضعف أثرها وهوان خطرها ، فانه ما دام جيش الاحتلال قائما فلا خوف على سلطان الانجليز منها لأنه يحمى الموقف من كل تطرف صحفى . ثم يتحدث العميد عن فكرة التقنين للصحافة فيذكر أن فكرة إصدار قانون للصحافة سينتج إشكالا نحن فى غنى عنه لأنه يستوجب سريان نصوصه على الصحافة الأوربية أيضا ، وفى ذلك من المشاكل ما يجدر أن نتجنبها ، وإذا اقتصر القانون على الصحافة المصرية وحدها فان ذلك يحمل المصريين على الاحتماء بالدول فى حالة توظيفهم فى الصحافة فلا ينال منهم القانون ويصبح لغواً لا فائدة منه ، هذا مع العلم بأن معظم الدول وبريطانيا فى مقدمتها لا تميل إلى سن مثل هذا القانون .

واللورد كرومر يصارح حكومته بأن الصحف المصرية مهما تقل فلن تغير مجرى الحوادث وأن قضاياها مهما تكثرفهى تدور فى حيزضيق يتصل بالصحف التافهة التى تتعرض للشخصيات وتلغ فى الكرامات ، وهذه صحف يسخط عليها الرأى العام وهى قلما تسىء إلى شخصيات ورؤساء الدول الأجنبية أو الخديو وأسرته . ولما كانت الصحف لا يحفل بخطرها كما يقول اللورد فانه أبى أن يجعل

شرط ظهور الجريدة حصولها على ترخيص سابق ، وسياسته هذه أنتجت فى رأيه نتائج مرضية فقد سمحت لبعض الصحف بالظهور وفى أسلوبها من الشدة والعنف ما فيه غير أنه يراجعها ويجد فيها بعض الفوائد أحيانا ، وهى لم تستطع أن تكون حائلا دون التقدم فى مدى العشرين عاما الماضية . واللورد كرومر يوصى الموظفين مصريين وبريطانيين بالصحف المعتدلة لأنها تفيد بنقدها وبشرح بعض الأخطاء التى تتلافاها الحكومة فلا تمكن الصحف المعارضة من أن تجد أسسا قوية فى حملاتها فتأتى معارضتها واهية لا أثر لها ، وقد طالع بنفسه بعض هذه الصحف فرأى أنه كان من الخطأ ألا يعرف ملاحظاتها سواء فى ذلك الصحف التى أصدرها الأفراد أو الجماعات ، وهو يعيب على الرسميين كراهيتهم للصحافة كما يتبرمون بكل معارضة ، ثم يخطىء وجهة نظر القائلين بفرض قانون للصحافة لأن فى قانون العقوبات ما يغنى عن سن تشريع جديد (١) .

ويجدر بمؤرخ الصحافة المصرية فى تلك الحقبة أن يصور موقف السلطات قبل مناقشة اللورد كرومر فيما ذهبت إليه أقواله عن الصحافة المصرية ، فالخديو توفيق لم تكن له صحف ذات أهمية ولم يسع هو إلى خلق هذه الصحف بل كان موقفه موقفا سلبياً وهو موقف سليم على أى حال ، أما تركية فكان لها بالطبع صحف تميل اليها أو تعمل لها بإيعاز من مختار باشا ممثل السلطان فى مصر فكان يدفع لبعض الصحف ألفا وخمسمائة جنيه لكل منها (٢) وكان لفرنسا صحف كثيرة تناوىء الاحتلال وتحمل عليه ، وهذه تعنيها مصالح فرنسا قبل أن يعنيها شىء آخر ، وكان للمصريين بعض الصحف المعتدلة وتعتمد أهمها على رعاية القنصلية الفرنسية أيضا ولم يفكر الاحتلال فى أول الأمر فى إنشاء صحف خاصة به بل كان الاحتلاليون وعلى رأسهم العميد البريطانى يعنون بالتمكين للاحتلال بنشر الدعاية له فى الخارج وفى انجلترا خاصة ، فقد تدخلت بعض الجهات فى شئون مصر تدخلا أساء للورد

---

(١) Blue Books 1903 p. 31-32

(٢) Blunt: My Diaries p. 167.

كرومر فى سياسته العامة (١) فلم يكن بدله ولأنصاره من الدعوة لسياسته ونشاطه ، فعين الفرد ملنر سكرتيرمستر جوشن Goschen فى وظيفة بوزارة المالية المصرية ، وكانت وظيفته فى الواقع لتنظيم الدعاية فى صحافة انجلترا تأييداً للاحتلال وسياسته فى مصر ، وكان ملنر أفضل رجل لهذه الدعاية لأنه من الأحرار وله فى صحافتها وشائج صلة وقربى ، وكان هذا الداعية يستكتب الموظفين الانجليز المقالات للصحف والمجلات الشهرية الأوربية عامة والأنجليزية خاصة . (٢)

فالعناية الانجليزية بالصحافة بدأت فى صحافة أوربا ، أما فى مصر فيختلف الواقع مع ماجاء فى تقرير كرومر سنة ١٩٠٣ فالحكومة المصرية قد عاملت الصحف معاملة فيها من القسوة ما ينقض أقوال العميد البريطانى ، والحكومة المصرية هنا تمثل الرغبات الانجليزية ولا تجيز شيئاً لا يرضاه الانجليز فهى إن قست على الصحف المصرية فذلك رجع الصدى ليس غير ، وقد ألغى الاحتلال بعد أسبوع بعض الصحف الوطنية منها جريدتا (الزمان) و (السفير) وكان الغاء الأولى ، من قبيل الاستصواب وإلغاء الثانية مبنيا على أن صاحبها من ضمن أنصار عرابى ، وإذا أغلقت الصحف المعارضة وهو شىء طبعى مادام سلطان الاحتلال أناخ على جوانب الحكومة جميعا فإن الغريب حقا أن تضيق الحكومة بكاتب من الأجانب يبدى رأيا لا يتصل بالسياسة وهو موظف يقدر حدود الوظيفة والتزامات الموظفين إذا تحدثوا او كتبوا ، فقد أذاعت نظارة الداخلية عقب الاحتلال أمراً قالت فيه ، قد عثر فى جريدة (الأجبشيان غازيت) على مقالة تتعلق بمواد التعويضات عن الأضرار التى لحقت بسكان القطر المصرى من جراء الحوادث الأخيرة وعلم أن محررها هو المسيو فودين باشكشاف الجرك باسكندرية ، وأنه وإن كانت المقالة خالية من العبارات المخلة بشأن الحكومة إلا أنه لا يجوز لمستخدمى

---

(١) Gromer ; Modern Egypt VI. P. 435

(٢) Blunt. W. S. My Diaries p. 44

الحكومة جميعا أن يكاتبوا الجرائد ، (١) ولعل ذلك الضيق بالصحيفة الانجليزية وبمن يكتب فيها أنها أخذت جانب العرابيين وهو موقف دفع له بلنت بسخاء (٢)

يسجل اللورد كرومر فى تقريره أن الصحافة المصرية قطعت عشرين عاما بعد الاحتلال من غير تاريخ وهو تسجيل ينقضة بلاغ الحكومة الذى يحاسب صحف (الوطن) و (اسكندرية) و (مرآة الشرق) و (البرهان) و (الأهرام) على بعض مقالات النقد التى وجهتها للاحتلال ، ثم يزاوج البريطانيون بين الصحافة المصرية والصحافة الأجنبية فى المعاملة فينذرون جريدتهم (الأجبشيان غازيت) ويغرمونها عشرين جنيها لأنها تجاوزت حدودها فيما نشرته من مقالات فى يومى ٩ و ١١ أغسطس سنة ١٨٨٣ (٣) وينقض تاريخ الأهرام أيضا ماذهب اليه كرومر ، حقا إنها بدأت بعودتها إلى الظهور فى ٢٩ سبتمبر ١٨٨٢ (٤) حاملة على ، العاصى عرابى ورفاقه البغاة ، مادحة أنصار الخديو ، كسعادتلو سلطان باشا ، (٥) ناشرة صورة رائعة فى صدرها للجنرال السير ولسلى قائد الحملة الانجليزية على مصر مؤرخة حياته فى معظم الصفحة الأولى وهى أول مانشر فى الأهرام من صور فيما نعلم (٦) ومجمل القول إنها بدأت لينة محابية للاحتلال ورجاله وإن حفلت صفحاتها خلال ١٨٨٢ بآراء الصحف الانجليزية والفرنسية فى المسألة المصرية وجعلت يوم الخميس وقفاً على أخبار مصر الداخلية

بيدأن (الأهرام) تحمل علم الجهاد وحدها منذ بدأت سنة ١٨٨٤ فتودع العام المنصرم ، وداعا لا يمازجه أسف ولا يقابله كدر بل هو واقف إزاءه وقوف

---

(١) مصر للمصريين ج ٦ ص ٢٤٢ — ٢٤٣

(٢) التاريخ السرى ص ٣٣٢ (٣) الاهرام ١٨ أغسطس ١٨٨٣

(٤) تقضى قومسيون التعويضات الدولية المصرية المنعقد بالاسكندرية فى يوليو ١٨٨٣ لسليم بك تقلا بمبلغ ١٩٠ ألف فرنك تعويضا عن الخسائر التى لحقته خلال الثورة العرابية وذلك بحكم رقم ٥٩٧٩ (راجع الوقائع المصرية فى ٢٠ أغسطس ١٨٨٣)

(٥) الاهرام ٣ اكتوبر ١٨٨٢ (٦) الاهرام ٥ اكتوبر ١٨٨٣

ضعيف سلبه خصمه متاعه يستعطفه فلا يحنو ويستصرخه فلا يعى ، ويبدو فى هذا المقال الانحراف عن الاحتلال ودعاته ثم تعقب على ذلك بنشر مآسى مصر وإن لم يصدر ذلك من محررها ، فهى تنقل أقوال الصحف الانجليزية التى برمت بالسياسة البريطانية فى مصر فتقول عن لسان (ذى استاندارد) « يلوح أن حالة مصر فى الحاضر أسوأ منها يوم تولى الانكليز إدارة السياسة المصرية عقب موقعة التل الكبير وولوج العساكر الانكليزية عاصمة القطر » . ثم تحدث فى حياة مصر أزمة السودان وانهيار الحكم المصرى فيه فتلق الأهرام بدلوها فى أمره وحوادثه وتعرض المسألة السودانية والأزمة التى أعقبتها وتصل خيبة الأمل التى لحقت جيوش مصر بموقف الانجليز ، وتتحدث عن نصيحتهم بتركه ، ومعنى النصيحة كما نشرتها الأهرام أن تقبلها مصر « دون حدوث تردد أو إجراء جدال بالإطلاق طالما أن جيش الاحتلال مستقر فى البلاد المصرية » ، والأهرام لا تعجبها هذه النصيحة الانجليزية لأن الوطنى الشريف فى رأيها لا يوقع أمراً بإخلاء السودان لذلك اعتزلت الوزارة الحكم ، وبعلق بشارة فى اليوم التالى على موقف الحكومة الشريفية شاكراً لها خطتها المحمودة وموقفها الوطنى المشرف ثم يعطف الكاتب على موقف مجلس الشورى والجمعية العمومية اللذين يشهدان تلك الحوادث وهما عليها سكوت (١) . وتنعى الأهرام على من وافق على إخلائه أشد النعى وتنشر أحاديث أمراء الألوية بالجيش مبينة من هذه الأحاديث أخطاء الحكومة وإهمالها فى الحرب (٢) ثم تذكر المحاربين المصريين الذين ضحوا بأرواحهم « تخليداً لذكر مصرنا العزيزة » (٣) وبذلك تولت الأهرام التنفيس عن المصريين ، وكانت حوادث السودان من مواقفها المشرفة وهى حوادث أكبرتها فى عين التاريخ عن المجلسين برجالهما وذواتهما .

فاذا فرغت الأهرام من المسألة السودانية ووجهت باستقالة ثابت باشا وزير

---

(١) الاهرام فى ٢ و ٣ و ٨ يناير ١٨٨٤
(٢) الاهرام ٢٤ يناير ١٨٨٤ (٣) الاهرام ١٥ فبراير ١٨٤٤

الداخلية نتيجة لتعيين المستر Clifford Lloyd وكيلا للداخلية فى ١٥ يناير عام ١٨٨٤ (١) وتحرجت الأمور بين الوزير والوكيل حتى اضطر الأول إلى الاستقالة لأنه لم يعد فى وسعه « المحافظة على شرف المصلحة » (٢) تشرح الجريدة هذه الأزمة وتوضح أنها من صنع الانجليز وأنهم أصحابها ودعاتها ثم تعلق على الموضوع تعليقاً وطنياً انفردت به وحدها . ويسافر مدير الجريدة إلى انجلترا وتأخذ الأهرام فى نشر رسائله المتصلة وأحاديثه المتباينة عن مصر وشئونها ، وكان من أهم الأحاديث التى نشرتها الأهرام حديث مديرها فى أول يوليه ١٨٨٤ مع ريفرز ولسن عن حالة مصر فإذا سأله Wilson عن حال البلاد أجابه « بأنها سيئة بفعال أبناء جلدته » ويجيبه عن سؤال يتصل بالأسباب التى تحول دون تأليف وزارة يكون من أعضائها رياض باشا وشريف باشا بأن ذلك يتم « إذا كان القصد خدمة مصر لا خدمة الانكليز » ويمضى مدير الأهرام عارضاً مساوىء الإدارة المالية الانجليزية فى مصر .

ويستقبل المصريون هذه الأحاديث المنشورة استقبالا يضع الأهرام فى مكان الزعامة من أفكارهم وآلامهم ، فإذا هى تطلع عليهم فى ٤ أغسطس ١٨٨٤ وفى صدرها خطاب « من علماء وذوات ونواب شورى وغيرهم فى الاسكندرية » يمدحون لها موقفها من مصالح مصر ويحفظون لها وفاءها لأمانيهم وتقرن نشر هذا الكتاب بكتاب آخر من أقاليم مصر الأخرى وهو يضرب على نفس النغمة من تكريم الجريدة وأصحابها .

نالت الأهرام تقدير المصريين كما نالت بر الدولة العثمانية بها أما فرنسا فأمر عطفها عليها معروف منذ عهد إسماعيل ، وتجمل جريدة الشعب فى تاريخها للصحافة الوطنية هذا كله فى قولها عن الأهرام إن « سياستها عثمانية مصرية تدافع عن مصالح فرنسا فى مصر سواء كانت اقتصادية أو سياسية ولكنها لا تهمل المصلحة المصرية وهى تقر للحكومة الحسنة وتبين لها السوءة . . . . وهى أكثر الصحف

---

(١) مجموعة الاوامر العالية عام ١٨٨٤ ص ٤ (٢) الاهرام ١٠ مارس ١٨٨٤

المسيحية عناية بمصالح الوطنيين وأحياناً تشتد فى نقدها كأكثر الصحف الوطنية تطرفا .

ويذكر بعض خصوم الأهرام اتصالها بفرنسا كعار لا يمكن أن تمحوه المواقف الوطنية المشرفة ، وفى هذا من التجنى ما لا يقبله المؤرخ العادل ، فالأهرام بقيت فى تاريخ مصر الحديث عشر سنوات تحمل لواء المعارضة وحدها وتحيى ميت الرجاء فى نفوس المصريين ، وهى التى نقلتهم من الذهول إلى يقظة مهدت للحزب الوطنى وجوده ، وليس يعيبها بحال أن تعجب بفرنسا أو تعمل لها مادامت « لا تهمل المصلحة الوطنية » (١) ولا يضيرها هذا فى التاريخ وبعض الأمم تعجب ببعضها وتعمل لها وتؤمن بمبادئها حتى لا تسلم أحيانا من تعريض استقلالها ووجودها لخطر قريب أو بعيد ، وتاريخ الأهرام فى الأعوام التى تلت الاحتلال أفضل من تاريخ مجالس مصر النيابية وأعز عند المؤرخ منها ، وأن مصر نفسها لم تختلف عن الأهرام فى إيمانها بفرنسا وأملها فيها ، وعند ذلك تتفق الأهرام ومصطفى كامل زعيم النهضة قبل الاتفاق الودى .

وإذا كان حظ الأهرام عند المصريين والسلطان والفرنسيين حظا موسوما بالتقدير والاعجاب فإن الحكومة المصرية ومن ورائها رجال الاحتلال لا يرون فيها هذا الرأى وهى تؤرق حياتهم بما تنشره من مقالات وأحاديث ، لذلك قررت الحكومة تعطيلها شهراً « لأنها نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش سلطة واعتبار الحكومة الخديوية » (٢) ولأسباب التعطيل نواح خفية لم يتضمنها بالطبع أمر الإغلاق وأهمها رسالة مديرها من لندن المنشورة فى ١١ أغسطس ١٨٨٤ فقد عرض فيها بشارة إلى احداث مصر وغمز الحكومة المصرية بعتبر جارحا فى تلك الأيام (٣) وفى ذلك تقول (العروة الوثق) إن أسباب غلقها « نشر رسائل

---

(١) الشعب فى ٨ مايو ١٩١٢ (٢) الوقائع ٢١ أغسطس ١٨٨٤
(٣) الداخلية ملف ١١ — ٢ — ٩٤٦ ج ١

مدير الجريدة وهو فى لندرا على مافيها من بيان بعض مساوىء السياسة الانجليزية على خلاف رغبة الباشا – تقصد نوبار باشا – وقيل إن السبب نشر التشكر الذى قدم الى المدير والمحرر من أعيان البلاد ودلالة على استحسان مشرب الجريد (استقباح سياسة الإنكليز) »(١) ومهما تكن الأسباب الظاهرة والخفية فإن الأهرام عطلتها الحكومة شهرا. وإذا لم يكن المصريون يملكون مايحول دون تعطيلها فإن القنصلية الفرنسية أثارت ضجة خطيرة لهذا الموضوع، وتبدأ قصة هذا الكفاح ببرقية إلى الداخلية من أحد موظفيها ينبئها فيها بأنه «صار اعلان قرار بتعطيل جورنال الأهرام إلى سليم بيك تقلا نفسه فى صباح تاريخه الساعة ٦ أفرنكى بعد توقيفه الكلى مع غلق المطبعة تعلقه والختم على بابها بختم المحافظة وتعيين اثنين بوليس غفرة على الباب المذكور. وبعد نهو ذلك حضر مندوب من قنصلاتو فرانسا وأمرنا بالخروج من محل مكتب الجورنال الذى كنا فيه لأجل تحرير المحضر فأوريناه أن مأموريتنا انتهت وانصرفنا». ثم يبعث القنصل بكتاب إلى المحافظة يحتج على ذلك أشد الاحتجاج ويوضح له أن عمل الحكومة كله عمل غير قانونى من جميع الوجوه وفيه من الظلم مالا يحتمله وهو اعتداء على كرامة القنصلية الفرنسية لا يقبل معه اعتذار كتابى أو شفهى قبل أن تفتح مطبعة تقلا بحضور ممثل القنصلية، ثم يهدد المحافظ بأنه سيكتب للقنصل العام فى القاهرة ليطالب الاعتذار الرسمى على إهانة السيادة القنصلية التى صدرت عن السلطات المحلية وعلى رأسها محافظ الثغر، وأرسل القنصل كتابا مماثلا لوزير الداخلية وإن صيغت عبارته فى ألفاظ رقيقة. ويبعث محافظ الاسكندرية ببرقية إلى ناظر الداخلية ينبئه فيها بمضمون كتاب القنصل وأهم ما فيه احتفاظه بحقوق صاحب الاهرام وطلبه رفع الأختام فى غضون نصف ساعة، بيد أن الوزير أمر المحافظ بتنفيذ التعليمات على ضوء ما أرسل اليه من رئيس النظارة. ويبدو أن القنصلية الفرنسية عجزت عن أن تحول دون تعطيل الأهرام فأوعزت إلى صاحبه باقامة الدعوى

(١) العروة الوثقى ص ١٤٥ — ١٤٦

على الحكومة أمام المحكمة المختلطة فى ٢٧ أغسطس عام ١٨٨٤ (١) غير أن هذا الموضوع لم يقض فيه .

هذه هى إحدى الحوادث التى أنكر اللورد كرومر وجودها حين تحدث عن الصحافة المصرية فى سنة ١٩٠٣ وهى أبرز حوادث الصحافة الوطنية إذ ذاك لأن الأهرام (٢) كانت تمثل فى مصر المعارضة وتمثل مع غيرها المصالح الفرنسية وتعبر من ناحية أخرى عن سخط الباب العالى على الحالة فى القطر المصرى ، فهى حادث من حوادث مصر البارزة وتعطيلها لون من ألوان الضغط على الحريات العامة .

لم يذكر اللورد كرومر هذا الحادث ولم يفصل تاريخ الوزارة النوبارية مع الصحف وهو تاريخ حافل كان تعطيل الأهرام مثلا من أمثلته . وكان قرار هذه النظارة بمنع جريدة (العروة الوثقى) من الدخول إلى مصر مثلا ثانياً للضيق بالرأى الحر فقد أصدر مجلس النظار فى أول مايو عام ١٨٨٤ قراره هذا ، حفظا للنظام العمومى ، (٣) وسيأتى الحديث عنها فى فصل خاص بالصحف المصرية فى الخارج . ثم الغيت الوطن فى نفس السنة (٤) لأن صاحبها ، نهج فى جريدته منهج عدم الاستقامة المخالفة بنشر الجمل والأخبار المشوشة للأفكار والموجهة للقلق والاضطراب ، (٥) . ومن الغريب حقا أن تلغى الوطن وهى من الصحف

---

(١) محفوظات الداخلية ملف ١١ — ٢ — ٩٤٦ ج ١

(٢) أصدر بشاره تقلا جريدة الشرق ، ورخصت له بذلك الداخلية فى ٢١ مايو عام ١٨٨٣ ثم غير اسم الشرق بالنيل فى ٧ مايو عام ١٨٨٧ ونقلت الاهرام الى القاهرة فى أول نوفمبر عام ١٨٩٩ ورفضت الداخلية اصدار الجريدة بالاسكندرية أو إصدار صحيفة فرنسية فى القاهرة . ثم تغلب أصحابها على العقبة واصدروها فى الثغر باسم (الأهرام طبعة الاسكندرية) ثم غيرت إلى صدى الاهرام (راجع الداخلية المصدر السابق)

(٣) الوقائع المصرية فى ١٥ مايو عام ١٨٨٤

(٤) الوقائع المصرية ١٢ مارس ١٨٨٤ (٥) الداخلية دوسيه رقم ٤ مكرر

الموالية لرئيس الحكومة الذى أصدر الأمر بالغائها فهى تستقبل الحكومة بعد الثورة العرابية والاحتلال استقبالا منقطع النظير وهى تحمل على العرابيين وإن مزجت الحملة بلون من التعصب الدينى (١) وهى تحمل على استبداد النفى بحكم الاعدام فى قضية عرابى حملة استغرقت معظم الصفحة الأولى منها فاذا أحست أن هذه الحملة آلمت الانجليز وهم أصحاب الرأى فى استبدال هذا الحكم اعتذرت بقولها « قد رأينا أن ندفع ما علق بأوهام البعض من أننا نددنا على انكلترا فى مصر والحال أننا لم نأت شيئا إداً ولم نخرج عن الحد أبداً ولم نستعمل حدة ولا شدة فى كلامنا على نتيجة محاكمة البغاة بل أن جريدة (الوطن) دون غيرها طالما دافعت عن سياسة انكلترا ونشرت مآثر أهلها ومكارم أخلاقهم . . . . ولما اشتد كرب تلك الفئة الباغية كنا نتمنى لو أتت دولة البرابرة لتنقذنا من مخالبها فما بالك بدولة بريتانيا المتمدنة المشهورة بحسن السياسة ومزيد الكياسة ودهاء الرجال وسداد الأعمال فهل يظن أن يقابل معروفها بالغمط والكفران » (٢) .

كان من الغريب حقا أن تلغى جريدة (الوطن) وهذه هى سياستها وهى سياسة موالية أشد الولاء للانجليز ورجالهم من المصريين ، وأكبر الظن أن عقابها كان لجأ وعلى غير أساس لأنها عادت إلى الحياة بعد يومين من صدور أمر الاغلاق (٣) . ومن الحوادث الصحفية التى أغفلها كرومر فى تقريره اغلاق (مرآة الشرق) بقرار من مجلس النظار وهى من الصحف الوطنية القديمة التى طبعت بطابع الإخلاص والتضحية والمعارضة للاحتلال ورجاله وتعريب ما يقال فيهم بما يسوء صاحبها وكذلك الغيث جريدة (الزمان) بقرار من مجلس النظار فى ٢٩ يوليه عام ١٨٨٦ (٤) وأنذرت (الصادق) بقرار من وزارة الداخليـــة فى ٢٥ سبتمبر لأنها نشرت مقالة تضمنت « كثيرا مما يشوش الأفكار ويخدش

---

(١) الوطن ٢٥ نوفمبر ١٨٨٢ (٢) الوطن فى ٩ و ١٦ ديسمبر ١٨٨٢

(٣) الوقائع المصرية ٣١ مارس ١٨٨٦ (٤) الوقائع المصرية ٢ أغسطس ١٨٨٦

الأذهان ، (١) وهذه الجريدة من الصحف المعارضة للاحتلال ، وقد أنشئت بإيعاز من مختار باشا الغازى المعتمد السلطانى فى مصر بعد تعطيل (مرآة الشرق) وكلتاهما من الصحف التى تربطها بتركيا وسياستها أقوى الروابط (٢)

هذه هى حوادث الصحافة المصرية العربية فى السنوات الأربع الأولى من الاحتلال البريطانى وكانت جديرة بأن يتحدث اللورد كرومر عنها لا أن يهملها ويهمل ماجاء بعدها من الحوادث الخطيرة فى حياة الصحف المصرية ، بيد أنه أبى تسجيل حوادثها وأخفى أزماتها عن حكومته وبرلمانه فلم يعلق عليها بحرف .

وليست الصحافة المصرية العربية وحدها التى استبد بها الاحتلال بل أن الصحافة الأجنبية فى مصر عانت من ضغطه وضغط رجاله مثلما عانت الصحف المصرية الحرة ، وأبرز المشاكل الصحفية لهذا العهد تعطيل جريدة (لوبوسفور أجبسيان Le Bosphore Egyptien) فهى صحيفة فرنسية النزعة تحتمى بالقنصلية الفرنسية ، دأبت على الحط من الاحتلال وتسويء سمعته وتتبع نقائصه ونشر فضائحه ، وهى من خصوم نوبار المعارضين له وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية معا ، وقد مضت (لوبوسفور أجبسيان) تعارض كرومر وسياسته فى عنف وشدة وهى أول من أشار إلى الخلاف بين وكيل الداخلية والنائب العام بالمحاكم الأهلية وكلاهما انجليزى وهى تروى نبأ هذا الخلاف كفضيحة من فضائح العصر (٣) ثم أذاعت منشور المهدى ، وقد نشرته جريدة الفلاح فى ١٥ يوليو عام ١٨٨٦ - الذى يتحدى فيه الحكومة المصرية ويدعو للثورة عليها وكان نشر هذا المنشور السبب المباشر الذى من أجله قرر مجلس النظار فى ابريل عام ١٨٨٥ تعطيلها واقفال مطبعتها . وأثار حادث تعطيلها واقفال مطبعتها أزمة حادة بين

---

(١) مجموعة الاوامر العالية ١٨٨٦ (٢) طرازى ج ٢ ص ٣٠

(٣) لوبوسفور أجبسيان فى ٢٩ مارس ١٨٨٤

الحكومة المصرية والحكومة الفرنسية ، وقد وقفت الحكومة البريطانية إلى جانب مصر فى أول الأمر لأن عتاب الجريدة يلذ للسلطتين معاً لأنها خصمهما جميعاً ، وتروى (لو بوسفور أجبسيان) مراحل الأزمة فتذكر أن الحكومة المصرية طلبت من القنصلية فى ٨ ابريل بعث مندوب لها ليشهد عمليتى التعطيل والاغلاق فكان رد القنصلية احتجاج قنصلها على ذلك ، بيد أن الحكومة أهملت احتجاج القنصل ومضت فى تنفيذ قرارها وصادرت الجريدة وأقفلت المطبعة ، وأراد وكيل القنصلية أن يتدخل فأهين من السلطات المصرية ، فبعث القنصل العام لفرنسا فى مصر إلى حكومته بمضمون ما حدث ولما كانت هذه هى المرة الثانية التى تهان فرنسا فيها ، فقد هددت بقطع العلاقات مع الحكومة المصرية إذا لم تعتذر الحكومة وتعيد الجريدة والمطبعة إلى الحياة ، ورأى الانجليز المسئولون فى مصر أن الأزمة قد بلغت حداً قد يؤثر فى علاقات فرنسا وانجلترا فتخلوا عن مصر ونصحوا لها بحل الموقف مهما يكن الثمن ، ففتحت المطبعة بدون قيد ولا شرط ، وذهب نوبار باشا بملابسه الرسمية إلى معتمد فرنسا وقدم اعتذاره رسميا فى ٣ مايو ١٨٨٥ وعادت الجريدة الى الظهور فى ٢ مايو من السنة المذكورة (١) وصدر كتاب أصفر يحتوى على المحادثات التى دارت بين الحكومات الثلاث (٢) وخسرت مصر بذلك الموقف خسارة أدبية لم تهم الإنجليز فى شىء . غير أن هذه الأزمة التى حدثت بين الحكومات الثلاث قوت ساعد الأهرام ، فإن فرنسا قد كسبت المعركة وخسرتها الحكومة المصرية ومن ورائها المحتلون ، ونحن نعنى بالأهرام وحدها فى تاريخ صحافة ذلك العهد لأنها الجريدة الوحيدة التى عارضت فى أسلوب عف وناقشت خصومها فى عبارات معتدلة ، مع أنه كان بجانبها صحفيون ، من أهل اللهجة العربية ، ينشرون صحفهم وبعضها معارض ، غير أنها صحف كما تقول الحكومة

---

(١) لو بوسفور أجبشيان ٢١ مايو ١٨٨٥ (٢) الشباب العدد ٦ عام ١٩٣٦

ويصدقها الواقع تعلم «الفحش والبذاء المفسدين لأخلاق العامة» (١)

قوى انتصار فرنسا في الأزمة الصحفية السابقة جريدة الأهرام؛ فاشتدت معارضتها وحملت على الإنجليز وسياستهم في جميع أعدادها، وإذا نسى المجلسان النيابيان وظيفتهما اللينة التي يجوز فيها لفت النظر أو إبداء الرغبة فإن الأهرام لم تقف عند المعارضة الودية بل دعت إلى الجلاء وألحت فيه وهي تؤرخ للسياسة الانجليزية في مصر التي بدأت منذ سنة ١٨٤٠ بإثارة أوربا على محمد على باشا ثم «نراها قد احتلت مصر»، وتحمل على انجلترا وتسمها بأقبح الأوصاف فهي عندها أمة «كل يوم في شأن وكل ساعة في خطة، أما وعودها بالجلاء عن مصر فهي مواعيد عرقوب»، فإنا على ذلك لا نرى انكلترا تفي وعدا ولا تحفظ عهدا.

ولا تمسك بالعهد الذي وعدت   إلا كما يمسك الماء الغرابيل (٢)

وهي تعنى أشد العناية بمؤتمر الآستانة، وكانت وظيفة هذا المؤتمر التفكير في أمثل الطرق لحل المسألة المصرية، وهي تعرض التيارات المختلفه بين الدول وصحافتها المتباينة ثم تعلق في اتزان وعمق على ما يدور هنا وهناك. (٣)

وكانت الأهرام أكثر الصحف انتشارا لأنها كانت الجريدة الوطنية الوحيدة كما يؤيد ذلك محمد فريد بك رئيس الحزب الوطني (٤) وكان يقرؤها الرأى العام النابه في خاصته والرأى العام القارىء في مجموعة المتعلمين، وقد أصبحت دعامة من دعامات حرية الفكر، فلا غرو أن أثرت معانيها في أعضاء مجلس شورى القوانين فقد بقى هؤلاء الأعضاء في موقف سلبي زهاء عشرة أعوام منذ أنشىء مجلسهم، بيد أنهم برموا بالمستشار الانجليزى فرفضوا ميزانية عام ١٨٩٣ لأنه لم يعرضها قبل الموعد المحدد لظهورها بوقت كاف وهذا موقف جديد بالنسبة لهذا

---

(١) الاهرام في ٣١ اكتوبر ١٨٨٤   (٢) الاهرام في ٢ يناير ١٨٨٧

(٣) الاهرام في ١٢ مايو وأول يوليه و ١٣ يوليه ١٨٨٧

(٤) نقلا عن Jeune Turc في ١٦ يناير ١٩١٠

المجلس (١) والأهرام تذكى هذه اللفتة الجديدة وتحذر الأعضاء من الشراك التى تنصب لهم فى الخفاء (٢) فإذا بهم يظهرون استياءهم من اتصال العميد البريطانى ببعضهم ثم يرفضون اعتماد نفقات جيش الاحتلال . وهو أول موقف كريم عرف لهذا المجلس ، وقد ساء الصحافة الانجليزية هذا الموقف وساءها انضمام رياض باشا إلى الأعضاء وإعلانه مشاركة الحكومة للمجلس فيما ذهب اليه عن الجلاء (٣)

تنشر الأهرام هذه المواقف الجديدة فى حياة مجلس الشورى وتمتدح أعضاءه ثم تفسح صدرها للمصريين الذين آن لهم أن يتنفسوا ويخرجوا من يأسهم وقنوطهم فقد فقدوا الحرية والاستقلال معاً ، وانحلت المقاومة الأهلية وأصبح الاحتلال مهيمنا على مرافق الحياة العامة ومصالح الدولة ووزاراتها جميعا ، وليس فى ميدان المعارضة جريدة ذات اعتبار إلا (الأهرام) ، فكانت للوطنيين نعم السند والنصير

وفى ذلك الوقت ظهر فى بيئة الوطنيين فتى له فى تاريخ مصر وصحافتها الشأن الأول إذا كانت الحياة جهاداً وكفاحا حقاً ، واحتفلت به جريدة الأهرام وفسحت صدرها لقلمه ، فكانت أهم مقالاته فيها مقالا استغرق صفحتها الأولى عن الوعود الصريحة ، وعود الجلاء المتكررة من الإنجليز ، وهو يوجه المعارضة فى عنف وشدة قلما رأى الاحتلال مثلهما فى صحيفة عربية فإن الإنجليز ، بمحافظتهم على هذا الاحتلال الثقيل ، قد تنكروا لأعز شىء ، يتباهون به ويفخرون أعنى بذلك الشرف البريطانى الجليل الشأن الرفيع البنيان ، ثم يعقب على هذا المقال فى يوم آخر بحديث جرى بينه وبين السير بارنج له خطره ومكانته كعمل صحفى ، وله آثاره

---

(١) الرافعى . مصطفى كامل ص ٣٤٧ — ٣٥٢

(٢) الاهرام فى شهرى نوفمبر وديسمبر عام ١٨٩٣

(٣) راجع تقرير الحكومة الذى تلاه رياض باشا فى مجلس الشورى فى ٢٣ ديسمبر عام ١٨٩٣

كعمل وطنى (١) وتمد الأهرام فى رحابها لمصطفى كامل فقد استنكر هذا المعارض الوطنى الجديد انشاء (المحكمة المخصوصة) وهى محكمة ألفت لمحاكمة الأهالى الذين يعتدون على الجنود الإنجليز وهى لا تتقيد بقانون العقوبات، فنشرت له احتجاجا نارياً على إنشاء هذه المحكمة بعنوان «صواعق الاحتلال» (٢)

ينكر اللورد كرومر هذه المواقف جميعاً لأنه اختط لنفسه خطة جديدة قد تكفل له الطمأنينة على مركز الاحتلال فى مصر، فإذا كان فى غير مقدوره أن يبطش بالصحف والصحفيين خوف الرأى العام الإنجليزى أو المشاكل الدولية كما حدث فى موضوعى (الأهرام والبوسفور أجبسيان) فلا بأس أن تكون فى مصر صحافتان، صحافة حرة مطلقة تتحدث بما تشاء كالأهرام مثلا وبعض الصحف الصغيرة الأخرى، وصحافة أخرى حرة مطلقة أيضا تعمل لحسابه (كالمقطم) وهو مطمئن إلى هوان الأولى لأنها عزلاء من المال ومن الأخبار يسلط عليها سيف قانون العقوبات، وهو مطمئن إلى خطر الثانية بما ينفحها هو من مال، وما تقدمه لها الدولة من إعلانات وأنباء، وقد رأى العميد الإنجليزى أن يحارب الصحافة بالصحافة، فأوعز إلى أصحاب (المقتطف) أن ينشئوا صحيفة يومية سياسية تنافس الأهرام وتعارضها وتحمى المصالح البريطانية كما كانت الأهرام تؤيد المصالح الفرنسية، فتقدم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس إلى إدارة المطبوعات فى ١٨ ابريل عام ١٨٨٨ يرجون الترخيص لهم بإنشاء «جريدة سياسية تجارية غرضها خدمة الوطن واسمها (المقطم) ويكون صدورها يوميا، وهم يعتمدون فى طلب الترخيص على سمعتهم الصحفية ومراعاتهم فى كل أقوالهم وكتاباتهم «صالح العموم»، وهذه «شواهد مقبولة لديكم على اخلاص نيتنا وحسن

---

(١) الاهرام فى ٤ و ٢٨ يناير ١٨٩٥

(٢) الاهرام ٤ مارس ١٨٩٥ وقد ذكر لنا المرحوم جبرائيل تقلا باشا أن مصطفى كامل كانت له حجرة خاصة فى الأهرام يستقبل فيها أنصاره

طويتنا ومراعاتنا لقوانين حكومتنا السنية» (١) ورخصت نظارة الداخلية «إدارة المطبوعات» للشركاء الثلاثة باصدار (المقطم) فى ٢٩ ابريل عام ١٨٨٨ وهم ينالون الترخيص كرعايا مصريين وفى ظل الخديوى، غير أن تاريخ المقطم فى سنواته الاولى ينقض ماجاء فى طلب ترخيص أصحابه وتقول فى ذلك جريدة (الشعب) وهى تؤرخ (للمقطم) إنه «انجليزى صرف وكل أعمال الحكومة ممدوحة لديه، وهو يترجم ويطبع تقرير المعتمد» (٢) ويقول محمد بك فريد إن الإنجليز أنشئوه ليدعو لسياستهم (٣) وأعلن المستر بلنت فى أوربا «أن وزارتى الحربية والداخلية دفعتا لصحيفة المقطم مبلغا عظيما من المال لتدافع عن تصرفات الإنجليز فيهما»، ويقرر الأستاذ أمين عبده المحامى أن المقطم دأبت على التعرض للخديو فأراد أن يقدمها للمحاكمة بمقتضى قانون المطبوعات الصادر فى عام ١٨٨١ فأعلن كرومر أن هذا القانون قد جبه قانون المطبوعات فى المادة ٢٥ من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية وهو لايوافق على تقديم المقطم للقضاء لأنه من أنصار حرية الرأى وحرية الصحافة وأن هذه الحرية من قواعد العدالة التى جاء بها الإنجليز إلى مصر (٤)

وتقول عنها (الاتحاد المصرى) وهى إحدى معاصراتها فى ١٢ سبتمبر ١٨٨٩ «إن هذه الرقطاء تحاول الجمع بوقت واحد بين المتخالفين فهى تتزلف تارة بالمقال وتستعين بالتدليس والخداع حتى تخيل للمصريين أنها عريقة الحسب وأن بينها وبين رجال مصر قرابة ونسب....»

هذا بعض ماذكره المعاصرون من المصريين والإنجليز عن (المقطم) وسياستها وهم يقطعون بأن سياستها انجليزية وأن دار الوكالة البريطانية حالت دون سلطان الحكومة المصرية ودون عقابها مع أن أصحابها من الرعايا المصريين، وهى خصيم

---

(١) وزارة الداخلية دوسيه رقم ١ (٢) الشعب ٨ مايو ١٩١٢

(٣) جون تيرك ١٦ يناير ١٩١٠ (٤) الشباب ١٦ مارس و ٢٠ ابريل ١٩٣٦

للخديو تعرض بمقامه مع أنها نشأت ، فى ظل الحضرة الفخيمة الخديوية ، ولا عذر لنا إن أنكرنا هذه الحقائق التاريخية فقد حفلت فعلا بمقالات الإعجاب بالاحتلال وتقدير رجاله ونالت من الحظوة ماجعل مصالح الحكومة فى خدمتها تمدها بالأخبار جليلها وتافهها ، بينما حرمت الصحف الأخرى منها حتى استطاعت نشر بعض الاحكام القضائية قبل النطق بها بعدة أيام (١) وهى تدافع عن أصدقاء الانجليز المصريين كمصطفى فهمى باشا فتعرض لاستقالته وتودعه فى مقال طويل كله إعجاب به وثناء عليه ، وهى تمزج تقديرها له بتقدير الإنجليز وسياستهم الطيبة نحو مصر (٢)

ولا تقف المقطم عند هذا الحد من موادعة أنصار الاحتلال وملاطفتهم بل تذهب إلى أكثر من ذلك فتعاود الحديث عن الحكومة الفهمية البغيضة إلى الخديو والوطنيين ، وتنشر للمصريين تهديد الانجليز وتسخيف فكرة الوفود التى ذهبت إلى عابدين تأييداً للخديو ، ويستشيط طلاب المدارس العالية غيظا فيهجمون على (المقطم) وإدارتها فى ٢٠ يناير ١٨٩٣ إعلانا بسخطهم على موقفها من شعور المصريين (٣) والمقطم لا تثنى على الانجليز أو أصدقائهم فى مصر فحسب بل إن سياستها تتجه إلى مناوأة السلطان والحملة على تركيا وهذه الحملة ركن من سياستها العامة ، (والاهرام) و (الوطن) تناوئانها فيما ذهبت اليه وتعرضان على قرائهما هذه الحملة (٤) وتبينان خطرها حتى استاء الرأى العام من المقطم وسياستها فاضطرت الحكومة إلى إنذارها فى ابريل ١٨٩٣ وقالت فى إنذارها « قد رأينا مع الأسف أن جريدة المقطم نشرت من زمان بعض مقالات وبعض مكاتبات تمس دولتنا العلية وحيث أن الحكومة الخديوية لا تسمح بذلك مطلقا فقد أصدرنا

---

(١) نشرت الحكم الصادر ضد جريدة البوسفور قبل النطق به بأسبوعين (راجع الشباب فى ١٦ مارس ١٩٣٦) (٢) المقطم فى أول مايو ١٨٩٣

(٣) الرافعى — مصطفى كامل ص ٣١٠

(٤) الاهرام والوطن فى أواخر وأوائل ابريل ١٧٩٣

هذا الإنذار إلى تلك الجريدة حتى تكف عن هذه الخطة » (١) .

نجحت سياسة كرومر التي لم يشرحها في تقريره آنف الذكر من حيث محاربة الصحافة بالصحافة فقد تمكنت (المقطم) من الذيوع والانتشار وكانت خصما لا يستهان به في إخراجه وتحريره ، ولم تمد (الاهرام) باتزانها و(الوطن) بتفاهة تحريرها قادرتين على مواجهة حماسة (المقطم) ففكر الوطنيون في إنشاء صحيفة وطنية يكون في مقدورها تسفيه المقطم ومحاربة الاحتلال ، وساعدت الظروف الوطنيين وواتتهم بحكومة تعطف على فكرتهم ، فاجتمع لطيف باشا سليم الحجازي وحسن باشا عاصم وابراهيم الهلباوى وغيرهم واستقر رأيهم على أن يتولى حجازى باشا عرض فكرة إنشاء صحيفة على رياض باشا ، على أن تحارب الاحتلال وتعلن أخطاءه وتنشىء الأحداث على كراهيته ، ولم ير رئيس الحكومة مانعا يحول دون إنشاء (المؤيد) (٢) فصدرت في أول ديسمبر ١٨٨٩ لصاحبها الشيخ على يوسف من أئمة الصحفيين في ذلك العصر وصاحب مجلة (الآداب) ومن تلامذة الأفغانى المؤمنين بمبادئه واتجاهاته . ومن أهم أغراض المؤيد كما تقول خطته « بث الأفكار المفيدة والأخبار الصادقة والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية من باب الاعتبار والتحذير أو الترويح والتبشير . . . غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية » (٣) وقد كانت (المؤيد) موالية لحكومة رياض عاملة على بث الأغراض التي من أجلها أنشئت في هوادة وتؤدة ، وبذلك أغنت القارىء المسلم الوطنى وأرضته .

أصبحت (المؤيد) مجالا للأقلام الوطنية الناشئة في البيئة المصرية ، فكان مصطفى كامل أحد كتابها المعروفين وإن لم يكن من أعضاء تحريرها ، وقد ذاع أمرها واشتد ساعدها وعالجت الموضوعات المصرية والإسلامية في مقالات طويلة

---

(١) الوقائع المصرية في ٥ ابريل ١٨٩٣

(٢) الشباب العدد الثامن في ١٩٣٦   (٣) المؤيد في أول ديسمبر ١٨٨٩

جداً قد تبلغ الصفحة الأولى جميعاً (١) كما نشرت بحوثا عن الاستعمار النمساوى فى السودان (٢). وقدكانت (المؤيد) فريدة بين زميلاتها فيما نشرته من مقالات ضد الاستعمار أيا كان لونه أو مداه، وهى تدأب فى الحملة على الأجانب كلما اتصلت ظروفهم بالمسلمين فى أى مكان من الأرض اتصال الظالمين بالمظلومين، ووجدت دار الوكالة البريطانية أن ساعد هذه الصحيفة الوطنية الجديدة قد اشتد وأنها تقرأ فى بلاد الشرق جميعا فأمرت بمنعها من دخول السودان، وحوربت بشتى الأساليب فكانت تصادر هنا وهناك دون علمها فلا تصل إلى مشتركيها (٣)

ثم أطلقت الصحف الموالية للانجليز أقلامها على صحيفة الوطنيين وما يلوذ بها من صحف كجريدة (المقياس) التى كانت تطبع فى مطبعة (المؤيد) وتكتب مقالاتها بوحى من صاحبه وأنصاره وقد ذهبت (المقياس) مذهب التعصب الصريح للوطن والدين معا فحملت على (المقطم) حملات شعواء وأساءت للمسيحيين إساءات واضحة لا لبس فيها ولا إبهام (٤) فنشرت (المقطم) مقالا بعنوان «يضرمون نار التعصب وينكرون» وهى تذكر ما نشرته (المقياس) من نثر وشعر تدعو فيه إلى أن يسل المسلمون «سيوفهم» ويقتلوا «الكافرين لأنهم زلزلوا صروح دين المسلمين» وتعتبر (المقطم) صاحب (المؤيد) جاهلا بآداب المناظرة وتحمل على مصطفى كامل لأنه دعا إلى تكريم (المؤيد) لأنها أقدر الصحف على الأساءة إلى (المقطم) وأصحابه، ثم تلفت الصحف الأوربية إلى ما تنشره (المؤيد) ثم تحتكم إلى الرأى العام ليحافظ «على التقاليد الخديوية المشهورة بمنع التقسيم بين الرعية» وتبين للصحف العربية خطر دعوة (المؤيد) وأذنابه من الصحف وتوجه نظر جريدة (الحقوق) إلى ذلك، لأننا لا نجد جريدة أخرى بين الجرائد العربية التى انتصرت للمؤيد تستحق أن تذكر على مسمع أهل الفضل

---

(١) المؤيد فى ٨ مارس ١٨٩٣ (٢) المؤيد فى ١٤ فبراير ١٨٩٢

(٣) عن (المنبر) وهى تؤرخ للمؤيد فى ٢٢ يناير ١٩١٦

(٤) المقياس العدد العاشر ١٨٩٥

والأدب ، (١) واهتمت الصحف الأجنبية فى مصر بعد مقال (المقطم) ومثلت هذا الاهتمام (لوبروجريه أجيبسيان) التى ردت على الشيخ على يوسف وحملت على سياسته التعصبية ولفتت نظر الحكومة إلى هذا التعصب الذى من شأنه أن يعرض الأمن للاضطراب وحياة الأوربين للخطر ، لأن الشيخ على يوسف يدعو إلى أن يقوم قسم من الشعب بذبح القسم الآخر (٢) . وعندى أن مسألة التعصب ، وإن صدرت فى بعض المعانى التى نشرت فى (المقياس والمؤيد) فانها ليست السبب فى حملة (المقطم) أو الصحف الأجنبية الأخرى ، وإنما الخصومة مصدرها تفوق (المؤيد) فى الدفاع عن المصالح الوطنية وقدرة صاحبها على رد أصحاب (المقطم) وتسوىء سمعتهم وفضح الاحتلال وتربية الجماهير تربية استقلالية بما كانت تنشره من مقالات محررها أو أنصاره من الوطنيين .

وظهرت بجانب (المؤيد) صحيفة (الأستاذ) فى ٢٣ أغسطس عام ١٨٩٢ وهى للسيد عبد الله النديم ، صدرت أسبوعية ، علمية تهذيبية فكاهية ، نصيرة للوطنيين وللخديو عباس الثانى ، ويحمل صاحبها ما ذهبنا اليه فى قوله عن احتجاب صحيفته إن الجرائد الفرنجية فى مصر وانجلترا حملت عليه وادعت أنه متعصب للدين عدو للأجانب وقد برم بها اللورد كرومر فامر باغلاقها كما فرض على صاحبها مغادرة مصر (٣) .

لم يحتمل الانجليز جريدة (المؤيد) بيد أنهم لم يستطيعوا وقفها كما صنعوا بالأستاذ ، فمضت قدماً تؤرخ للصحافة المصرية كفاحها فى ذلك الوقت حتى بدأت التجريدة البريطانية المصرية فى فتح السودان ، ووقفت (المؤيد) موقف الخصيم لهذه الحملة مبينة ما فيها من خفض سلطان المصريين عليها ، وقد دأبت على

---

(١) المقطم فى ٢٨ سبتمبر ١٨٩٥

(٢) لوبروجريه إجيبسيان فى ٣٠ سبتمبر ١٨٩٥

(٣) الاستاذ فى ١٣ يونية ١٨٩٣ والرافعى . الثورة العرابية ص ٥٢٥

نشر أخبار الحملة برقاً ومن بينها البرقيات الدائرة بين الحربية وقادة الحملة ، وفيها من الأسرار ما يمس جوانب العملية الحربية الدائرة (١) فقدمتها الحكومة للقضاء ولكنه برأ ساحتها وأنقذ محررها .

وظهرت المسألة المصرية من جديد باحتلال الفرنسيين « فاشودة » فى جنوب السودان وهى من أملاك مصر ، وتحرجت الأمور بين انجلترا وفرنسا ، وظن الوطنيون المصريون أن فرنسا ستعاق إخلاء فاشودة على جلاء الإنجليز عن مصر وفى ذلك كتبت الصحف المصرية وخطب مصطفى كامل وأعادت (الأهرام) (والوطن) و (المؤيد) تاريخ الاحتلال البريطانى ونشرت وعود الجلاء التى صدرت من الأنجليز المسئولين إلى سنة ١٨٩٨ غير أن هذا الحادث الذى بنى عليه المصريون آمالهم قد انتهى بانسحاب مارشال من فاشودة واستيلاء كتشنر عليها ، ولم توضع المسألة المصرية موضع البحث من جديد . ومنذ حادث فاشودة بدأ الإنجليز يشتدون فى معاملة المصريين ولا يتحرجون من إساءة الخديو فعزلوا النائب العام المصرى حين فتش منزل صديقهم السيد توفيق البكرى الذى نشر قصيدة ضد عباس الثانى ونصبوا مكانه انجليزياً ، فقامت (المؤيد) على رأس الصحافة تحمل على هذا التصرف الذى من شأنه أن يخل بواجب المصريين نحو مليكهم الشرعى ويجعل الموظفين منهم عرضة للرفت أو عرضة لاهمال واجباتهم خوف الاحتلال وإذلاله .

لم تعد الصحافة المصرية منذ حادث فاشودة تعتمد كل الاعتماد على قوة أجنبية لترد لمصر استقلالها وتفرض على الإنجليز جلاءهم عنها ، فأصبحت الصحف الوطنية تستنهض الهمم المصرية لتحقيق الأمانى القومية ، وهى تطلب إلى المصريين أن يضعوا نصب أعينهم هذه الحقيقة الماثلة ، وكان يمثل هذا الرأى مصطفى كامل بما نشر من مقالات وأذاع من خطب فى القاهرة والاسكندرية خاصة ، فقد اعتبر

---

(١) المؤيد فى ٢٨ يوليو ١٨٩٦

هذا الزعيم الشاب أن حادث فاشودة دليل حسى على نفض فرنسا يدها من المسألة المصرية . (١)

واتسع أفق الحركة الوطنية فى مصر والخارج ومضى مصطفى كامل إلى أوربا وخطب هناك ونشر المقالات ، وكانت وكالات الأنباء تنقلها إلى جوانب المعمورة و(الأهرام) تنشرها برقا و (المؤيد) تذيعها تفصيلا ، وقد برم الاحتلال بهذا الفتى الوطنى الخطيب الكاتب فرأى تجنيده ، وأذاع هافاس هذه المؤامرة وهاجت الصحف لها حتى صحيفة الحكومة الشبه رسمية وهى (لوجورنال أجبسيان Le Journal Egyptien) فقد حذرت الحكومة والاحتلال من ارتكاب هذا الإثم (٢) وكانت الصحف الأجنبية فى مصر تكاد تجمع على تكريم مصطفى كامل



مصطفى باشا كامل محرر اللواء

(١) هكذا كان رأيه فيما بعد . اللواء ١٨ ابريل ١٩٠٤

(٢) مصطفى كامل للرافعى ص ٨٤ - ٨٥

فقالت (لاريفوردم) فى ١٤ أبريل عام ١٨٩٦ فى إحدى المناسبات « إن جهاده لجدير بالفخر » ونشرت صحيفة (لوفار دالكسندرى) تحية له فى نفس اليوم ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا بعض صحف قليلة فى مقدمتها (الاجبشيان جازيت)

أغفل اللورد كرومر فى تقريره الذى صدرنا به هذا الفصل الحركة الوطنية ونصيب الصحافة فيها كأنها كم مهمل لا غناء له ، وقد عرضنا لتاريخ (الاهرام والمؤيد) وشرحنا نشأة (المقطم) وسياستها العامة ويجب أن نذكر أنه كانت هناك صحف أخرى أكثرها قليل الأهمية غير أن بعضها جديد على صحافة ذلك العهد فى أسلوبه واتجاهه ، ويمثل هذه الصحافة جملة (حمارة منيتى) وهى « جريدة هزلية فكاهية انتقادية أسبوعية ، كما تقول أعدادها الكثيرة ، بيد أنها صحيفة غريبة تجرى فى غير مستقر لها معقول ، وتعيش بطرق لا تقرها الصحافة الشريفة فهى تحمل على اليهود والأروام وتسب (المؤيد) وصاحبه (١) كما تحمل على (المقطم) ومحرريه (٢) وهو اتجاه كما يبدو لنا غير مفهوم ، إذ الحملة على أصدقاء الاحتلال وخصومهم فى اعتبارها سواء وإن لم تخل هذه المجلة من النكتة الرائعة والملاحظة العابرة واللفتة البارعة، غير أنها جعلت من أغراضها الأولى « تأهيب الاحساسات العاهرة لخدمة الهلس الشريف واستئصال الجد العنيف » (٣) وقد صدر بجانب (المؤيد) والصحف الوطنية والاستعمارية الأخرى بعض الجرائد الغريبة فى مشربها ، غير أن هناك صحيفة لا بأس بها زاملت المؤيد والأهرام وإن لم تجر فى تيارهما هى صحيفة (المنار) وقد أنشأها السيد محمد رشيد الرضى فى ١٥ مارس عام ١٨٩٨ وجعل من أهم أغراضها « الحث على تربية البنات والبنين لا الحط على الأمراء والسلاطين . . . » على أن تجتهد جريدته « فى تأليف القلوب المتنافرة ووصل العلائق المنقطعة وجمع الكلمة المتفرقة . . . . وتنبيه العثمانيين على أن

---

(١) حمارة منيتى ١٩ ذى الحجة ١٣١٦ (٢) حمارة منيتى العدد الثانى

(٣) حمارة منيتى فى ٢٣ فبراير ١٨٩٧ ، غرة شوال ١٣١٥

الشركات المالية هى مصدر العمران وينبوع العرفان، ثم يقول عن مذهب الصحيفة السياسى إنها « عثمانية المشرب حميدية اللهجة تحامى عن الدولة العلية بحق وتخدم مولانا السلطان الأعظم بصدق وتتحامى المطاعن الشخصية والأماديح الشعرية »(١)

ويؤرخ رشيد لها فى كتابه عن الأستاذ الإمام فيذكر أن الشيخ محمد عبده فرض شخصيته عليها وقرر ألا تنتمى لحزب من الأحزاب وألا ترد مجاملة الصحف لها، وأنها ينبغى أن تكون أكبر من خدمة الكبراء بل يحسن أن تستخدمهم هى، وأن الأستاذ الإمام صاحب تسميتها وقد روج لها فى جميع الأوساط حتى عند الخديو نفسه (٢) وقد أظهر اتجاهها وأسلوبها أنها كانت بحق صحيفة الشيخ ولسانه ومهما يكن أمر دفاعها عن السلطان والمسلمين فانها حرصت على تجنب الاحتلال وكفاحه، ومصدر هذا الموقف فيما نعتقد الصلات الطيبة الناشئة بين وليها محمد عبده ورجال الاحتلال فى مصر.

وفى ختام القرن التاسع عشر لم تكن للوطنيين صحيفة ذات ذكر من حيث أهميتها عند الاحتلال إلا المؤيد سواء المؤيد العربى اليومى أو المؤيد الفرنسى الأسبوعى، وهو رجع الصدى لأهم ما نشر فى زميلته اليومية، وقد لوحظ على هذه الصحيفة الوطنية فتور من حيث ترحيبها بمقالات مصطفى كامل أو العناية بالمسائل العليا التى تتصل بحياة مصر، فقد حدثت اتفاقية السودان المعروفة فى سنة ١٨٩٩ ولم تنشر المؤيد شيئاً عنها إلا بعد اعتمادها من الطرفين المصرى والانجليزى، ويبدو غريباً أن تهمل التحدث عنها جميع الصحف المصرية قبل التوقيع عليها، غير أن المؤيد توضع موضع المؤاخذه إن هى أهملت أمراً كهذا الأمر وهى المعروفة بقدرتها على تسقط الخبر وتاريخها فى حادث التلغراف أشهر من أن يذكر. ولم يرتح الوطنيون للفتور الذى خيم على جهاد (المؤيد) واللين الذى تخلل سطوره فى معارضة الانجليز والتجهم الذى بدا من صاحبه فى تأييد

---

(١) المنار ١٥ مارس ١٨٩٨ (٢) الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٠٠٣ ـ ١٠١٠

الوطنيين ، فأعد مصطفى العدة لإنشاء (اللواء) ١٨٩٩ ثم صدر العدد الأول منه فى ٢ يناير ١٩٠٠ (أول رمضان ١٣١٧) ويتحدث منشئه عن الأسباب فى تسميته باللواء حيث يخفق عند هذا الاسم كل قلب ويجتمع أصدق الآمال ، أما خطة الجريدة فهى خدمة الوطن والاسلام بأشرف السبل وأنفعها . . . والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة . . . ، وهو يحدثنا عن أبواب الصحيفة وهى « المنبر العام » وباب « أوربا والإسلام » وباب « أخلاق وآداب » وباب « بريد العالمين » وفيه أخبار الخارج ثم خصص فصلا بعنوان « آيات الوطنية » وهو للقصص الوطنية فى تاريخ الأمم والشعوب المختلفة ثم يختتم الكاتب مقدمته بالدعاية للسلطان و« عزيز مصر وأميرها عباس » . ويعتبر إنشاء (اللواء) مفترقا للطرق فى صحافة مصر الوطنية إذ ذاك فقد حمل علم الجهاد وحده تقريباً فى إيمان الواثق بحقه المؤمن بعقيدته ، وستكون (اللواء) فيما بعد لسان حزب لعب فى حياة مصر دوراً كبيراً ، وهى الصحيفة الوطنية التى كان نظام العمل فيها مثلا يحتذى من حيث التحرير والإدارة وهى الصحيفة الثانية التى استخدمت الآلة الكهربائية فى طبعها ؛ ومن أولى الصحف التى عنيت بمادتها وفسحت صدرها لجليل الأمور وخطيرها فى صفحات ثمان ، وهى أول الصحف المصرية التى نشرت أخبار مصر وخطب المسئولين فيها ووصفت الحفلات الكبيرة بالبرق ، ومحررها أول من ألف الشركات الكبرى للصحافة بالتزاماتها القانونية كما يحدث فى أوربا عادة (١)

وإذا صح ما نشرته جريدة (الاكسبريس) فى ٢٣ أكتوبر ١٩١٥ عن مالية (اللواء) فإنه كان أغنى الصحف المصرية فيما خلا (المقطم) و (الأهرام) ، فقد قدرت موارده من هنا ومن هناك بثمانية وثمانين ألف جنيه مصرى وهو مبلغ فيما نعلم قادر على تقديم الصحيفة بين زميلاتها خير تقديم ، بجانب رأس مالها من الوطنية

---

(١) الشعب فى ٨ مايو ١٩١٢

الصحيحة وحرارة كاتبها وشيعته من الوطنيين المعروفين ، وقد أردف مصطفى كامل (باللواء) صحيفة شهرية تشتمل على خلاصة لأطيب ما أذيع فى (اللواء) اليومية من رأى أو مقال (١) ولا يؤخذ على اللواء فى نشأتها الأولى إلا حماستها الدافقة لتركيا وخلافتها ، وذلك لاعتقاد المحرر بأن الخلافة فى الدولة العلية يقويها الدين الاسلامى ، وهو يرى أن فصل السلطتين المدنية والدينية يقضى عليهما معاً (٢) وذلك رأى قد أنكره التاريخ وينقضه كيان كثير من الأمم التى فازت بالخير عند ما تم فصل هاتين السلطتين . وقد اتجه اللواء اتجاهاً آخر قد لا يتفق معه كثيرون من أبناء جيلنا الحالى الذى لا يؤمن برجعية المرأة ويحب لها التصرف فى الشئون تصرف الرجال ، أو يعتدل فيرجو لها بعض الحقوق التى أبتها (اللواء) فى مقالاتها الاجتماعية بين آن وآن ، وأظهر هذه المقالات الرجعية صحيفة نشرها محمود سلامة الأديب المعروف وفيها يدعو إلى الحجاب والحجاب الثقيل ، ويعيب على جيله نشاطه فى خصومة الحجاب وتجاوزه إلى حرية يراها مسيئة إلى حياة الأمم والشعوب . (٣)

وبجانب هاتين الناحيتين اللتين أبدينا فيهما بعض الملاحظات العابرة نذكر صفحات (للواء) لم تكن معروفة ولا معهودة بين صحافة ذلك العهد ، فقد شغل (اللواء) صفحاته بأمور التعليم والتعليم الشعبى الذى ينبغى أن يقوم على أكتاف الشعب ليحس أثره الشعب نفسه فتتحقق أغراضه فى الحرية والاستقلال ، وقد استطاع مصطفى كامل أن يجعل من هذا الموضوع علماً يجتمع عنده الوطنيون على اختلاف مذاهبهم وتباين حماستهم ، فشرعوا ينشئون المدارس ويفكرون فى جامعة مصرية تنشىء الشباب تنشئة يعجز أمامها الاحتلال إذا طلب السلامة أو أبى الجلاء .

ثم أراد اللواء أن يظهر مشاعر المصريين ويوقظهم من غفوتهم فدعا إلى الاحتفال بالعيد المئوى لولاية محمد على مصر وهو يدعو هذه الدعوة فيرضى القصر وصاحبه

(١) أصدر محرر (اللواء) وهو طالب مجلة (المدرسة) فى ١٨ فبراير ١٨٩٣
(٢) اللواء فى ٤ يناير ١٩٠ (٣) اللواء فى ١٥ مارس ١٩٠٠

ولا تستطيع قوى الاحتلال أن تحول بين المصريين وبين الاحتفال بذكرى جد الوالى الشرعى على البلاد، ويقصد (اللواء) بهذه الدعوة أن يستعيد التاريخ المصرى الحديث وفيه من المعانى الوطنية ما يوقظ إحساس الأمة مهما رانت عليها الغفلة أو انقطع بها الرجاء (١) وقد استقبلت الصحف الأجنبية هذه الدعوة استقبالا حسنا وحيت بعضها الفكرة كما صنعت جريدة (لاريفورم) (٢) فإذا تم الاحتفال وخطب فيه مصطفى كامل كتب خليل مطران يصفه (فى الأهرام) وصفا هو من روائع الأدب والانشاء. ووصفت (البصير) الحفل ونشرت خطاب محرر اللواء وتحدثت (لوفار دالكسندرى) مرتين عن الاحتفال إحداهما بعنوان «مصر للمصريين»، وكذلك شاركت مصر فى هذا الاحتفال جريدة (لاريفورم والكوريري إجيزيانو) واحتفت بالفكرة وصاحبها أحسن احتفاء ثم لم تجد (الأجيبشيان جازيت) بداً من الاشتراك فى هذا الموضوع بيد أنها كانت فى حديثها متحفظة أشد التحفظ (٣) هذا فضلا عما تكلف به (اللواء) من نشر الخطاب وجميع التعليقات وصدى الاحتفال فى جميع الجهات.

لقد اشتركت الصحف فى العيد المئوى وساهم فيه المصريون وقصدوا مكان الاحتفال بالاسكندرية من أعماق الريف وأبعد القرى فى السودان، وحضره كثيرون من العظماء فى مقدمتهم الأمير محمد ابراهيم الذى كان من خطبائه (٤) وقد هز هذا الاحتفال عواطف المصريين وأوجز لهم تاريخ البطولة المصرية وعين لهم المراحل التى انتهت بالاحتلال وبين لهم واجبهم فى سبيل الحرية والاستقلال وكان مصطفى كامل يدعو فى جريدته إلى الصناعات الوطنية والمدارس الصناعية ويمجد جمعية العروة الوثقى لأنها تفكر هذا التفكير السليم، وهو يعتبر أن الاهتمام

---

(١) اللواء ٣ فبراير ١٩٠١ (٢) الرافعى مصطفى كامل ص ١٥٩ — ١٦٠!
(٣) راجع الاهرام فى ١٤ مايو ١٩٠٢ والبصير فى ٢٢ مايو ولوفار فى ٢٢ و ٢٣ مايو والكوريري والاجيبشيان جازيت فى ٢٣ مايو
(٤) الرافعى: مصطفى كامل ص ١٥٩ وما بعدها

بالصناعات يخلق « روح الصناعة فى البلاد » وهو « بلا مراء أسمى خدمة تقدم اليها وأكبر سعادة تجهز لرجال الغد » (١). وكان محرر (اللواء) يتخذ من سير المجاهدين العاملين عظة وعبرة، وهو دائب التحدث عن عظماء المصريين وهو يرى أن « لا شىء يرفع مقام الوطنية فى بلاد مثل إحياء ذكرى الرجال الذين أخلصوا فى خدمتها وقضوا أعمارهم فى العمل لإعلاء شأنها وتحقيق آمالها ولا شىء يميت الوطن والوطنية مثل تمكن داء النسيان فى أمة وجهلها لتاريخها وعدم تقديرها للرجال المخلصين فى خدمتها » وهو لا يعنى من مقالاته الناحية الإنشائية أو الفائدة العابرة بل هو يعاتب مواطنيه فى عنف إذ « بليت هذه الأمة المصرية العزيزة بذلك الداء العضال، فتراها لا تذكر الرجال إلا إذا كانوا القابضين على أزمة أمورها أو المحركين لحركة العامة فيها . . . فليس للمصائب فى نفوس أبنائها أثر يبقى؛ وليس كذلك للعظمة الماضية بقية باقية فى الأفئدة والضمائر، فلا غرابة إذا كان ذلك سبباً من أسباب تأخرها وعلة من علل انحطاطها » (٢)

أنتج توجيه اللواء أثره فى إيقاظ الشعور العام من حيث تقدير الوطن والإحساس بحقوقه المهضومة فى الداخل والخارج، وبدأت فى الصحف المصرية نغمة الكراهية للأجانب ولكل ما هو أجنبى وإن كان (اللواء) أخف الصحف أسلوباً فى هذا التيار، ويبدو أن حرب تركيا واليونان، وحرب إيطاليا للحبشة واستبدادهم فى تونس أساء إلى الناحية الشرقية والاسلامية فى المصريين فوق ما يلاقيه المصريون فعلا من اضطهاد الاحتلال وتغلغل الأجانب فى كل ميدان وقد أغضب مصطفى كامل من قبل اليونان وصحفهم فى مصر يوم دعا إلى تعليق الجلاء عن اليونان على الجلاء عن مصر.

وقد أساءت جريدة (الكوريبرى إجيزيانو Il Corriere Egiziano) فى لفظ أو تعبير وهى تتعرض لمسائل مصر العامة فتحدتها (المؤيد) فى مقال عن

---

(١) اللواء ٢٠ أكتوبر ١٩٠٠ (٢) اللواء ١٠ مارس ١٩٠١

« الإيطاليين فى مصر » وإخوانهم فى إيطاليا فى سخرية لاذعة وعبارات قاسية وقد ردت الـكوريبرى على المؤيد رداً يماثل ماجاء فى مقالته من عنف وقسوة(١) وتناقلت الصحف الأجنبية فى مصر مقالتها بالتحبيذ وشاركتها فى شعورها نحو المصريين ويذكر (المؤيد) أن أنهرها قد « فاضت بأنواع العدوانات والسفاهات ضدهم وضد المصريين كافة وضد الإسلام والمسلمين عموما وذهبت كل مذهب فى المطاعن والشتائم » ويخيل إلى الباحث أن أمر الخلاف قد انحسم بهذا المقال غير أن المؤيد تطلع علينا بمقال لعله المقال الوحيد الذى أسف فيه صاحبه ، فقد حملت على الأجانب ثم تجهت إلى « أمة الطليان أخس الأمم وأدناها وأسمجها وأسفلها » وهى يسخر من تاريخ هذه الأمة التى زهت به صحف مصر الإيطاليـة وتعقد مقارنة بين تاريخ إيطاليا وتاريخ مصر الذى يرد « إلى أصلين عظيمين فإما أنها تنتسب إلى المصريين القدماء وتاريخهم أقدم من الرومانيين ، وإما إلى العرب وفضلهم على الأوربيين لايعادله فضل ولايدانيه مدان » ومهما يكن من أمر هذه الأزمة بين المصريين وصحافتهم والأجانب وصحافتهم فان(المؤيد) كانت فى طليعة الصحف المصرية التى دافعت عن مصر أحر دفاع ، وشاركتها الصحف الأخرى الصغيرة بأسلوبها العامى ولفتات ذهنها الساخرة الماجنة ومن أطرف ما لوحظ على هـذا الجدال أن مصر الفرعونية ذكرت بالخير خلال النقاش وهى لفتة تعمدت الصحافة المصرية جميعاً أن تنكرها فى كل جهادها منذ الاحتلال البريطانى وحرصت ألا تؤلم الباب العالى بتقوية الصلات بين مصر التركية الإسلامية وبين مصر الوثنية الفرعونية . وبينما تقود المؤيد حملة المعارضة على الأجانب كان مصطفى كامل يستعيد فى اللواء فكرة الحرية والدستور وهى مطالب ما كانت الصحف تطالب بها من قبل حيث كان اتجاهها العام إلى الجلاء ورجاء تحقيقه والإلحاح فى الاستقلال أولا وقبل كل شىء ، وقد اهتمت اللواء المجلسين التشريعيين ودعت إلى حياة

---

(١) المؤيد فى ٧ سبتمبر ١٩٠١ والكوريبرى فى ١٠ منه

دستورية صحيحة ترد غوائل الاحتلال وعوامل الاستبداد عن السيطرة على الشئون العامة وكان هذا دأبها منذ أنشئت ودأب صاحبها فى خطبه العامة .

وفى خلال الكفاح الذى رفعت علمه اللواء حدث (الاتفاق الودى Entente Cordiale) بين انجلترا وفرنسا فى ٨ أبريل عام ١٩٠٤ وكان صدمة للمصريين لأن مادته الأولى نصت على أن انجلترا « ليس فى نيتها تغيير الحالة السياسية لمصر » وتعهدت الحكومة الفرنسية من جانبها بأن « لا تعرقل عمل انجلترا فى هذه البلاد » فبدأت بذلك صفحة جديدة فى تاريخ الصحافة المصرية .

الفصل السابع

الصحافة المصرية منذ الاتفاق الودى إلى الحرب العظمى

كان الاتفاق الودى فى سنة ١٩٠٤ عاملا من العوامل الأساسية فى تغيير الاتجاهات الصحفية وتنكب أصحاب الأقلام فيها عن سياستهم الأولى ، فقد كانت نتيجة هذا الاتفاق فتور الحماسة الوطنية فى نفوس الكثيرين ، وقد فترت معاشدة معظم الصحف الوطنية (فالمؤيد) لانت سياسته و(والأهرام) التزمت جانب الحياد إلى حين ، ولم تمض فى سياستها الأولى إلا (اللواء) فقد أبت إلا أن تبلغ بهذه الأزمة القاسية ذروتها من حيث الجهاد الرائع واستكمال عناصر الوطنية وتوحيدها فى نفوس المصريين ، فبدأ مصطفى كامل يغذى فى المصريين وطنيتهم ويحاول بمقالاته أن يحفظ بحماستهم بالرغم من الخيانة الفرنسية للأمانى المصرية وذلك فى وقت هزت الصدمة كبار الرجال وأذلت أعناقهم كما يقول ، واتجه مصطفى كامل فى لوائه اتجاها جديداً ، فالأمم الأوربية جميعاً سواء فى استعمارها وهذه حقيقة — كما يقول — يجب أن يعرفها المصريون وتستلزم منهم الاعتماد على أنفسهم ، وبولندة وإيرلندة أحسن مثلين لهم فى الكفاح والحرص عليه (١) .

ولعل الفترة التى سبقت الاتفاق الودى كانت تحتمل المؤيد واللواء معاً بل إن (اللواء) على الجهد المبذول فى تحريره وإخراجه لم يستطع بلوغ ما كان عليه (المؤيد) من الذيوع والانتشار ، فالمؤيد صحيفة إسلامية قديمة لها خطرها وقدرها فى حياة المصريين والشرقيين جميعاً ، وظهور (اللواء) لم يحد من نشاط (المؤيد)

---

(١) اللواء فى ١٨ ابريل و ٢٥ مايو سنة ١٩٠٤ ، وفى العدد الاخير حملة على رياض باشا لأنه مدح كرومر فى احتفال مدرسة محمد على الصناعية

أو يحول دون قدره فى نفوس الجماهير لأنه لم تشبه الشوائب ولم تؤخذ عليه المآخذ ، غير أن صاحب (المؤيد) انحرف بعض الشيء واستطاع الاحتلال أن يضمه إلى جانبه واحتفى به الانجليز يوم زار بلادهم وقال فى عاصمتهم كلمته المشهورة « إن لوندرة كعبة المصريين السياسية » ففقد بذلك جزءاً كبيراً من عطف المصريين والأتراك معاً ، وبدأت صحيفته تهوى وأخذ (اللواء) يتقدم عليها . ثم جاء الاتفاق الودى فكان فاصلا فى تاريخه إذ كان موقفه منه موقفاً هينا فاتراً . وكانت خاتمة (المؤيد) كمنازع للواء ومنافس له ظاهرة بعد قضية صاحبه المشهورة بقضية الزوجية ، وهى قضية عامة كان للعنصر الشخصى جانب كبير فيها وكان للسياسة جانب آخر ، كما كان للحياة الاجتماعية أثر فى تكييفها وتحليلها ، ونال الصحافة منها فى الدوائر الشعبية والرسمية حظ موفور . أما العنصر الشخصى فى هذه القضية التى شغلت مصر وصحافتها فهو أن الشيخ على يوسف رأى أن يتزوج ابنة السيد عبد الخالق شيخ السادات الوفائية ، ورأت السيدة هذا الرأى ، فانعقد عزمهما على إتمام هذا الزواج دون علم شيخ السادات الذى عارض الفكرة أشد المعارضة ، وتم العقد كما يقضى بذلك الشرع ، غير أن والد العروس أبى الواقع وثار عليه فأقام الدعوى أمام المحكمة الشرعية ليحال بين ابنته وبين زوجها لأنه دونها فى النسب والحسب ولأنه يمتهن مهنة لا يكرم بها صاحبها . هذا هو ملخص القضية التى أصبحت قضية عامة ، وكانت معظم الصحف المصرية والرأى العام فى جانب شيخ السادات ، وكان اللورد كرومر والحكومة المصرية فى جانب الشيخ على يوسف ، وهى صورة معاكسة لقضية (التلغراف) الصحفية المشهورة ، وحاولت الحكومة أن تحول دون فصل الزوجين وتنفيذ قرار القاضى ، وكاد قاضى القضاة يثير أزمة حادة فى دوائر القضاء ، ويقف القضايا الشرعية جميعا ويغلق أبواب المحكمة لولا أن الحكومة نزلت عند أمره وحالت بين الزوج وزوجته إلى أن يفصل فى القضية (١) .

---

(١) الشباب العدد الثالث فى ١٩٣٦

هذه القضية مزاج غريب من الحياة الاجتماعية والسياسية فان حادث الزواج وأسلوبه فضيحة فى نظر الرأى العام إذ ذاك بل هو فضيحة فى نظر الرأى العام فى أيامنا الحالية وإن كانت شرائط العقد قد تمت على الصورة التى يقرها الشرع والدين ولم تجرؤ صحيفه عربية من الصحف الموالية للاحتلال على الدفاع عن الأسلوب الذى اتبعه الشيخ فى قرانه من ابنة السادات ، ولم تتدخل صحف الأقباط فى هذا الموضوع لأن له بالدين الإسلامى أوثق الصلات ، ولم تناقش صحيفة من الصحف مسألة الحسب والنسب التى تنزل بكفاءة رجل له مكانه فى مصر لأنه يحاول القرب من حسيب نسيب . ويرى المؤرخ فى موقف بعض الصحف الإسلامية فى هذه القضية بعض الهنات التى كان يجب أن تتنزه عنها ، فهى أولا قضية خاصة لا يليق أن تكون مثاراً للمجادلة على صفحات الجرائد ، ثم هى قضية صحفى ينبغى لزملائه أن يحترموا من أجل المهنة كرامته ، ثم إن الصحافة باعت فى سوق نافقة فكسبت رضاء الرأى العام ولم تفكر فى رأى حر تذيعه خشية سخط الجماهير ، وليست بصحافة تلك التى تهاب سخط الجماهير ، وهى بموقفها هذا قد سمحت للسلطات القضائية برأى فيها مهما يكن أمره فهو رأى يسوءها وهو أهم ما يعنينا فى تاريخ هذه القضية . فبذكر محامى السيد شيخ السادات أن « الصحافة لاتشرف إلا بشرف استعمالها ، وهذا تقرير صحيح لولا أن المحامى يعتبرها مع ذلك « حرفة دنيئة » ، ويقول « إنها عبارة عن الجاسوسية العامة وهى معدة للاشاعة وكشف الأستار وهذا أمر منهى عنه شرعا فضلا عن نشرها الإعلان عن الخمر وأمكنة اللهو » . هذا رأى محامى السادات وهو رأى يسوء الصحف جميعا فهى عنده « حرفة دنيئة » مهما يعتذر عنها بشرف الصحفى وعلو همته ، لأن الصحف عامة تشترك فيما نهى عنه الشرع وهو إذاعة الأخبار وإشاعتها بين الناس وهى فى أكثرها تنشر إعلان الخمر وأخبار الملاهى ومنتدياتها ، وفى هذا من الاتهام الصريح ما كان يحمل بالصحافه المصرية أن تتكاتف على رده مهما تختلف نزعاتها السياسية واتجاهاتها العامة حتى لا تعطى المحكمة بعد المحامى فرصة لتأييد

وجهة نظر المدعى وحط قدر الصحافة . فاذا دافع الشيخ على ومحاميه عن مهنته وعن علمه ردته المحكمة فى ذلك جميعاً فهى ترى « أن صناعة التحرير لاتنهض دليلا على العلم » ثم تقول عن الصحافة « وحيث أن حرفة الصحافة التى نسبها المدعى لنفسه قسمان ، قسم يبحث فى علوم وفنون مخصوصة وهى المجلات غير اليومية وهذه شرفها بشرف ما تبحث فيه وغزارته وهذه الصحافة لا يدعيها الشيخ على لنفسه ، وقسم لايختص بموضوع مخصوص وهى الجرائد اليومية ووظيفتها إرشاد من تتكون منهم المملكة من الأفراد والعائلات والهيئة الاجتماعية والحكومة فهى معدة للإرشاد العام ، وهذه الصحافة جليلة جداً لها أثرها فى رقى المملكة من ناحيتها الداخلية والخارجية ويجب أن يتوافر فى صاحبهـا أعلى أنواع الثقافة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية كما يجب أن يكون على قدر من شرف النفس ونبل الضمير وأن يكون من أشد الناس محافظة على الكمالات والآداب حتى يمكنه أن ينفع بنصحه وأن يجمع الناس إلى رأيه فضلا عن وجوب علمه بالسياسة الداخلية والخارجية » إلى أن تقول « ولكن المدعى عليه لا يمكن أن يدعى لنفسه هذه الصحافة أيضاً ، ذلك لتقلبه فى المبادىء لغير سبب وتعرضه للشخصيات فى ثوب المصالح العامة وسكوته عن بعض ما يلزم الكلام فيه لأغراض بعض من يهمه رضاؤهم . . . ولا نريد أن نعدد له مافعل وكفى بهذه القضية وحدها دليلا على ذلك . وعلى ذلك فالمدعى عليه ليس مشتغلا بالصحافة قائماً بها وإنما هو يشتغل بشىء يشبهها لأغراضه ملبساً له ثوب الإرشاد والمصلحة العامة وهذا اشتغال بأخس الحرف وأدنئها ، وعلى ذلك لا يكون محترفاً الصحافة وإنما هو محترف حرفة أخرى دنيئة » (١)

ومهما يكن من أمر هذا الحكم فان الصحافة خسرت فيه لأن اتهام قطب

---

(١) المقطم فى ١١ أغسطس ١٩٠٤

من أقطابها بجهله السياسة الداخلية والخارجية كفيل وحده بأن يسقط كثيراً من الصحف والصحفيين فى ذلك الوقت، وهو حكم لا يتصل بالشرع لأن الغرض ظاهر فيه، وكأن الأفندى قاضى القضاة والخديو معه والتقاليد من حولها قد تكاتفت على إصداره فى هذه الصورة التى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن السياسة وحدها كانت «سيطرة على الموقف جميعه». أما الصحف المصرية — عربية وفرنجية — فقد تباين موقفها من هذه القضية، حرصت معظم صحف الأقباط على عدم الخوض فى هذا الموضوع فيما خلا مصر والمقطم فأما (مصر) فقد ساءها قرار محامى السادات فى الصحافة فهى ترى أن «ماقاله الشيخ الفندى وكيل السادات تعريضاً بالصحافة وحسبانها من المهن الدنيئة المضرة فقول لا يصدر إلا عن الجاهلين الأغبياء الذين لا يدركون ولا يفهمون». وأما (المقطم) فقد حرصت على نشر تفاصيل القضية نشراً يظهر فيه الغرض والتشفى دون أن يعلق الكاتب على اتهام المحامى والمحكمة الصحافة بأسوأ ما تتهم به حرفة من الحرف ثم كانت (المنار) الصحيفة العربية الموالية لصاحب (المؤيد) فى قضية الزوجية وأما (الأجبشيان جازيت) صحيفة المعتمد البريطانى فتمدح الشيخ على يوسف على الرغم مما بينهما من خلاف ثم تذكر أنه «قل أن يوجد بين الصحافيين من يستطيع الوقوف إلى جانب صاحب (المؤيد) ولا يوجد ذو مسكة من العقل لا يضع على يوسف فى أعلى طبقة من طبقات رجال الصحافة . . . فإنه تمكن بالجد والاجتهاد والمثابرة من إيصال جريدته إلى درجة (التيمس) لا فى العالم العربى فقط بل فى جميع العالم الاسلامى»(١) ثم نحت هذا النحو جريدة (ذى أجبشيان مورننج نيوز Tge Egyptian Morning News)

° ° °

(١) المؤيد فى ٢ أغسطس (والمقطم) فى ٢٧ يوليو و١ و٤ و١١ أغسطس وما بعدها (المؤيد) فى ٩ أغسطس (والاجبشيان جازيت) فى ٨ أغسطس من سنة ١٩٠٤

عرضنا لتقرير كرومر سنة ١٩٠٣ وحديثه عن الصحافة وبينا مقدار ما فيه من غبن لها منذ احتل الإنجليز مصر إلى السنة التى بدأ اللورد كرومر يذكرها فى تقاريره، وقد وضح لنا أن (الأهرام) تولت المعارضة زهاء عشرة أعوام وشرحنا كيف نشأ (المقطم) خصيما لجريدة الأهرام ثم ذكرنا الأسباب التى من أجلها أسس (المؤيد) والدواعى التى صدر من أجلها (اللواء) بعد انحراف صحيفة الشيخ على يوسف، ويرى المؤرخ لهذه الصحافة أن القصر بقى بعيداً عنها فى مرحلتها الأولى وأن الوطنيين دون الخديو توفيق أصحاب الفكرة فى إنشاء الصحف الوطنية وأن اللورد كرومر ابتدع سياسة الحكم بالصحافة. وقد عنى العميد البريطانى أشد العناية بهذه السياسة بعد تولية عباس الثانى أريكة الخديوية وكان شابا شديد التطلع إلى استقلال بلاده وجلاء الانجليز عنها، ومواقفه فى أوائل عهده من الاحتلال ورجاله أشهر من أن تذكر، فلا غرابة فى اتفاق مزاجى الخديو ومصطفى كامل وهو مزاج شابين يرجوان هدفا واحداً مهما تتباين الدوافع والأسباب.

ساعد كرومر بعض الصحف وقدم لها من التأييد ماهيأ لها فرصة التقدم والبقاء وعلى رأس هذه الصحف جريدة (المقطم) وساعد الخديو عباس بعض الصحف وقدم لها من المال والجاه ماهيأ لها فرصة الذيوع والانتشار. وفى مقدمة هذه الصحف جريدة (اللواء) ولا يعنينا ما ذهب إليه بعض الصحفيين وهم يؤرخون للصحافة الإسلامية من أن الخديو دفع للواء مبلغ خمسة عشر ألف جنيه (١) وهو زعم إن صح لا يعنى إلا تدعيم الصحيفة الوطنية وهو عمل يشكر عليه من كان فى مقدوره البذل والعطاء فى سبيل الاستقلال والجلاء. وقد نشأ عن ذلك كفاح بين الصحف بعضه ظاهر وبعضه خفى. أما كفاح العلن فقد تولته (المقطم) و(اللواء) وأما الكفاح الخفى وهو أقل شهرة فى تاريخ الصحافة المصرية فكان بين بعض الصحف الصغيرة من الجانبين وهى صحف أبى كرومر أن يصدر لها قانونا لأن هذا

---

(١) جريدة الاكسبريس فى ٢٣ أكتوبر ١٩١٥

القانون يفيد الخديو الذى يعاديه بعضها فى غير تحفظ وفى غير احتياط ، وهو لا يملك ردعها واسمه ومكانته فوق التهم والمهاترات ، ولا يضير الاحتلال فى شىء أن تهاجمه هذه الصحف لأن نقده والحملة عليه شىء طبعى وفيه تنفيس عن الشعور العام وفى ذلك صمام الأمان .

وكان الشيخ محمد عبده هدفا لصحف الخديوى وكان يلى فى ذلك الوقت وظيفة الإفتاء ، وقد أفتى حينئذ بجواز أكل المنخنقة فحملت عليه الصحف وكان أشدها حملة جريدة (الظاهر) لمحمد أبى شادى بك المحامى المصرى المعروف ومضت تقذع فى الشيخ الامام وتطالب بعزله من منصب الإفتاء ، وذلك لأمور أخرى لم يأت ذكرها فى أسباب هذه الحملة وإن فصلها يوسف طلعت باشا صاحب جريدة (الراوى) اليومية فى تقريره إلى السلطان ، فقد ذكر عن هذا الموضوع أن « الخديو بعد أن رأى نفسه عاجزاً عن عزل المفتى الذى يعارض مساعديه فى الأزهر والأوقاف شرع فى معاكسته بأمرين ، أحدهما الاستعانة بمولانا الخليفة الأعظم على عزله بحجة أنه أفتى بما يخالف الشرع وثانيهما إنشاء جريدة اسمها (الظاهر) لأجل إسقاط نفوذه الدينى وإضعاف حزبه المؤلف من طائفة العلماء ومن أكثر رجال الحكومة » (١) وقد أسفت (الظاهر) فى الحملة على الشيخ محمد عبده خاصة وخصوم الخديو عامة مع أنها ادعت « أن دستور الجرائد فى حياتها الأدبية هو قانون الأخلاق العمومية والآداب الإجتماعية » (٢) وتولى هذه المهمة الشيخ محمد الشربتلى وهو خصم للإمام من قديم ادعى عليه الدعاوى فى تدريسه فى الأزهر وسجن من أجل ذلك ، ولكنه عاد إلى (الظاهر) وتولى فيه تقبيح الشيخ والزراية به ، ومع أن (الظاهر) لم تكن كثيرة الانتشار إلا أن الصحف الوطنية روعها ما فعلت إحداها من أذى للشيخ محمد عبده فردت عليها جميعا فيما عدا (اللواء) ، وبينت الغرض والضغينة فى حملتها وشرحت السبب الصحيح للحملة

---

(١) الاستاذ الامام ج ١ ص ٥٦٤ (٢) الظاهر ١٢ نوفبر ١٩٠٣

ودافعت عن الإمام وإقتائه دون أن تذكر اسمها تحقيرا لشأنها ، وسلبتها الحكومة بعض امتيازاتها كالامتياز الخاص بنشر الاعلانات القضائية .

ومن الصحف الصغيرة التى شكا الجمهور منها صحيفة (الحمارة) وهى من خصوم الشيخ محمد عبده وقد فاقت زميلاتها جميعا فى بذاءة الحملة عليه فنشرت للشيخ صورة ماجنة فصورته بين جماعة من نساء الفرنجة فى وضع لا يليق وذلك تسويئاً لسمعته وتهويناً لقدره كمفت للديار المصرية ، وقد قبضت النيابة على صاحبها وقضت المحكمة بسجنه (١) . وقد هاج العقلاء أمر هذه الصحف فقد عاشت من نهش الأعراض وفرضت الأتاوات على بعض الناس يؤدونها على ما تحب وإلا جرحت كراماتهم ، وقد اهتمت بهذا الأمر الجمعية العمومية فذكر أمين بك الشمسى فى إحدى جلساتها أن « أسافل الناس يقدمون على إنشاء الجرائد وقد ملأوا الدنيا سفاهة وتعدياً على الأعراض ، على أن الجرائد هى مرشد الأمة والحكومة والمطبوعات هى ركن من أركان العمران » . ثم اقترح على الجمعية « أن تطلب من الحكومة الاتفاق مع وكلاء الدول على سن قانون عمومى للمطبوعات يقى الناس من هذه الفوضى » وتحدث الشيخ محمد عبده فى هذا الموضوع وضم اقتراحه إلى اقتراح زميله (٢) . وفى سنة ١٩٠٤ أعاد مجلس شورى القوانين الكرة فى هذا الموضوع وطالب بنفس ما طالبت به الجمعية العمومية فى سنة ١٩٠٣ (٣) غير أن اللورد كرومر لم يوافق على رأى الجمعية العمومية أو مجلس شورى القوانين ، وتضمن تقريره عن سنة ١٩٠٤ هذا الرأى وإن شارك المجلسين فى رأيهما من حيث السخط على هذه الصحف الحقيرة ، وهو يريد أن يحتاط لصحافته الكبرى فلا يقبل إصدار تشريع يستغله الخديو فى القضاء على ألسنة الاحتلال ، لذلك يزعم العميد الإنجليزى أن الذين يدفعون لهذه الصحف خوف التشهير لو امتنعوا

---

(١) الاستاذ الامام ج ١ ص ٥٦٤ عن قصة (الظاهر) و ص ٦٦٩ عن قصة الحمارة

(٢) محضر الجمعية العمومية فى ٢٦ مارس ١٩٠٢

(٣) مجموعة محاضر جلسات مجلس شورى القوانين فى شهر يونيه ١٩٠٤

عن البذل لها لاستحال على هذه الصحف البقاء ، ثم إن قانون العقوبات كما يقول اللورد قد تضمن مادتين حديدتين هما المادة (٢٨٢) والمادة (٢٨٣) وهما كفيلتان بردع من لا يردع وقد تبلغ العقوبة أحيانا السجن ثلاثة أعوام . ثم يعدد كرومر الصحف الثمان التى تخصصت لابتزاز الأموال والتشهير بذى المقامات والأكل على جميع الموائد ويذكر أن بعضها قد عوقب على تبذله ثم يقول « يجب أن لا يظن أن هذه الصحف عنوان للصحافة المصرية فإنها جميعاً قليلة الأهمية وإنها فى أساسها إما صحف هزلية أو ساخرة »(١) وبالرغم مما يؤخذ على هذه الصحف مما دعا إلى الضيق بها من كل الجهات فإنها تمثل النكتة المصرية الرائعة والسخرية اللاذعة وتعيد مجد أبى نظارة وصاحبها يعقوب بن صنوع .

لم تظهر السياسة الإنجليزية نحو الصحافة إلا فى تقرير كرومر عن مصر سنة ١٩٠٦ فقد كان فيها واضحاً كل الوضوح مع أن الصحافة المصرية لم تنل من اهتمامه فى سنة ١٩٠٥ إلا ستة أسطر (٢) وهو يبدأ حديثه عن حرية الصحافة بأنه كان دائماً فى جانب هذه الحرية ، وهو هنا لا يميل إلى ترديد النغم السابق من حيث تقديره لها ، فالصحف المصرية فى رأيه لا تعبر عن الرأى العام لما امتلأت به من حشو وما حفلت به من العبارات النابية ، وهو يذكر أن بعض كبراء مصر يرى رأيه هذا فأضعفت الصحف بذلك حجة أنصارها المدافعين عنها وعلى رأس هؤلاء الكبراء الخديو عباس الثانى ، وأنه ذاته أصبح يميل إلى وضع شىء من القيود لهذه الحرية المطلقة التى منحتها الصحف حفظاً للنظام وعناية بمستقبل الاحتلال فى مصر ، وهو يبنى أحكامه الجديدة على الصحافة المصرية من قراءته المتصلة للمعارضة منها وهى صحف فارغة لا تجد فيها بحثاً ذا قيمة فى المالية أو التعليم أو أعمال القضاء لذلك كانت سوءاتها بالنسبة للمصريين أكثر من حسناتها ، هذا على حين أن

---

(١) Blue Books 1904 p. 59-60 (٢) المصدر السابق ص ١٣ عام ١٩٠٥

الصحف الأجنبية فى مصر لها كما يقول مكانها الرفيع من حيث مادتها وأسلوبها المعتدل الرصين (١) وبذلك لم يعد كرومر نصيراً للصحافة المصرية بعد أن كان يستفيد منها كما يقول ويدافع عنها بحرارة فى سنة ١٩٠٣ وهو يلتمس اليوم لخصومها المعاذير وهو فى الواقع أخطر خصومها فى تلك السنة ؛ ذلك لأن مصطفى كامل زلزل سلطانه عقب حادث دنشواى فى ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ إذ قاد الحملة عليه زهاء شهرين كما كتب فى صحف أوروبا ، وكان من نتائج مقالاته فى الفيجارو Figaro فى ١١ يوليو سنة ١٩٠٦ أن عزل كرومر من منصبه .

برم اللورد كرومر بالصحف المصرية بعد حادث دنشواى وهو السبب المباشر لسخطه عليها غير أنه استعاد من غير شك المشاكل التى خلقتها له الصحف المصرية فى الأعوام الأخيرة ؛ فكل عمل قصده الاحتلال منذ استقالة رياض من رياسة الوزارة أصبح حديث العامة قبل الخاصة من جراء انتشار الصحف الوطنية . وقد استطاع أن يتخلص من معظم هذه الصحف ويستميل معظم الصحفيين الوطنيين إليه ولم يبق فى ميدان الصحف المعارضة أهم من (اللواء)

حقاً لم يستمر الود بين الخديو ومحرر (اللواء) طويلا ، إذ ظهرت عليه علامات اليأس بعد حادث فاشودة والاتفاق الودى (٢) وبذلك أصبحت (اللواء) وأنصارها وحدهم فى الميدان . وقد تعرض الخديو نفسه لعتاب (اللواء) يوم حضر عرض الجيش البريطانى فى نوفمبر سنة ١٩٠٤ واعتذرت المعية بأن تلك الحادثة تمت بمجرد المصادفة المحضة ، غير أن تلك الحادثة تكررت فى العام التالى وفى نفس الشهر ، فكتبت (اللواء) تعلق على موقف الخديو وتسخر قائلة «وإذا كان من الصعب تحميل (المصادفة) مسئولية هذا الحادث مرتين فمن المرجح أن المعية لا تنشر بلاغاً فى هذا العام وتفضل السكوت على الكلام » ، ولم يستطع الخديو أن يتحمل مهاجمة (اللواء) له فى السنة التالية فأبى حضور العرض فى سنة ١٩٠٦

---

(٣) المصدر السابق ص ٨-٩ عام ١٩٠٦ (٢) مصطفى كامل للرافعى ص ٣٣٠-٣٣٢

وعلقت جريدة (الامبرسيالى) الإيطالية قائلة «ولعل سمو الخديو أراد باطالة إقامته فى الاسكندرية العدول عن الخطة التى اتبعها سنة ١٩٠٤ فهل فازت الصحافة الوطنية بنصائحها واحتجاجاتها؟» (١)

وقد لاحظ اللورد كرومر أن (اللواء) تتعقبه بالتفصيل والتفسير فى كل خطوة من خطواته، فقد اعتزم اللورد زيارة الأقاليم فى فبراير سنة ١٩٠٥ والاتصال بالجماهير وبحثه المسائل العامة معهم والقاء النصح للأعيان والعمد، فحمل (اللواء) حملة شديدة على ذلك التصرف ثم مضى فى اليوم التالى يتحسر على ما آل اليه حال مصر حتى أصبح المعتمد البريطانى يجول فى أرجائها كأنه «صاحب الحل والعقد والأمر والنهى الذى لا يعارض فى شىء» (٢) وقد انتجت حملة (اللواء) المتصلة حماسة بين المصريين وكراهية شديدة للاحتلال البريطانى. وظهرت تلك الكراهية واضحة بين العامة قبل الخاصة فى مشكلة العقبة بين تركيا وانجلترا فى سنة ١٩٠٦، ومما يؤثر عن هذه المشكلة إعلان المؤيد لميولها الإنجليزية، فقد انحازت إلى جانب الإنجليز كما انحازت اللواء إلى جانب الأتراك، ومما يؤسف له أن البلاد افتقدت صحيفة تبحث مكان مصر وحقها من هذه المشكلة.

عرضنا لبعض الأحداث التى دعت اللورد كرومر إلى التبرم بالصحافة وحريتها وأهمها من غير شك الحملة الصحفية فى اللواء عقب محاكمة دنشواى، وقد أنتجت المحاكمة حملة صحفية فى الخارج لفتت الانجليز إلى سوء السياسة التى يمثلها معتمدها فى مصر مما ترتب عليه عزل كرومر فى أبريل سنة ١٩٠٧. ويبدو أن عزل كرومر فتح صفحة جديدة فى تاريخ الصحافة المصرية، وهى صفحة كتب معظمها (اللواء) وصحفه، وهى مدرسة فى صحافتنا جديدة، وكتب أقلها بقية الصحف المعاصرة بزعامة المدرسة القديمة ممثلة فى المؤيد، وقد أسس صاحب (اللواء) شركة مساهمة لإصدار جريدتين أوربيتين فى مصر بعد حادث دنشواى

---

(١) مصطفى كامل للرافعى ص ١٨٦ - ١٨٧ (٢) اللواء ٦ و ٧ فبراير ١٩٠٥

فى نوفمبر سنة ١٩٠٦ . وعندى أن إنشاء هاتين الصحيفتين من أبرز خدمات مصطفى كامل للقضية الوطنية لأن إنشاء الصحيفتين ليس شيئاً بجانب ما نشر فيهما من المعانى التى كان يعز عرضها على الأجانب فى مصر ، ثم أنه استطاع أن ينال موافقة جريدة (لوفيجارو) على أن تأذن للجريدة الفرنسية الوطنية بنشر مقالات بيير لوتى Pierre Loti على مصر على أن يكون نشرها فى الجريدتين فى يوم واحد، وهو عمل صحفى نادر المثال فى ذلك الوقت ، كما أنه رأى أن يعد لصحفه بيئة صالحة فأوفد أحد محررى (اللواء) إلى باريس ليتلقى علومه الصحفية نظراً وعملا فى مدارسها وصحفها الكبرى (١)

ويحسن بمن يؤرخ للصحافة المصرية فى تلك الفترة أن يعرض للتيارات الصحفية المختلفة منذ عزل كرومر وبدأ جورست سياسته الودية مع الخديو ليستقيم تاريخ الصحافة فى هذا العهد الجديد ونصبح على بينة من عموميات هذا التاريخ ، فقد استقبل جورست صحافة من أهمها (اللواء) و (الأهرام) و (المقطم) و (المؤيد) وهى صحف معروفة النزعة ، وقد بينا مذهبها من حيث اتصالها بالحركة الوطنية أو الاحتلال ، وكانت بجانبها صحف أخرى من أظهرها (المحروسة) وهى صحيفة تميل إلى الخديو وتخالف (المؤيد) وتحمل على (المقطم) ومع ذلك فهى تلين للاحتلال ثم (الوطن) وقد أعادها إلى الوجود جندى ابراهيم بك فى سنة ١٩٠٦ (٢) وهى من أصدقاء العميد البريطانى وفى خصومة مستمرة مع المسلمين ، وتميزت (مصر) بقبطيتها وميلها إلى الاحتلال ومعارضتها كل فكرة دستورية ، ولها هى و (الوطن) تاريخ حافل فى الخلاف الدينى الذى سنعرض له فيما بعد ثم (البصير) وهى جريدة تجارية لا رأى لها وإن مدحت الحكومة كلما نال الأقباط خير فى مصر وأخيراً (الجريدة) وهى صحيفة المعتدلين ، غير عشرات من الصحف والمجلات الأخرى التى لا يؤثر إنكارها فى ماجريات الحوادث . والجريدة هى

---

(١) الرافعى . مصطفى كامل ص ٤١٨ (٢) محفوظات الداخلية دوسيه رقم ٤ مكرر

أحدث الصحف الهامة التى نشرت فى العهد الجديد ، وقد قيل إن كرومر أوعز بإنشائها وأنه أوحى بالدعاية لها فى الأقاليم بين الذوات والأعيان (١) وهذه واقعة يعوزها التأييد والبرهان، فإذا كان بعض الذوات من أنصارها كمحمود باشا سليمان وحسن باشا عبد الرازق فى علاقات طيبة مع الاحتلال فليس معنى هذا أنهم يعدون له بوقاً يضاف إلى أبواقه السابقات، وآية ذلك أن (الجريدة) خلت من الدعاية للاحتلال والمحتلين وكان لها بعض المواقف التى تزين الصحافة الوطنية من حيث التفكير الوطنى واعتدال المزاج فيه ، ويجمل القول فيها إنها صحيفة بعض الأعيان وبعض المفكرين أيضاً . وقد صدرت (الجريدة) فى سنة ١٩٠٧ برأس مال قدره عشرون ألف جنيه (٢) وقد سدت بوجودها فراغا كان شاغراً فى بيئة الصحافة والصحفيين فقد خلت الجريدة من المطاعن الشخصية وتأنق محررها أحمد لطفى السيد فى اختيار عباراته ومعانيه وعنه سمى الخديو « صاحب السلطة الشرعية » وقيل عن ممثل انجلترا فى مصر « صاحب السلطة الفعلية » وقد اختارت (الجريدة) فئة من الكتاب النابهين للعمل فيها وبحث المسائل الأدبية والعلمية والموضوعات الاقتصادية والزراعية وذكرت أصدق الأخبار وقبلت انتقاد الناقدين ، وهى على صلة طيبة بجميع المصالح ولم تخاصم صحيفة من الصحف أو تسىء إلى فرد قصد الإساءة فحسب . وقد ظهرت الجريدة عقب حادثة العقبة بعد أن انقسمت الصحف إلى قسمين، بعضها انحاز إلى الانجليز وأكثرها مال إلى تركية ولم تحظ مصر بسند من إحداها فصدرت (الجريدة) صحيفة مصرية خالصة وذكرت فى عددها الأول المادة الثالثة من قانون شركتها وهى تؤكد أنها « مصرية بحتة غرضها الدفاع عن الصوالح المصرية على اختلاف أنواعها وإرشاد الأمة بأسرها إلى منافعها الحيوية الصحيحة ونشر ما فيه من فائدة مادية أو أدبية ونقد كل عمل له مساس من أية جهة كانت بتلك المنافع والصوالح سواء كان ذلك العمل عاماً أو خاصاً مهما كان مصدره ومهما كانت صفة القائم

---

(١) و (٢) الشعب فى ٨ مايو ١٩١٢

أو الأمر به وبيان صالح ذلك العمل من فاسده وقول الحق فى الحالتين حتى بهذا يتكون رأى عام قائم على أساس متين من صدق النظر وحسن التفكير يقول قوله بلسانها ولا تنطق هى إلا عنه . . . . لا فرق فى ذلك بين الأديان ولا تمييز بين الأجناس ، هذا مع نبذ الشخصيات وعدم الخوض فى المنازعات الدينية المحضة وأن لا تؤجر فى غرض وأن لا تستخدم لأحد مع التزام الاعتدال فى جميع الأحوال » . هذه هى خطة (الجريدة) وقد حققت فى تاريخها أكثر ما ذكرته المادة الثالثة من قانون شركتها وكانت هذه الصحيفة ترجمان حزب الأمة ولسانه وهو حزب يرى اللورد لويد أنه يتكون من جماعة من المفكرين بعيدى النظر والذين كان اتجاههم إلى كسب التقدم الدستورى بطرق معتدلة (١) ولم تكن (الجريدة) فى يوم من الأيام تقر رأيا تركيا أو تزعم للدولة العلية الكياسة وبعد النظر وسلامة الفكرة ، وهى صفات كانت تؤمن بها معظم الصحف المصرية ، بل اختطت دون الصحف الوطنية خطة الملاحظة على ما تصنع تركية ونقدها بين حين وآخر وهى تدعو إلى تحقيق الأمانى الوطنية باتفاق يحدث بين الاحتلال وبين أعيان المصريين وحدهم لأنهم أصحاب المصالح الحقيقية ، وتدعو إلى الرضا بكل ما يكسبه الوطنيون من هذا الاحتلال حتى تتوافر الكفايات للحكم الذاتى .

وإذا كانت (الجريدة) قد أصبحت صحيفة المعتدلين فقد استمر (اللواء) لسان عامة الناس والمتطرفين منهم خاصة وقد زاد قدره فى عيون المواطنين إذ استطاع صاحبه بقلمه فى مصر والخارج عزل عميد الاحتلال بعد أربعة وعشرين عاما من الكفاح المتصل ولم تتغير خطته بعد عزل كرومر وتعيين إلدون جورست Eldon Gorst مكانه بل ان التزاماته كانت أخطر فى ذلك العهد من جميع العهود السابقة فقد جاء العميد الجديد بسياسة لينة نحو القصر لا نحو مصر ، فتغير الخديو وتبدلت أساليبه الوطنية فكان بالأمس يدافع عن الحركة الوطنية ويخطىء خصومها

---

(١) Lloyd : Egypt Since Cromer, V 1. p. 50.

علانية فى أحاديث صحفية وينكر تعصبها الدينى ويرى أن شعبه « طيب بفطرته نزيه مجد ومعتدل متسامح »(١) غير أنه يعود فيذكر لمكاتب (الديلى تلغراف) فى مايو ١٩٠٧ أنه لا يعمل ضد الاحتلال ويبين له أن المعتمد البريطانى لا يستطيع حكم مصر وحده وأنه مستعد للتعاون معه وأنه لا فائدة للمصريين من استبدال احتلال باحتلال وأن الاحتلال البريطانى خير من أى احتلال آخر (٢) ويأبى (اللواء) على هذا الخصم الجديد ما ذهب إليه فيضيف إلى أعدائه عدواً خطير الشأن بيد أنه يشرع فى مخاصمته فوراً فإن الشعب المصرى « لا يقبل مطلقاً أن يكون حكم مصر بيد سمو الخديو بمفرده أو بيد المعتمد البريطانى أو بيد الاثنين معا بل يطلب أن يكون حكم هذا الوطن العزيز بيد النابغين والصادقين من أمنائه وأن تكون نظامات الحكومة دستورية ونيابية » ثم يقول فى موضع آخر متحدثا عن الخديو « فهو إن قال كلمة فى صالح الحركة الوطنية خدم نفسه وعرشه واستمال أمته إليه وإن عمل ضدها أضر بنفسه وبعرشه ونفر أمته منه ولكنه فى الحالتين لا يستطيع الإضرار بهذه النهضة لأنها نهضة المطالبين بالحياة والوجود ومثل هذه النهضة لا يضرها إنسان مهما كان قوياً وعظيما » (٣)

لقيت الصحافة بعد تغيير كرومر شيئاً من العنت والضيق لحقها جميعا سواء فى ذلك صحف الاحتلال وصحف الاستقلال إذ لم يعد للانجليز حظ فى حرية الصحافة والتمكين لها ، وقبض الخديو يده عن مساعدة الصحافة الوطنية فقد انتفت الأسباب التى تدعو إلى ذلك كله وهى الخصومة القديمة بين صاحب السلطة الشرعية وصاحب السلطة الفعلية وأصبح الطرفان لا تعوزهما قوة من القوى لتحقيق أغراضهما ، وكذلك اتفقت السلطات الأجنبية فى هذا الرأى مع السلطتين

---

(١) من حديثه مع مكاتب (الطان) – راجع الرافعى . محمد فريد ص ٦٥ – ٦٦

(٢) الرافعى فى كتابه – مصطفى كامل ص ٣٣٣ ومحمد فريد ص ٦٥ – ٦٦

(٣) اللواء فى ٢٦ و ٢٧ مايو ١٩٠٧

الرسميتين فى مصر وخاصة بعد الاتفاق الودى سنة ١٩٠٤ فلم يعد لحماية القنصلية الفرنسية أثر فى الحيلولة دون بطش الحميد أو الخديو بالصحف اللائذة بهـا . وكانت الصحف الصديقة للاحتلال أول ضحايا سياسة الوفاق الجديدة فى سنة ١٩٠٧ فقد اتهمت (المقطم والوطن والشرق) مأمور مركز كرموز بأنه يقبل الرشوة لقضاء حاجة الناس وحملت عليه فى بضع مقالات ضمنتها رأيها فى أن المصريين لا يصلحون لوظائف المأمورين ، وأن هذه الوظيفة جديرة بعـدالة الانجليز ، وقدمت هذه الصحف للنيابة العمومية ولم تحل العلاقات القديمة بينها وبين دار الوكالة البريطانية دون محاكمتها والحكم عليها ، وقد علقت (المقطم) على الحكم زاعمة أنها حملة أحكم تدبيرها للقضاء عليها واستغاثت بالصحف الأجنبية فى مصر لتؤازرها ولتدفع الظلم الواقع عليها (١) وقد أنكرت النيابة عليها أنها لسان من ألسنة الأمة وقطعت بأن أخبارها غير صحيحة وتعوزها الأدلة والبراهين وأنه لا يجوز لها أن تتعرض للشخصيات وتسيء بالسب إلى الموظفين العموميين.

لم تفتر الحركة الوطنية بعد وفاة مصطفى كامل فى مطلع سنة ١٩٠٨ بل بقى تاريخها فى الجهاد متصلا فى كل ناحية من نواحى الحياة المصرية ومن ورائها كتلة من الوطنيين المصريين ممثلة فى الحزب الوطنى الذى ضم عنصرى الأمة وقضت وحدته على الخلافات المذهبية التى طالما عير بها المصريون فى مصر والخارج وكانت سبباً من الأسباب انتحلته الدول للتدخل فى شئون مصر قبيل الاحتلال والتمكين لهذا الاحتلال بعد وقوعه ، وقد غذى هـذه الحركة نجاح الحركة الدستورية فى تركية فى يوليو سنة ١٩٠٨ — وإن كان نجاحها فى تركية جاء متأخراً بعد أن انفصمت العلاقات الودية بين الخديو والحزب الوطنى — ولم يكن هذا النجاح فى تركية شيئا لا يعنى المصريين بل شد أزرهم وقوى فكرة الحكومة الدستورية فى مصر ، وكان ذلك أمراً طبيعيا للصلات الأدبية والمادية بين التابع

---

(١) الشباب . العدد الخامس ١٩٣٦

والمتبوع ، فقد كان الكثيرون يرون مزاج البلدين واحداً فلا غرو أن اشتد ساعد الدستوريين فى مصر ومضت الصحافة المصرية تطالب بالدستور وطفحت صفحاتها بالحديث عنه ، والصحافة المصرية ليست حديثة عهد بهذا الموضوع فقد عنيت به منذ رياسة مصطفى كامل للحزب الوطنى وقد كان لأثر مقالاتها صدى فى الجمعية العمومية فى شهر مارس ١٩٠٧ حيث طالبت هذه الهيئة النيابية بإنشاء مجلس نيابى واضطرت الحكومة الفهمية إلى الرد عليها « بأن الوقت لم يحن لتشكيل مجلس نواب يرجى منه النفع العام الذى ينتظر من المجالس النيابية ولكنها تشتغل الآن فى توسيع اختصاص مجالس المديريات » (١) والصحف الوطنية التى أذاعت هذا الموضوع وعالجته مراراً ودعت إلى تحرير العرائض للخديو وساهم فى توقيعها بعض السيدات والآنسات وهذه ظاهرة جديدة فى حياة الأمة المصرية لم تكن معروفة من قبل (٢) . واضطر السير جورست أن يوضح سياسة الاحتلال فى هذه الحركة الخطيرة فهو يعلم أن الخديو لا يرضى عن حياة الشورى حتى لا تكف يده عن السلطة وسياسة الاحتلال قد سمحت له بها فى قدر كان قد حرمه زهاء خمسة عشر عاما ، ويعلم أن وجود حكومة دستورية تسلب الاحتلال سلطانه أمر يخالف السياسة الانجليزية فى ذلك الوقت فتحدث إلى (المقطم) فى أكتوبر قائلا « إن ما حدث فى تركية ليس له أقل دخل فى مسألة استعداد المصريين للحكم الذاتى » ثم قال « إن مصر حاصلة على دستور الآن وأعنى به الدستور الذى يتضمنه قانونها النظامى الصادر سنة ١٨٨٣ . . . . أما إذا كان المقصود من هذه الصيحة فى طلب الدستور إنشاء حكومة نيابية بإطلاق المعنى كما هى الحال فى انجلترا وفى بلدان أخرى أوربية فليس عندى على ذلك إلا واجب واحد وهو أن الشروط اللازمة لإدارة البلاد بموجب نظام مثل هذا النظام غير متوافرة الآن والتفكير فى إدخال

---

(١) محفوظات الجمعية العمومية لدور انعقاد سنة ١٩٠٩ وثيقة رقم ٧

(٢) اللواء فى ٢٦ فبراير ١٩٠٨

تغيير يحدث انقلابا كهذا الانقلاب ضرب من الحماقة والجنون »، ثم دعا جورست المصريين إلى مساعدة بريطانيا فى توسيع اختصاص مجالس المديريات والمجالس المحلية (١). وقد عادى جورست فكرة الدستور عن طريق الصحافة فجعل الموضوع كله على صفحاتها، فشرعت (اللواء) تفند الرأى الانجليزى وتحمل عليه حملة كان لها أبعد الأثر فى الجهات الرسمية النيابية (٢) فاجتمع مجلس شورى القوانين فى ٣١ أكتوبر عام ١٩٠٨ وأثيرت مسألة المجلس النيابى فى الجلسة ورأى بعض الأعضاء تأجيل النظر فى هذا الموضوع إلى ديسمبر، وكان على خلاف هذا الرأى عشرة من أعضاء المجلس سماهم اللواء « العشرة الكرام »، وكان من رأيهم المطالبة فوراً بانشاء مجلس نيابى على أحدث النظم الدستورية فى أوربا (٣) وغذت الصحف الوطنية هذه الحركة ونشرت البرقيات المختلفة فى هذا الصدد. ثم مضت تدعو إلى الفكرة الدستورية كل يوم، ولما اجتمع مجلس شورى القوانين فى ديسمبر ذكر (اللواء) أعضاءه ما وعدوا به من النظر فى أمر الحكومة النيابية، فأصدر المجلس قراراً « يطلب من حكومة الجناب العالى إعداد مشروع قانون يمنح الأمة حق الاشتراك الفعلى مع الحكومة فى إدارة أمورها الداخلية وتدبير شئونها المحلية وأن يكون رأيه تقريرياً فى مشروعات القوانين واللوائح التى تطبق على الأهالى وفى تقرير الضرائب والرسوم بحيث يكون لهذا القانون تأثير على نصوص المعاهدات الدولية والامتيازات القنصلية والدين العمومى وأحكام قانون لجنة التصفية ما يتعلق بالأوربيين من المصالح والحقوق الواجبة الاحترام ولا على وركو الآستانة ولا على كل ما ارتبطت به الحكومة من التعهدات والاتفاقيات وبعد إعدادها هذا القانون يبعث به إلى مجلس شورى القوانين لإبداء رأيه فيه وهذا عملا بالمادتين ١٨ و ١٩ من القانون النظامى » (٤)

---

(١) المقطم فى ٢٣ أكتوبر ١٩٠٨ (٢) اللواء فى ٢٦ فبراير و ١١ أبريل وشهر سبتمبر ١٩٠٨

(٣) اللواء فى شهر أكتوبر ، ١ و ٢ نوفمبر ١٩٠٨

(٤) مجموعة محاضر جلسات مجلس شورى القوانين فى ١٩٠٨

وكان هذا القرار الصادر من مجلس شورى القوانين حديث الصحف عامة والوطنية خاصة ولم ترفضه واحدة منها وإن اختلفت فى التعليق عليه . وكانت اللواء أول ما عنى به واهتم له ودعا إلى تحقيقه وإن كان فى نظرها لا يحقق جميع الأمانى الدستورية .

ومهما يكن الإخفاق الذى أصاب هذه الحركة فإن الصحافة المصرية جعلت الفكرة الدستورية غاية من الغايات الوطنية ، وفرضت إيجادها على المجالس النيابية المصرية وصورت بمقالاتها الحكم القائم فى نظر الناس حكماً غير عادل ، وجعلت الجماهير تفكر فى أشياء معنوية لم تكن تعنى بها بجانب عنايتها بحياتها المادية اليومية ، ولم يعد الجلاء وحده الغاية الأولى والأخيرة بل أصبحت فكرة الحياة الدستورية ملازمة للجلاء فى ذلك الوقت وبعد ذلك الوقت بسنوات .

وقد برم جورست بالحالة التى خلقتها الصحافة الوطنية ، فهو يتحدث فى تقريره عن مجلس الشورى فى سنتى ١٩٠٨ و ١٩٠٩ حديثا ملؤه الحنق على معارضة هذا المجلس معارضة « تحشو بها أعمدتها الصحافة الوطنية المعادية للحكومة » ويقول عن خطر هذه الصحافة فى موضع آخر « وموطن الضعف فى المجلس الآن هو السهولة التى يلقاها المتطرفون فى اقتياد معظم الأعضاء وتضليلهم وشدة اهتمام جميع الأعضاء باجتناب الطعن فيهم فى الصحف العربية واتهامهم بضعف الوطنية وهذا الطعن يصيب كل من يؤيد اقتراحات الحكومة ولو تأييداً ضعيفا » (١)

ثم استقالت عقب هذا وزارة مصطفى فهمى باشا وهى وزارة بقيت موالية للانجليز زهاء ثلاثة عشر عاما ولم تكن حريصة على ود الخديو فى يوم من الأيام فكان طبيعياً أن تنقذه منها سياسة الوفاق الجديدة ، وقد ولى الوزارة بطرس باشا غالى (٢) وحمل عليها (اللواء) بعد ولايتها شئون مصر بثلاثة أيام فى مقال عنيف

---

(١) Blue Books . 1908-1909

(٢) الوقائع المصرية ١٤ نوفمبر ١٩٠٨

وأكد أنها جاءت تشيع البقيـة الباقية من الحرية إلى مدفنها وأنها وزارة الوفاق الذى تم على حساب المصالح المصرية (١)

توجس الوطنيون شراً من هذه الوزارة الجديدة بيد أن ذلك لم يعق صحفهم عن مهاجمتها ومهاجمة الاحتلال فى كل مناسبة من المناسبات، ونال الخديو من معارضتها هذه كثير من التهم القاسية التى بدت لينة فى ملاحظات عن العلاقات الجديدة بين جورست والسراى (٢) ثم تطورت إلى اتهام صريح للخديو بأنه يحابى الاحتلال على حساب مصر فى سبيل مصالحه الخاصة (٣) وهناك أسباب أخرى دفعت إلى هذه الشدة الصحفية على جورست والخديو والحكومة مصدرها فيما نعتقد أن شئون الدولة العليا ألقيت إلى مسيحى وهو أمر تبرم به غلاة المسلمين إذ ذاك (٤). وزاد (اللواء) حدة أن الشيخ عبد العزيز جاويش تولى تحريره منذ ٣ مايو ١٩٠٨ فحمل على دانلوب فى المعارف ثم حمل على الحكم الإنجليزى فى السودان وسمى القضاء على الثورة هناك «دنشواى أخرى» ثم عاود النشر فى هذا الموضوع مستخفاً بتكذيب الحربية لمقاله الأول (٥) وانتهى به الأمر إلى القضاء ومع ذلك فقد استمر فى مقالاته الحادة يهجو بأسلوبه القاسى جميع الجهات، وامتازت عباراته بالإنشاء الحماسى الذى يلهب النفوس ويثير الهمم فى مصر أو فى غيرها من البلاد الاسلامية.

ويعتبر اللورد لويد أن تفكير الحكومة فى تقييد حرية الصحافة مصدره كتابات الشيخ القاسية فى اللواء (٦) إذ رأى المسئولون أن قانون العقوبات وإن كانت له آثاره على الصحف الصغيرة الماجنة إلا أنه لم يستطع أن يحد من تطرف الصحافة الوطنية الكبرى وهى تعارض معارضة لا تشوبها شائبة، لذلك

---

(١) اللواء ١٧ نوفمبر ١٩٠٨ (٢) اللواء فى ١١ أبريل ١٩٠٨ ثم لوجورنال دى كير فى ٨ أبريل ١٩٠٨ (٣) الشباب ٦ أبريل ١٩٣٦

(٤) الوطن ٢٣ مارس ١٩١٠ وفيها تفصيل لهذا الرأى

(٥) اللواء فى ٢٨ و٣١ مايو ١٩٠٨ (٦) LLOYD V.I, p. 88-89

قررت الحكومة العودة إلى قانون المطبوعات الصادر فى سنة ١٨٨١ وأعادته فعلا فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ وتقدمت به إلى الرأى العام مبينة الأسباب التى من أجلها قررت معاملة الصحف بمقتضاه

بينت الحكومة وجهة نظرها قائلة « إن الحكومة لم تنفذ منذ عام ١٨٩٤ قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ وحيث أن الجمعية العمومية طلبت من الحكومة فى ٢٦ مارس ١٩٠٢ ردع الجرائد عن تجاوزها الحدود وعن الفوضى التى وصلت اليها وأرسل إليها مجلس شورى القوانين طلباً مثل هذا فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٤ وحيث أن عدم تنفيذ قانون المطبوعات لم يزد هذه الجرائد إلا تمادياً فى التطرف والخروج عن الحد حتى أدى ذلك بشكوى الناس بلسان الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين من هذه الحالة التى أضرت بمصالح البلاد ضرراً بليغاً فقد قرر مجلس النظار ما يأتى : يعمل بأحكام قانون المطبوعات فيما يتعلق بنشر الجرائد فى القطر المصرى » (١)

هذه هى الأسباب التى سوغت بها الحكومة عودة قانون المطبوعات القديم، وكان أمر هذه العودة خطيراً من حيث حرية الرأى التى لم تكفلها سلطة من السلطات فاحتج الحزب الوطنى على ذلك رسمياً (٢) وظهرت بعض وسائل الاحتجاج الأخرى على هذا القانون فى ٢٦ مارس ١٩٠٩ وأخذت (اللواء) تعلق عليه وعلى العمل به تعليق الخبير العارف بالتشريع وأضراره معتمدة على أقوال الشراح والمقننين (٣) بجانب إثارة الشعور العام على هذا التشريع وخاصة مقالها فى ٣١ مارس الذى دعت فيه المصريين إلى الاحتجاج حتى تشعر الحكومة بمدى السخط العام على تصرفاتها إزاء الصحافة وهى الحصن الوحيد للوطنيين ، وقد شاركت (اللواء) الصحف المصرية الأخرى فى الشعور نحو هذا القانون إلا

---

(١) الوقائع المصرية ٢٧ مارس ١٩٠٩ (٢) الرافعى - محمد فريد ص ١٠٧ - ١٠٨
(٣) اللواء فى ٢٩ و ٣٠ و ٣١ مارس ١٩٠٩

صحيفتنا (الوطن) و (مصر) . ويؤرخ لهذه الحقبة قرياقص ميخائيل فى كتابه « أقباط ومسلمون تحت الحكم البريطانى » (١) بأن المقصود من هذا القانون كان كبت العنف الذى جرت عليه الصحف الوطنية فى علاجها للمسائل السياسية وغيرها من المسائل العامة ثم يذكر أن الصحافة القبطية استقبلته محيية له كعامل من عوامل تهدئة حدة الصحف وعنفها .

وقانون المطبوعات هذا قانون أبتر لأنه لا يسرى إلا على المصريين أو المتمتعين بالجنسية المصرية ، لأن محاكمة الأجانب مهما تكن مخالفاتهم أو جرائمهم تتبع أحكام دولهم وقوانينها ولا تملك مصر إذ ذاك فرض قانونها عليهم لتمتعهم بالامتيازات الأجنبية منذ عدة قرون ، فأصحاب الصحف من الأجانب فى مأمن من هذا القانون وليس هنا مجال نقده ، وإنما تحضرنا بعض الملاحظات على تسويغ الحكومة الرجوع إليه ، فهى تدعى أن الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين قد هالهما إسفاف الصحف وتجاوزها الحدود وتماديها فى التطرف ، والمجلسان النيابيان لم يشيرا قط إلى القصد من حرية الصحافة بحال وإنما أشارا إلى الصحف التى تنهش الأعراض وتخوض فى الكرامات والصحفيين الذين ينالون طعامهم على كل الموائد دون رعاية لخلق أو عرف ، وقانون ١٨٨١ إنما تعيده الحكومة لتطبقه على (اللواء) وما يناصره من الصحف ، ولم يطلب المجلسان العودة إلى هذا القانون بل طلبا « سن » قانون جديد ، وفرق بين الطلبين ، لأن سن قانون يقتضى عرضه عليهما ومهما يكن رأيهما استشاريا فلن يكون فى عنف قانون الثورة العرابية ومجمل القول فى هذا القانون إنه طبق على مدى واسع وعلى الصحف المعارضة خاصة ، فقد كتب الشيخ عبد العزيز جاويش فى (اللواء) مقالا عن ذكرى دنشواى (٢) واعتبرت النيابة المقال سبا فى رئيس الحكومة وتأريخا لحياته من وجهة نظر معارضة تهون من شأنه فى عيون الناس ، وقضى الاستئناف بسجن الشيخ (٣)

---

(١) أقباط ومسلمون ص ٩٨ (٢) اللواء فى ٢٨ يونيه ١٩٠٩

(٣) الرافعى — محمد فريد ص ١١٢ — ١١٣

ثم أخذ (اللواء) ينشر مقالات عن حادث (دنجرا) وهو طالب قتل كبيراً من رجال الانجليز السابقين فى الهند ، وكانت أخطر هذه المقالات المقالة الرابعة (١) حتى اعتبرتها الحكومة تحريضاً على القتل السياسى وإعجابا به (٢) . وكانت قضية الشيخ جاويش أولى حوادث الصحف الوطنية من حيث تعرضها لقانون المطبوعات وقد اختلفت فى شأنها الصحف المصرية المتباينة ، فكان معظم الصحف من عربية وفرنجية فى جانب اللواء إلا (الأجبشيان جازيت) وجريدة (المقطم) وخاصة الأخيرة فقد ذكرت فى قضية الشيخ تفاصيل ما سيجرى فى المحكمة وما سينطق به القضاء ، وقد صح ذلك وجاء الحكم مطابقا تمام المطـــابقة للمقدمات التى أذاعها المقطم فى صفحاته (٣)

ومن الصحف التى راحت ضحية لقانون المطبوعات جريدة (القطر المصرى) ذلك لأن صاحبها نقل عن إحدى صحف الآستانة مقالا لم يعجب المحرر فأخذ يفند مافيه وينقد رأى كاتبه ويعارض اتجاهه غير أن الحكومة رأت فى نشر المقال ما يمس النظام والأمن العام فأمرت بإغلاق صحيفة القطر المصرى دون النظر إلى ما علق به الصحفى المصرى وهو قمين بأن ينقذ صحيفته من سوء الظن وإن لم يعفها فى نظر الحكومة من سوء التقدير (٤)

لم يحل قانون المطبوعات بالرغم من شدته دون عنف الصحف الوطنية، فكان كلما استبد القانون بها اشتدت هى فى المعارضة ، وأصدق ما يجرى على هذه الحقيقة مشروع مد امتياز قناة السويس وهو مشروع شغل الرأى العام المصرى فى نهاية عام ١٩٠٩ وأوائل سنة ١٩١٠ وكانت الحكومة تأمل فى موافقـــة السلطات التشريعية على هذا الموضوع ، غير أن اللواء أحس الاتجاه فبدأ محمد فريد بك يهاجم المشروع ابتداء من أواخر أكتوبر مهاجمة عنيفة مؤيدة بالحجج والأسانيد ونقلت عنه معظم الصحف المصرية عربية وفرنجية .

---

(١) اللواء فى ١٧ أغسطس ثم فى ١٠ و ١١ و ٢٠ يوليه ثم فى ٧ و ١٩ أغسطس ١٩٠٩
(٢) اللواء ٥ أغسطس ١٩٠٩ (٣) الشباب العدد الثامن (٤) الرافعى محمد فريد ص ١٢٨

كان الناس ينظرون فى أول الأمر إلى فكرة مد امتياز قناة السويس نظرة مادية خالصة فكانت المناقشة تدور حول ما تنتفع به مصر من الناحية المالية ؛ وكان هذا هو اتجاه الصحف فى نظرتها إلى الموضوع غير أن محمد فريد بك نشر فى اللواء مقالا ممتعاً تحت عنوان « مسألة قناة السويس - اعتبارات سياسية »(١) وكان هذا المقال حجر الزاوية فى رفض المشروع فيما بعد إذ نقل الكاتب الفكرة من البحث المالى إلى الناحيتين الأدبية والمعنوية وعلاقة ذلك بكرامة الوطن وحقوقه. وبهذا المقال وبغيره مما نشر فى اللواء والصحف الأخرى رفض مشروع مد امتياز القناة وانتصرت الصحافة فى أعظم معركة اهتمت لها الحكومة اهتماما منقطع النظير ، واعتبر ذلك الرفض من وجهة النظر العامة أول انتصار وطنى على الاحتلال منذ وجد فى مصر ولم يفد دفاع الصحف الموالية للانجليز أو المتحدثة باسمهم فى إنقاذ فكرة المشروع . وفى أثناء مناقشة هذه الفكرة حدث أن اغتال ابراهيم ناصف الوردانى رئيس الحكومة بطرس غالى فى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ لأسباب ذكرها القاتل بأنها تعود إلى تاريخ بطرس باشا ومواقفه فى الحركة الوطنية وأساليبه فى تناول الحكم ، ويذكر الوردانى أن الذى دفعه إلى هذا الجرم أن رئيس الحكومة قد وقع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ ثم رأس المحكمة المخصوصة فى قضية دنشواى ؛ وفى وزارته صدر قانون المطبوعات ووزارؤه أكثر الوزراء تحمساً لتنفيذ مد امتياز قناة السويس (٢) وكان لهذا الحادث أثر كبير جداً فى تضييق حرية القول والكتابة ، كما كان له أثر خطير فى انفصام وحدة الأمة بعدئذ ؛ وقد أجمعت الصحف والحزب الوطنى على استنكار هذه الحادثة ومع ذلك فإن (الأجبشيان جازيت) ردت أصول الحادث وفروعه إلى اللواء (٣) وهى تهول فى ذلك وتكبر وتمضى فى أثناء محاكمة الوردانى تكرر وتعيد فى ذلك ، وتترجم بعض مقالاتها جريدة (المقطم) وشاركتها صحيفتا (المؤيد والوطن)

---

(١) اللواء ابتداء من ٢٥ أكتوبر ١٩٠٩ ثم ٣٠ يناير ١٩١٠

(٢) الرافعى ، محمد فريد ص ١٧١ (٣) الاجبشيان جازيت ٢١ فبراير ١٩١٠

فى الحملة على الحزب الوطنى وإلقاء التبعة على مقالاته التى هاجت الناس وطوحت بإحساساتهم حتى خرج منهم هذا المجرم الشنيع ، وقد صدر بمقتل بطرس غالى ثلاثة قوانين كان مجلس الشورى قد أبى أن يقرها من قبـــل (١) الأول يقضى بإخراج الجنايات والجنح التى تقع بواسطة المطبوعات من اختصاص قضاة التحقيق والمحاكم الجزئيه ويحيلها كأنها جنايات عادية ارتكبت ضد القانون على محاكم الجنايات التى ليس لها محلفون وليس لحكمها استئناف ، والقانون الثانى يتعلق بنظام المدارس وهو يعاقب بالطرد من المدرسة كل طالب يشترك فى مظاهرات فى داخل مدرسته أو خارجها أو يكتب فى الصحف أو يمدها بأخبار أو يقوم لها بعمل ما ، ويعاقب القانون الثالث ما يقع من الاتفاقات (الجنائية) بين شخص فأكثر بالحبس مدداً مختلفة ، والاتفاق الجنائى يتضمن كل ألوان التآمر والجمعيات السرية (٢)

وبالرغم من صدور هذه القوانين مضت (اللواء) فى معارضتها للحكومة والاحتلال وإن تحاشت اللفظ الشديد ولم يعفها الحذر أو التلطف فى العبارة من المؤاخذة كلما تعقبت سياسة الاحتلال بالملاحظة والنقد فنشرت مقالا بعنوان « الزراعة والصناعة فى عهد الاحتلال بين مصر والهند » وهو من أمتع البحوث التى اعتمد فيها كاتبها على الأرقام والمقارنة قبل اعتماده على شىء آخر ومن المقالات الممتعة التى تزين تاريخ الصحافة المصرية وتوضح كفايتها ونضجها (٣) غير أن الحكومة لم يرضها هذا البحث ولم تقر هذا التوجيه فاعتبرت (اللواء) قد خرجت « عن حد الاعتدال واستعملت عبارات من شأنها إهاجة الخواطر بالطعن على أعمال الحكومة تحت ستار إسناد هذه الأعمال إلى الأمة الانكليزية ونسبتها إلى كثير من المعايب التى تمس كرامتها » ثم قضت بانذار (اللواء) فى أكتوبر للمرة الثانية .

---

(١) العلم ٣١ مايو ١٩١٠ (٢) الاجيشيان جازيت ٣٠ مايو و٢ يونيه ١٩١٠
(٣) اللواء ١٨ أكتوبر ١٩١٠

رأت (اللواء) فى هذا الإنذار تعنتا لا نظير له فأقامت الدعوى على الحكومة بشأن إنذارها (١) وشغل هذ الإنذار الصحف المصرية جميعاً فحملت عليه جريدة (العلم) (٢) بالطبع لأنها الصحيفة الثانية للحزب الوطنى وسخرت منه (البلاغ المصرى) ومن المعانى التى انطوت عليه (٣) وأبت (الجريدة) أن تقره فى أسلوبها الرفيع المعروفة به (٤) ورأت (المؤيد) أن ماجاء بالإنذار سخيف وأنكرت على المقالة التى أنذرت من أجلها (اللواء) أى خروج على النظام (٥) ورأت رأيها هذا جريدة (وادى النيل) (٦) وعلقت جريدة (البصير) بالاسكندرية على هذا الموضوع راجية أن يتسع صدر الحكومة للصحف وأن تقلل من مؤاخذتها لها على الصغائر التى لا تضر بالمصلحة العامة (٧) ومضت (المقطم) تطعن فى الحزب الوطنى وصحفه (٨) وتزعم أنه حزب ثورى يعرض بالجناب الخديو ويختزن السلاح توطئة لثورة يقيمها فى مصر (٩) ولم ترض معظم الصحف الأجنبية فى مصر عن هذا الإنذار فحملت عليه حملة تتفاوت بين الشدة واللين (١٠)

ثم حدث خلاف بين ورثة (اللواء) والحزب الوطنى وعين يوسف بك المويلحى حارسا قضائيا ، ولهذا الخلاف أصول أرخت لها الوثائق فى إدارة المطبوعات وبينت الكفاح الذى دار حول الصحيفة بين القصر والحزب الوطنى فقد أوحت المعية إلى الحارس القضائى أن يتدخل فى توجيه سياسة الجريدة وأبى زعيم الحزب هذا التدخل وترك (اللواء) وبقى الكفاح متصلا حتى انتهى الأمر

---

(١) محفوظات ادارة المطبوعات دوسيه رقم ٥ (٢) العلم فى ٢٥ أكتوبر ١٩١٠
(٣) البلاغ المصرى فى ٢٥ أكتوبر ١٩١٠ (٤) الجريدة فى ٢٦ و ٢٧ أكتوبر ١٩١٠
(٥) المؤيد ٢٥ أكتوبر ١٩١٠ (٦) وادى النيل فى ٢٧ أكتوبر ١٩١٠
(٧) اللواء ٢٦ أكتوبر ١٩١٠ (٨) المقطم فى ٢٦ و ٢٩ أكتوبر ١٩١٠
(٩) اللواء فى ٢٧ أكتوبر ١٩١٠ (١٠) الاجيشيان جازيت فى ٢٥ أكتوبر وجورنال دى كير ولابورص أجيسيان فى ٢٦ و ٣٠ منه ولاريفورم فى ٣١ منه

بتوقيع الحجز على آلات الجريدة وخسرت الحركة الوطنية أعظم ألسنتها وأقدمها(١) ثم قررت اللجنة الإدارية للحزب الوطنى فى أول مارس سنة ١٩١٠ نشر جريدة (العلم) برأسمال قدره خمسة آلاف جنيه زيدت إلى أحد عشر ألف جنيه ، وهى شركة غير تجارية ولا أمل فيها لربح شخصى إذ تقرر أن تضاف الأرباح إلى رأس المال . وقد قام مكاتبو (اللواء) ومراسلوه بالدعوة له فى المدن والأقاليم وتعريف الناس على أنه لسان الحزب الوطنى ثم عين لها مندوب فى الآستانة يمدها بالأنباء الخارجية وهو أحد المتهمين فى قضية الوردانى

ولما لم تفلح الحكومة فى القضاء على حركة الحزب الوطنى بالقضاء على (اللواء) أنذرت (العلم) ثم استبدلت بالإنذار التعطيل لمدة شهرين فى ٢٠ مارس سنة ١٩١٠ حتى تتخلص من نقده ومعارضته فى أثناء نظر مشروع القناة فى الجمعية العمومية وخلال محاكمة المتهمين فى قضية الوردانى ، وذلك بناء على إشارة الوكالة البريطانية مع أن صحف (مصر الفتاة) و (المؤيد) كتبت موضوعات مماثلة وأشد لهجة من (العلم) دون أن تنذر أو تغلق (٢) فنشر الحزب الوطنى جريدة (الاعتدال) ثم (الشعب) ثم (العدل) إلى أن عاد (العلم) إلى الظهور فى ٢٠ مايو سنة ١٩١٠ .

وقد شاب هذه الحركات الصحفية الحرة نزعة لم يعرفها مؤرخ الصحافة المصرية فى تاريخها جميعه وتنزهت عنها الصحافة الوطنية فى أدق مواقفها مع ما بذل من الجهد لإثارتها فى الثورة العرابية أو خلال حركة مصطفى كامل ، وهذه النزعة هى المشكلة القبطية الاسلامية التى أثارتها عدة عوامل بعد وفاة زعيم الحزب الوطنى فى سنة ١٩٠٨ فقد بدأت الصحف الاسلامية ، و (المؤيد) و (الجريدة) خاصة ترد فى شهر مايو من تلك السنة على جرائد الأقباط التى بدأت تبحث فى أمر الوظائف والموظفين وعدالة القسمة فيما بين النصارى والمسلمين ، ووقفت (الوطن)

---

(١) محفوظات المطبوعات دوسيه رقم ٥ (٢) وزارة الداخلية دوسيه العلم رقم ١٦٨

لكليهما وحملت عليهما فى عنف وشدة (١) ومع أن مقالات (المؤيد) و(الجريدة) خلت من هذا العنف الذى نشرته (الوطن) فان الوطن اعتبرت الحديث فى أمر الوظائف والموظفين شيئاً يستوجب هذا العنف فاضطر (اللواء) إلى النزول فى الميدان ونشر الشيخ جاويش مقالا عنيفا جداً ردا على ما جاء بمقال (الوطن)، وهو يرد على هذه اللهجة العنيفة بعنف يماثلها ويزيد عليها فى أسلوبه المأثور عنه (٢). وقد أدى هذا النقاش الصحفى إلى خصومة عنيفة بين المسلمين والأقباط كان صداها فى تلك البرقيات التى أرسلت من المسلمين إلى ناظر الداخلية ليحاكم صاحب (الوطن)، كما أرسلت برقيات مماثلة من الاقباط يحتجون على عبارات (اللواء) « بإحساسات مجروحة يلتمسون من عطوفتلو أفندم ناظر الداخلية وجناب المعتمد البريطانى بسرعة ملافاة الأمر قبل استفحاله »، وكاد الأمر يستفحل حقاً فقد دعا الأقباط إلى اجتماع بحديقة الأزبكية كادت تحدث فيه فتنة، وذهب كثيرون إلى المفوضية الفرنسية يشكون الشيخ جاويشاً على اعتباره من رعايا فرنسا التونسيين (٣).

وقد استطاع الحزب الوطنى أن يرأب الصدع ويقف هذا التيار بجهود العقلاء والحريصين على وحدة البلاد. غير أن السياسة الانجليزية ما فتئت تخلق المنازعات بين العنصرين وأظهر ما صنعته فى هذا الميدان تعيين بطرس غالى باشا للنظارة، وتتحمل (الوطن) و (مصر) خاصة وزر العودة إلى الموضوع كما تتحمله أيضا الصحافة الوطنية الإسلامية، فقد كان اتجاهها إسلامياً محضا، حتى الصحف التى صدرت معارضة للحركة الوطنية وموالية أشد الموالاة للاحتلال جعلت من أسس حياتها الأولى الناحية الإسلامية، وقدر أن يكون على رأس الصحفيين الوطنيين رجل متحمس كعبد العزيز جاويش وصل السياسة بالدين وجعل للدين أثراً فى

---

(١) الوطن فى ١٥ يونيه ١٩٠٨ (٢) اللواء فى ١٧ يونيه ١٩٠٨

(٣) محفوظات الداخلية دوسيه رقم ٥

السياسة العامة ، وقد أعقب فترة الهدوء بين العنصرين مقتل بطرس باشا فأعاد هذا الحادث أدوار الحركة من جديد .

ونحن نقرر فى جزم أن بعض الصحف المسيحية تتحمل أكبر قسط من المسئولية فى استئناف هذا الموضوع فقد عادت (الوطن) إلى التحدث فيه تحت عنوان « هنا وهناك » (١) وأخذت تسب « اللواء المرذول جريدة حزب الخراب والشر » ثم تستعيد مانشر فى صحيفته فى ظروف مماثلة . ومع أن أسلوب محرر (الوطن) بدأ فى إثارة الأزمة ليناً ورفيقا إلا أنه أعاد الكرة بعد بضعة أيام «مشيراً من طرف خفى إلى تخوف الأقباط من الدستور لأن معنى الحياة فى ظل الدستور كما يرى الكاتب « أن تصبح البلاد وحكومتها فى قبضة قواد الحركة الحالية بلا سلطة فعلية من الجناب العالى ولا رقابة حقيقية من الدولة العلية » (٢) . ومن مقالاتها الخطيرة التى زادت الخلاف حدة الفصول التى نشرتها حاملة على الحكومة والشيخ جاويش والتى استعدت فيها الانجليز على الشيخ « عدو الانجليز والأوربيين عامة وعدو الأقباط وعدو السوريين وعدو عقلاء المصريين » كما نشرت تعليقا على فض الجمعية العمومية وهى تظهر خصومتها للدستور ثم نشرت مقالا توقع فيه بين الخديو ورجال الحزب الوطنى (٣)

ومنذ بدأت الصحافة المسيحية تقحم المسألة الدينية فى سياستها استفحل الخلاف بين المسلمين والأقباط ، وأرسل الآخرون إلى لندن فى يونيه ١٩١٠ قرياقوس ميخائيل كممثل للصحافة القبطية فى مصر وكداعية لأغراض الأقباط هناك ، وقد استقبلته الصحافة الانجليزية وأحزابها استقبالا عظيما ، ونشرت إحدى وعشرون صحيفة المقالات الطويلة فى موضوع الخلاف فى مصر ، وبدأت حملة الصحف

---

(١) الوطن ٢٣ مارس ١٩١٠ (٢) الوطن فى ١٣ ابريل ١٩١٠

(٣) الوطن فى ٥ و١١ و٢٦ أبريل على التوالى

الانجليزية فى ٢٠ سبتمبر ١٩١٠ واستمرت إلى ٢٣ سبتمبر ١٩١١(١) . واهتمت الصحف المصرية الإسلامية والصحف القبطية والأجنبية فى مصر بهذا الموضوع اهتماما جعل المسألة الوطنية فى المرتبة الثانية واشتركت (المؤيد) و (الجريدة) و (اللواء) (والعلم) و (الأهالى) من الناحية الإسلامية و (الوطن) و(مصر) من الناحية القبطية ، اشتركت جميعها فى هذا الموضوع وأ كثر ما فى هذه المشكلة غرابة موقف الانجليز ثم موقف جريدتى (الأهالى والمقطم)

ولقد كان معروفا أن الصحف الفرنجية فى مصر كلها تقريبا تناصر الأقباط فى حركتهم وكان معرفا أيضا أن الصحف المصرية الإسلامية جميعا وبلا استثناء تجادلهم بالعنف وتحمل عليهم أشد الحملات أما الانجليز فموقفهم غريب حقا ، فصحافتهم فى مصر وانجلترا تزيد لهيب هذا الخلاف إذ يذيع روتر فى ٢٦ يناير سنة ١٩١١ حديثا للسير جورست بأن « الأقباط والمسلمين يعيشون فى سلام لو تركوا وحدهم »(٢) وتقول (التيمس) عن جريدة (الوطن) « إن لهجتها مازالت شديدة ومهيجة منذ إعدام الوردنى ، ثم تعقب على إنذار الحكومة للوطن « وأهم من مسألة إنذار (الوطن) اغتنام الأقباط هذه الفرصة لبسط شكاواهم للرأى العام وللحكومة البريطانية نفسها ، ثم تعلق على مطالبة الأقباط بوظائف المديرين « إن القدرة على معاملة الناس التى هى صفة من صفات الحاكم الإدارى الضرورية ولا سيما فى المديريات لم تكن يوما من الأيام من الصفات القوية للأقباط »(٣) وفى موقف جورست والتيمس ما يغرى بالحكم بأن الإنجليز الرسميين كانوا فى جانب الحركة الإسلاميه ، وهذا فى الواقع لون من السياسة لم يفت مؤرخى ذلك الزمن فعلقوا عليه بالملاحظة والتفنيد .

أما جريدة (الأهالى) لصاحبها عبد القادر حمزة فكانت صحيفة معتدلة لم

---

(١) أقباط ومسلمون ص ١٠٤ — ١٣٤ (٢)و(٣) الاهالى فى ٣ فبراير و١٧ يناير ١٩١١

تخل من حملة جريدة (الشعب) عليها (١) وهى مع أنها صحيفة شبه رسمية وشديدة الصلة برئيس الحكومة وأول من دعا إلى عقد مؤتمر للمسلمين إلا إنها كانت تعالج الخلاف برفق (٢) حتى أن الوطن ذكرتها وهى تهاجم الصحف الإسلامية جميعا ، لو أن الصحف الاسلامية كلها تجادلنا بالتى هى أحسن عل طريقة (الأهالى) الغراء لما سمع الناس بذكر التعصب والانقسام ولا كان فى القطر صوتان متنافران بل كان المصريون كلهم حزبا وطنيا واحداً له غاية واحدة هى ترقية مصر وبنيها والاستقلال التام ، (٣) ، أما (المقطم) فكانت أقل الصحف إشتراكا فى هذه المعمعة ، وحين كانت الصحف الأخرى فى سعير هذا الخلاف كان (المقطم) يملأ صفحاته بالمسائل الخارجية وأهمها ، مجلس المبعوثان ، لمندوبه الخاص فى الآستانة وقلما كانت (المقطم) تنشر برقيات الأقباط ومؤتمريهم وقد دعت إلى السلامة ونصحت الفريقين بها ، ولم تأل بدلوها فى الموضوع وقالت فى إحدى مقالاتها عن تحاشيها الخوض فى هذا الخلاف ، إن كان يمكن أن يعد كلام جريدة اليوم من فضة فسكوتها يعد من ذهب وجواهر كريمة لا محالة ، ثم تذكر فى يوم آخر أخبار (المؤتمر المصرى) وتمدح سياسته وأمانيه (٤) ثم أنتج هذا الخلاف الصحفى المؤتمرين القبطى والمصرى ؛ فأما الأول فقد أعرضت عنه الحكومة ودار الوكالة البريطانية وأعلن البطريرك أنه لا يمثل الطائفة فى شيء وتبعه رؤسها وعيونها فمثل المؤتمر بذلك فئة صغيرة ثائرة . وأما المؤتمر الإسلامى فقد رأسه رياض باشا وأكبرته الصحف الوطنية جميعا وباركت قراراته وفيها رفض أكثر ما طالب به الحزب القبطى الصغير (٥)

ومهما يكن أمر هذا الخلاف الصحفى فقد خسرت فيه مصر أكثر مما كسبت

---

(١) الشعب فى ٨ مايو ١٩١٢ (٢) أقباط ومسلمون ص ٣٢

(٣) الوطن فى ٤ يناير ١٩١١ (٤) المقطم ٨ و١٣ مارس ١٩١١

(٥) اللواء ٤ و٩ مارس ١٩١١ وما بعدها

طائفتاها ، فان المسائل الوطنية العليا أصبحت فى المرتبة الثانية بالنسبة للخلاف المذهبي ، وخرج الاحتلال من ذلك سليما فلم تقحمه الصحف فى الموضوع لا الاسلامية منها ولا القبطية ، وانتهى المؤتمران إلى قرارات اتخذت لم يشر واحد منها إلى احتجاج على احتلال أو مطالبة بدستور ، غير أن هذا الخلاف قد ترك لنا ثروة أدبية طيبة ، فقد أنتج الأدباء والشعراء روائع الأدب وبدائع الشعر فى تأييد وجهات النظر المتباينة ، وترك لنا كتبا عربية وفرنجية (١) أرخت الخلاف ومصادره ونتائجه سواء باللغة العربية أو اللغات الفرنجية ، ومع أن الخلاف كان شديداً جداً بين صحافة العنصرين فان انذار الوطن قد ساء الصحف جميعاً ، وهو موقف نادر بين تلك الصحف وغريب فى مثل هذا الوقت ، ويحمل هذا مكاتب (التيمس) فى ١٧ يناير ١٩١١ بقوله « وقد أحدثت هذه الحادثة حركة كبيرة فى الصحافة المصرية من وطنية وأجنبية ولعل السبب فى ذلك أن سخط الصحافة عام على قانون المطبوعات لأن جرائد مصر مهما تباينت مبادئها واختلفت مذاهبها تتفق على انتقاد هذا القانون وتقييد حرية الصحافة به » .(٢) والأصل فى هذا الانذار أن (الوطن) نشرت مقالات عارضت فيها قرار الحكومة القاضى بطبع بعض الكتب العربية القديمة ، ودارت مناقشات حادة بين (الوطن) والصحف الاسلامية ، وكان من حزب الجريدة القبطية (ذى أجبشيان جازيت) لسان الجالية البريطانية وكذلك اتخذت جانبها (لا بورص أجبسين La Bourse Egyptienne) لسان الجالية الفرنسية ، وسمت إنذار الحكومة للوطن عوداً إلى القرون الوسطى ولا يجوز أن ينعقد مجلس النظار لمثل هذا فى القرن العشرين ، وسار على هذا النهج معظم الصحف الأجنبية مواسية (للوطن) فى محنتها (كلاريفورم) و (ليجبت) نصيرة المسلمين كما يسميها قريافوس فى كتابه (٣) وانتصرت لها أيضا الصحف الاسلامية وعلى رأسها (اللواء) بالرغم من أن الانذار كان نتيجة

---

(١) راجع الوطن فى ٨ ابريل ١٩١٠ ومحفوظات الداخلية دوسيه رقم ٤

(٢) نقلا عن الاهالى فى ١٧ يناير ١٩١١ (٣) أقباط ومسلمون ص ١٠٠ - ١٠٢

لخلاف بينها وبين (الوطن) ، غير أن (اللواء) تحتج على الحكومة وتأبى عليها التدخل فى شئون الصحافة ولو كان تدخلا ينصر الصحف الاسلامية على (الوطن) فان لذلك محاكم وقضاة فى وسعهم أن يردوا الجانى ويعاقبوا المسىء .

وحوالى هذا التاريخ صدر الحكم فى قضية كتاب « وطنيتى » وهو يقضى بسجن محمد فريد بك والشيخ على الغاياتى مؤلفه ، وعلقت الصحف جميعاً على هذا الحكم ولم ترض عنه واحدة منها لأنه « صادر ضد رجل من ذوى الأقلام » وقد استوت فى ذلك صحف المسلمين والأقباط والأجانب (١) وخاصة جريدة (المقطم) التى « شق » عليها « وهاج » عواطفها أن يصدر ذلك الحكم على خصيمها العتيد « وكأن ذلك الخصم القديم قد انقلب فى شعورنا دفعة واحدة إلى صديق حميم » . (٢)

وكان الأمل كبيراً ـ وقد هدأت حدة هذه المحنة وخرج منها الصحفيون كتلة واحدة أمام الاضطهاد الذى عانته صحفهم من الانذار أو التعطيل أو سجن أصحاب الصحف ـ كان الأمل كبيراً فى أن يصفو جو الصحافة حتى تعنى بالمسائل الهامة وتختم تاريخها بالحرب العظمى ختاما طيبا بيد أن الصحف ما لبثت أن عادت إلى خلافاتها فى النظر إلى الشئون العامة ، تمثل (العلم) اتجاهات الحزب الوطنى الرسمية ومن خلفها (اللواء) وبعض الصحف الصغيرة ثم (المؤيد) وتعبر عن رأى حزب الإصلاح وهو حزب شديد الصلة بالقصر ومن ورائها صحف قليلة الأهمية أظهرها (الرقيب) ثم (الجريدة) أخيراً وتنطق باسم حزب الأمة وهو حزب مسالم يرى الأمور فى اتئاد ويرجو السير فى مراحل الاصلاح على مهل .

ويمضى (العلم) فى عنفه وقد أغراه تغيير العميد البريطانى : فقد استطاع جورست بملاينته للقصر أن يفصم عرى الود بين الخديو والحزب الوطنى ويفتت الكتلة الوطنية ويقسمها شيعاً وأحزاباً ويخلق من المسائل الصغيرة ما يدعو إلى انحراف الوطنيين عن جهادهم الرئيسى فى سبيل الاستقلال والدستور ، ظن (العلم)

---

(١) العلم فى ٢٧ يناير ١٩١٢ (٢) المقطم فى ٢٣ يناير ١٩١١

أن تعيين كتشنر بعد وفاة جورست سيبدل الموقف لأن فى خلق هذا العسكرى ما لا يحتمل الملاينة والملاطفة نحو القصر وبطانته ومن ثم تعود الوحدة إلى أصلها والكفاح إلى ذروته فمضى يحمل على الحكومة والانجليز حملات شعواء أهمها مقالته التى نسب فيها إلى الحكومة نكايتها بتركية فى الحرب الطرابلسية وحمل الاحتلال مسئولية هذه القصة (١) فطلب اللورد كتشنر إغلاق (العلم) نهائياً ووقف صحف الحزب الوطنى جميعا كما تقول (المحروسة) (٢) ولم تنف محفوظات الداخلية رواية هذه الجريدة غير أن الخديو وحكومته توسطا فى الأمر فأصدرت الوزارة قراراً بتعطيل (العلم) شهوراً ثلاثة ، لسلوكها مسلك الطعن فى الحكومة بما يحمل الناس على كراهيتها ، (٣) . فأصدر الحزب الوطنى فى ٢٠ ديسمبر ١٩١١ جريدة (الشعب) لساناً له بعد تعطيل (العلم) ، وأصبحت (الشعب) و (اللواء) - وإن اختلفتا فيما بينهما - الجريدتين المتطرفتين فى ذلك الوقت فأما (اللواء) فقد أصدرت الوزراة أمراً بتعطيلها نهائياً بحجة أنها عينت محرراً مسئولا دون أن تحصل على إذن بذلك ولأن بعض رجالها والقائمين بأمرها قد صدرت عليهم أحكام قضائية عقابا لهم على أمور موجبة للاضطراب ومخلة بالأمن العام . (٤) وليست هذه هى الحجة الصحيحة فقد عرفنا (للواء) معارضتها العنيفة غير أن أكثر ماضايق حكومة ذلك الوقت نشرها مقالا لمحمد فريد بك فى العدد ٣٨٤٧ خصص فيه بالذكر إنشاء الدولة لصندوق التوفير واعتبره حيلة لجمع أموال الفلاحين ليستثمرها الانجليز فى البنك الأهلى ، ثم حمل على الحكومة لأنها عرقلت مشروع النقابات الزراعية حتى لا يعرف الفلاح لذة الاتحاد فيطالب بحقوقه المسلوبة ، وذلك بايحاء من الاحتلال ورجاله الذين حابتهم الحكومة هم والتليان وآثرتهم

---

(١) اللواء فى ١٨ ديسمبر ١٩١١ (٢) المحروسة فى ٢٣ ديسمبر ١٩١١

(٣) الرافعى - محمد فريد ص ٢٨٦

(٤) ادارة المطبوعات دوسيه ١١ — ٢ — ١٨٦٠

على تركية فى جميع المواقف الأخيرة . (١)

ومضت الحكومة فى تنفيذ سياسة الشدة مع الحزب الوطنى فقررت فى ٧ نوفبر سنة ١٩١٢ تعطيل جريدة (العلم) - وكانت قد عادت إلى الظهور - تعطيلا نهائيا لأنها نشرت مقالات فى اليوم السابق على التعطيل لمحمد فريد بك عن الحرب البلقانية وما أصاب تركية فيها من الهزائم ، وقد حمل الكاتب الصدر الأعظم مسئولية ما انتهى اليه أمر الحكومة التركية من فساد ورأت الوزارة المصرية أن الكاتب يحمل على صديق الانجليز فى الآستانة فأمرت بوقف الجريدة وقالت فى سبب ذلك « وحيث أن هذه المقالة التى ختمت بالطعن الشديد فى ولاة الأمور العثمانيين الذين ألق عليهم تبعة ما أصاب الجيش العثمانى إنما هى مقالة من شأنها إثارة خواطر المسلمين وإيغار صدورهم نحو ولاة الأمور المذكورين فى هذه الظروف التى تستلزم الهدوء والسكينة وحيث أن هذه الجريدة اعتادت نشر ما يكدر صفو الراحه العمومية فضلا عن أنها لسان حزب اتخذ رئيسه لنفسه خطة التهييج وحيث أنه سبق صدور قرارين بتعطيل هذه الجريدة مرتين الأولى لمدة شهرين بتاريخ ١٩ مارس سنة ١٩١٠ والثانية لمدة ثلاثة شهور بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩١١ فلهذه الأسباب ومحافظة على النظام العام تقفل جريدة (العلم) التى تصدر بالقاهرة من تاريخه » (٢) . وقد أظهر تعطيل (العلم) الخصومة العنيفة التى كانت بينها وبين صحف مصر فى ذلك الوقت وهى خصومة انتهى أمرها بقرار التعطيل ؛ غير أن وداع معاصراتها لها رسم للمؤرخ صورة لمذهب الصحف واتجاهها من حيث وزنها للمعارضة النزيهة والخصومة الشريفة ؛ فأما موقف (الأهرام) فكان موقف الآسف المقدر للجريدة تاريخها وكفاحها (٣) وكذلك كان رأى جريدة (وادى

---

(١) إدارة المطبوعات دوسيه ٥ وهذا المقال حوكم من أجله محمد فريد غيابيا وحكم عليه بالسجن سنة مع الشغل . (٢) نقلا عن الرقيب فى ٨ نوفبر ١٩١٢

(٣) الاهرام ٨ نوفبر ١٩١٢

النيل) (١) وأخذت جريدة (الاكسبريس) على الحكومة هذا العنف فى تعطيل (العلم) وخاصة أنها صحيفة الرأى فى البلد فى أشد الحاجة إلى الصحف المعارضة لافتقاده المجالس النيابية ، واعتبرت تعطيل (العلم) لذلك وهى صحيفة الحزب الوطنى ضررا على الحكومة ورجالها قبل أن يكون ضررا على الشعب نفسه(٢) ثم صدرت (المقطم) بمقال طويل علقت فيه على تعطيل (العلم) معلنة كراهيتها لقانون المطبوعات غير أنها ترى أن إحياء القانون مصدره تصرفات محمد فريد بك وعبد العزيز جاويش وهى توازن بين كراهيتها لهذا القانون وبين تعطيل (العلم) فتميل إلى احتماله إذا كانت تلك آثاره(٣) ثم تشيعها (الوطن) بقولها إنها «أكثر جرائد القطر المصرى انتشارا لأنها لسان الحزب الوطنى وكانت بعض الدوائر تحسب له حسابا وتسرع الى إجابة مطالبه فى كثير من الأحيان ، ثم تعلق على قرار التعطيل «ولكن العلم بطر وأسرف فى الذم وبالغ فى اسراف العداء لسمو الأمير وحكومته» وتوضح موقف الاحتلال بقولها ان اللورد كتشنر «السياسى الفطن والبطل المغوار أطال زمان الصبر والتساهل أيضا »(٤) وتذهب الى هذا الرأى جريدة (الرقيب) فتقرر أن الأغلاق كان عقب مقال لمحمد فريد بك الذى كان «شرا على الحزب وصحفه فى الظعن والإقامة »(٥) ولم يجر فى هذا الاتجاه من الصحف الأجنبية إلا جريدة (La Finance Egyptienne) (٦) (والاجبشين ميل) التى رحبت بتعطيل العلم واعتبرت ذلك «اشارة الى نهاية عهد من آلم العهود فى تاريخ مصر الحديث»(٧) ومنذ أواخر سنة ١٩١٢ أصبحت جريدة (الشعب) لسان حال الحزب الوطنى وتولى رياسة تحريرها أمين الرافعى بك وهو من خيرة صحفيى الحزب الوطنى ورجال الصحافة المعدودين، وقد وقفت جريدة (الشعب) عن الصدور فى ٢٧ نوفمبر

(١) و (٢) و (٣) وادى النيل فى ٩ نوفمبر والاكسبريس فى ١٠ نوفمبر والمقطم فى ٧ نوفمبر ١٩١٢

(٤) الوطن فى ٨ نوفمبر ١٩١٢ (٥) الرقيب فى ٨ نوفمبر ١٩١٢

(٦) لافينانس اجيبشين ٩ نوفمبر ١٩١٢ (٧) الاجبشيان جازيت ٨ نوفمبر ١٩١٢

عام ١٩١٤ احتجاجا على رقابة الحكومة العنيفة للصحافة المصرية ، ومنذ اعتبار الشعب لسانا للوطنيين الى يوم احتجابها وهى فى كفاح مستمر مع الحكومة التى هددت بتعطيلها اذا نشرت مقالات محمد فريد التى كان يرسلها من أوربا (١) ولم تقو الصحف الوطنية الحامة على أداء وظيفتها منذ سفرت الحكومة فى محاربة الصحافة حربا لا هوادة فيها ، وتقرر ذلك جريدة (الشعب) فتؤكد أن إرهاب قانون المطبوعات ضيق على الصحف فأخذت خوفا منه تصور الرأى العام صورة مشوهة كما أنه جعل الصحافة الإسلامية فى تناقص وزاد فى الجرائد القبطية (٢) وكان من أهم الصحف الوطنية الباقية جريدة (المؤيد) التى اتجهت الى المسألة العثمانية منذ أصبحت شركة مساهمة (٣) ومضت تنشر المقالات عن المسألة الشرقية بقلم السيد رشيد رضا (٤) وقد وقف محررها قلمه على الحملة على المسيحيين فى الجيش العثمانى بعد حرب البلغار (٥) وأخيراً تنحى عنها الشيخ على يوسف فى سنة ١٩١٣ بعد أن عين شيخاً للسادة الوفائية وبيعت أدوات (المؤيد) وختم تاريخه الحافل فى ١٧ ابريل عام ١٩١٦ (٦) ولم تبلغ مصر الحرب العظمى حتى كانت صحف الأحزاب الثلاثة قد تعطلت إما بفعل الحكومة كما هو ظاهر من ختام حياة (الشعب) أو بتنحى رجالها عنها كما حدث فى (المؤيد) أو لاضطراب فى ماليتها وإيثار محرريها وظائف الحكومة كما دات عليه حال (الجريدة) إذ ذاك ، ولم تعش الصحف الأخرى وأهمها (الأهرام والمقطم) فى القاهرة (والأهالى والبصير) فى الاسكندرية إلا بما اصطنعت من مسايرة الظروف حتى مرت الحرب العظمى وبدأ التاريخ يخط صفحة جديدة فى حياة الصحافة المصرية .

---

(١) الرافعى . محمد فريد ٣٤٠

(٢) أغلقت ست صحف ولم ينشأ على أنقاضها إلا صحيفتان قبطيتان هما (الرقيب والاقدام) راجع الشعب فى ٨ مايو ١٩١٢ (٣) المؤيد فى ٢٧ مارس ١٩٠٩

(٤) المؤيد فى سنة ١٩١١ وخاصة مقالته فى ١٨ أكتوبر ١٩١١ وقد ترجمتها الصحف الفرنجية

(٥) المؤيد ٥ نوفمبر و ٦ ديسمبر ١٩١٢ (٦) محفوظات المطبوعات دوسيه رقم ٣ مكرر

ويجدر بمن يؤرخ للصحافة المصرية منذ الاحتلال إلى قيام الحرب العظمى أن يذكر بعض المسائل العامة التى اتسمت بها صحافة ذلك العهد، وهى صحافة استكملت أسباب النضج من حيث الشكل والموضوع معاً، فقد مكن لها اختلاف السلطات على تناول الحكم فأصبحت صحافة أصيلة تمثل حزبا من الأحزاب أو رأياً من الآراء. غير أن أساطين الرجال العاملين فيها كانوا جميعاً من أبناء المدرسة القديمة، حديثى السن منهم أو الطاعنين فيها، الدارسين للثقافات الغربية أو العالمين بآداب العرب وعلومهم وحدها، فقد كان مصطفى كامل وعلى يوسف وغيرهما فيما خلا محررى (الجريدة والأهرام) يربطون بين حرية مصر واستقلالها وحرية تركيا وآمالها، تغلب على اتجاهاتهم وميولهم النزعة الدينية، وقد يكون الأسلوب السياسى وحده هو الذى جعل مصطفى كامل يظهر بهذه الصورة التى شرحناها، أما غيره من الصحفيين ورجال الرأى الذين عملوا على توثيق الروابط المصرية التركية فكانت تلك عقيدتهم التى أخذت على مداركهم كل تفكير أو تحليل أو تقدير، بيد أنهم خلقوا فى جو الصحافة جديداً لم يكن معروفا من قبل ذلك نشر الصحف عن طريق الشركات والجماعات (كاللواء والمؤيد والعلم والجريدة) فى وضع يشبه كثيراً ما اتبع فى كبريات الصحف الأوربية، وارتبط هذا بإنشاء الأحزاب فأضحت أهم الصحف الحزبية وهى جرائد تمثل الفكرة أوضح تمثيل وقد انتشر أثرها على الجماهير فى مصر فتحزبوا لها واعتبروها مرآة لهم يرون فيها آمالهم وأحلامهم، وكانت الصحف الحزبية تقرأ فى العالم العربى بل فى العالم الإسلامى وتستقبل فى العالمين استقبالا حسناً، كما تولت بعض الهيئات إصدار الصحف كما صنع الأزهر فى مجلته الغنية بالبحوث الأخلاقية والموضوعات الدينيـــة.

وشهد ذلك العهد الصحافة المصورة الهازلة منها والجادة، حافلة بصور الحوادث والأشخاص معلقة على أحداث مصر السياسية والاجتماعية شعراً ونثراً وزجلا، غنية بالنكتة الرائعة والسخرية اللاذعة. ويؤثر عن هذا العهد جديد فى العاملين

فى الصحافة فقد ألقيت شئونها منذ أنشئت فى مصر إلى الرجال وحدهم وقلما كانت تطالعنا سيدة بمقال أو حديث إلى أن نزلت إلى ميدانها المصريات فأنشأن أربع عشرة مجلة نسائية فى مصر والاسكندرية، وفى ذلك إيماءة إلى تغير الأحوال وتخلص الجيل من تزمته .

وللصحافة المصرية فى ذلك العهد أثر غير منكور فى إحياء اللغة العربية وآدابها فى شعب يتحدث سادته اللغات الأجنبية ويفرض المحتل لغته عليه ويقدمها على سائر اللغات فيجعلها ضمن أدوات حكمه فى الدواوين والمدارس بجانب المعاهد الأجنبية المختلفة التى جعلت اللغة العربية فى المحل الثانى أو الثالث، وقد استطاعت اللغات الفرنسية والانجليزية والايطالية أن تنتزع من اللغة التركية سيطرتها الأولى ولم تملك القضاء على اللغة العربية التى أحيتها وقوتها الصحافة بانتشارها ومجادلاتها فى المسائل السياسية والاجتماعية والدينية وهى مسائل اتصلت بكل موضوع سواء فى الأدب أو العلوم أو القانون . ولم تعد الصحافة كما كانت من قبل ذيلا لأفراد يمثلون فكرة من الأفكار فهى تحمل على الإنجليز كما تحمل على الخديو وأخذت الجهات الرسمية جميعاً تترضاها وتتوخى محاسنتها بالتأييد الأدبى أو المادى أو تحاربها بالقوانين واستبدادها .

ويعتبر عهد عباس الثانى أعظم عهود الصحافة المصرية فى تاريخها إلى الحرب العظمى؛ لأن مناصرته لها ولرجالها نشأ عنها نشاط أدبى منقطع النظير، فإلى عهده يرجع سجال الصحف فى الآداب والاجتماعيات، وفى عصره عرف شوقى وحافظ وغيرهما من الشعراء والناثرين، بل من بينهم من كان فى معيته وركابه ومن عاش فى عطفه وبره ونشرت له الصحف أفضل المقالات وأروع القصائد، وفى عصره نشأت فئة من الشباب كان لها فى الميدان الصحفى بعد الحرب أبعد الأثر وهؤلاء من تلامذة صحف عباس الثانى وطلابها المجيدين .

وكانت الصحف المصرية تنحرف عن الجادة بين آن وآخر فى ذلك العهد انحرافا يعطل القضية المصرية، فكانت تشغل أحيانا بالمسائل الشخصية كقضية

الزوجية أو قضية القبط والمسلمين وتنشر من التعبيرات فى مساجلاتها الحزبية ما أثر فى جيلنا ، وكانت هذه المهاترات الصحفية من أقبح ما ورث عن جيل الاحتلال . وقد نجحت الصحافة المصرية فى علاج الصدمة التى لقيتها مصر من الاحتلال ، فقد ردت الأمن إلى النفوس وخرجت بالناس إلى الوجود وعلمتهم أن الهزيمة تاريخ لا ينبغى أن يعيشوا فى أعطافه وأن الاحتلال شىء لا ترضاه الشعوب الحرة وأن ما فشلت فيه القوه الحربية تستطيعه القوة المعنوية الكامنة فى الأمة المصرية ، وأن الحياة ليست ملك الأرض والتفنن فى الطعام بل هى شىء أغلى من الأرض والطعام ، وأن إصلاحات الانجليز رد للحقوق إلى أصحابها وليست عملا يفرض الاحتلال أو يمكن له ، فآمن الناس بأنه شىء بغيض ورأوا أن نظمه وأدواته عمل رجعى لا يحتمل ، حتى فكر الانجليز آخر الأمر فى تغيير الأساليب القديمة وإنشاء الجمعية التشريعية خطوة لما بعدها ، وكان الأمل عريضاً فى نجاح للصحافة أبعد من هذا لولا أن الحرب العظمى عاجلت المصريين فحدت من نشاط الأقلام وختمت جهاد الصحافة على الصورة التى شرحناها بعد ثلاثين سنة من الجهاد .

الفصل الثامن

الصحافه المصرية المعاصرة

يبدو أن الحديث عن الصحافة المصرية المعاصرة سابق لأوانه ، فالزمن لم يتقدم بنا بعد لنستطيع الحكم على عمل هذه الصحافة ، ولا يستطيع المؤرخ الذى يعاصر عهداً من العهود أن يخلو تأريخه لهذا العصر من الملاحظة والنقد لأنه لا يملك تجريد نفسه من بعض المؤثرات التى قد تشوب تاريخه عفواً أو قصداً وإن كان فى ميسورنا أن نختم تطور الصحافة المصرية العربية فى إيجاز لا يعرضنا للمؤاخذة أو يضطرنا إلى التفصيل .

اعتبرت مصر تحت الحماية البريطانية فى الحرب العظمى منذ ٢ نوفمبر عام ١٩١٤ (١) فلم تعد الصحافة المصرية قادرة على أداء وظيفتها إذ خضعت لرقابة الرقيب ، ثم أعلنت الهدنة وأخذ المصريون يطالبون بحقهم فى الحياة الحرة المستقله وأثر عن هذه المطالبة بحقوق مصر أن تألف الوفد المصرى برياسة سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ، وكان موقف الصحافة المصرية إذ ذاك موقفاً حرجا دقيقاً ، غير أن أمينا الرافعى استطاع فى وقت الضيق الذى نزل بصحافة مصر أن يصدر صحيفة (الأخبار) فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠ وهى أهم وأخطر صحف ذلك العهد من حيث تحريرها أو تعبيرها عن الأمانى المصرية ، وصاحبها رجل حنكته التجربة الصحفية وله فى تاريخ الصحافة المصرية مواقف قلما وقف إلى جانبه فيها صحفى من الصحفيين المعارضين ، وقد قطع حياته الصحفية مثلا من

---

(١) الوقائع المصرية — عدد خاص — فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٤

أمثلتها الرائعة سواء أكانت قبل الحرب العظمى أم بعدها . وقد حملت (الأخبار) لواء الفكرة الوطنية ، وزاملتها (الاهرام) بعد وصول لجنة ملنر فى ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ . فخرجت عن تحفظها ومضت قدماً إلى الجانب المصرى تعبر عن الأمانى المصرية أحسن تعبير ، وقد أطلقت حرية الصحافة بالرغم من القيود المفروضة عليها ، وأكبر الظن أن لبعثة ملنر Milner دخلا فى تقرير هذه الحرية التى بدونها يعز على هذه البعثة فهم الموقف على حقيقته ، وقد أشار تقرير ملنر إلى ذلك كله (١) . ثم صدرت جريدة (الاستقلال) لمحمود عزمى فى مايو عام ١٩٢١ وحرر فيها طه حسين وكانت الصحيفة خالية من العنف الذى أثر عن جريدة (الأخبار) ، وقد نقل امتيازها فيما بعد إلى جبرائيل تقلا صاحب (الأهرام) وقد ظهرت الاستقلال فى فترة وجد الخلاف فيها بين الوطنيين على مسائل تتصل بالمفاوضات .

ومنذ اختلاف الوطنيين على تفاصيل الحركة الوطنية ، وتوزع طرائق النظر إلى الأهداف العليا بدأ المصريون يؤلفون الأحزاب والشيع ، فكان هناك الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول وكثير من أعضائه كانوا أعضاء فى حزب الأمة القديم ونشأ حزب الأحرار الدستوريين من بعض أعضاء هذا الوفد ، وأصدر هـذا الحزب جريدة (السياسة) فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ورأس تحريرها محمد حسين هيكل وهى من أنضج الصحف المصرية من حيث دراستها للمباحث الداخلية والمسائل الخارجية ، وقد حرر فيها نخبة من الكتاب المصريين كطه حسين ومحمود عزمى وتوفيق دياب وغيرهم . وعن جريدة (السياسة) تؤثر نشأة التجديد فى حياتنا الاجتماعية فقد دافعت عن المرأة وجعلت موضوعها حديثاً يشغل بعض صفحاتها كما أفردت لها بين آن وآن صحيفة مصورة تعنى بمسائلها المختلفة ، وعن هذه الجريدة عرف التهكم السياسى إن صح التعبير فى مقالات الدكتور طه حسين ، كما ظهر النقد

---

(١) Report of the Special Mission to Egypt, December 9, 1920

البرلمانى عندما أصبحت الحياة الدستورية حقيقة واقعة وكان صاحب هذا الباب الجديد فى الصحافة المصرية الدكتور محمود عزمى عدا الأبواب الأخرى التى حفلت بها ، فقد عنيت بالقصة وموضوعها ، وخصصت بين الفينة والفينة صفحة للشئون الزراعية ومسائلها المتباينة ، وبهذا وبغيره كانت (السياسة) من أولى الصحف التى عرفت كيف تشغل المفكرين المصريين بمناهجها الجديدة . وقد أخذت لجنة الثلاثين فى وضع الدستور عقب تصريح فبراير سنة ١٩٢٢ وهو الدستور الذى لا يزال معمولا به والذى يرضيه الأحزاب جميعاً وإن كان الوفديون قد حملوا عليه إذ ذاك ، ولم يرض عن التحفظ فى بعض مواده كثير من الأحرار الدستوريين ولم تعجب بعض مواده الأخرى المحافظين والجامدين وكانت الصحافة المصرية تمثل هذه الاتجاهات جميعاً ، وقد منحت من الحرية ـ بالرغم من الأحكام العرفية ما مكنها من شرح هذه المسائل الدستورية ونقدها ، ولعل مسألة الدستور كانت أهم الموضوعات التى حظيت ببحث الصحافة ورجالها منذ ثورة سنة ١٩١٩ .

وإذا كانت (السياسة) جريدة الأحرار الدستوريين ولسانهم المعبر عنهم فإن الوفد لم تكن له صحف رسمية بل كانت له صحف وفدية من أهمها جريدة (البلاغ) لصاحبها عبد القادر حمزة (باشا فيما بعد) وقد صدرت فى سنة ١٩٢٣ «جريدة يومية سياسية أدبية تجارية ، تتمثل بكلمات لسعد زغلول وتحمل على السياسة الانجليزية فى مصر وتمثل التطرف السياسى ، وساهم فى تحريرها الأستاذ عباس محمود العقاد أحد رجال الأدب المجودين وأحد طلائع المدرسة الصحفية الحديثة وقد جعل للناحية الأدبية فى كتاباته حظاً موفوراً ، ونشر فيها محمد نجيب الغرابلى بعض القصائد فى المناسبات العامة . ثم صدرت جريدة (كوكب الشرق) صحيفة وفدية فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ فآخت (البلاغ) فى اتجاهها الحزبى وأعلن صاحبها أحمد حافظ عوض يوم صدورها خطة صحيفته بأن شعارها سيكون «كما كان شعار الصحف التى سعدت بتحريرها والانتساب اليها العمل المتواصل لتحقيق الأمنية الوطنية العظمى ، ألا وهى استقلال مصر والسودان استقلالا تاما

صحيحا وستبقى هذه الغاية نصب أعيننا إلى أن نفوزبها أو نموت دونها ..... ولنا مع هذه الغاية الوطنية المصرية أغراض وغايات أخرى يجب أن تكون لها عندنا أهمية عظمى وتلك الأغراض وهاتيك الغايات هى العمل الدائم على شد أواصر الرابطة الإسلامية خصوصاً، والشرقية عموما، والوسيلة إلى ذلك يقول، نشر العلوم والمعارف العربية وآثار المدنية الإسلامية والاحتفاظ بالمميزات الشرقية، ولكن الكاتب بعد هذا يفجأ العالم الإسلامى باتجاه جديد لا يتفق مطلقا مع مدرسته الصحفية والسياسية القديمة اللتين نشأ فيهما فهو يذهب إلى قطع الروابط الإسلامية ويرفض، الوطنية الإسلامية ذلك المذهب البالى الذى كان يدعو اليه بعض الزعماء فى الأزمان الماضية على قاعدة أن الإسلام لا وطن له وأن بلاد المسلمين كلها وطن واحد ودولة واحدة وأمة واحدة، ويدلل على فساد هذا الرأى بأن لكل بلد شرقى سياسة وظروفا خاصة.

ومنذ صدور الدستور المصرى فى سنة ١٩٢٣ انقسم المصريون شيعاً وأحزابا فهناك الوفد وصحافته وأهمها (البلاغ) و (كوكب الشرق) وهناك الأحرار الدستوريون وصحيفتهم (السياسة) ثم تألف حزب جديد عقب مقتل السردار فى سنة ١٩٢٤ هوحزب الاتحاد وأنشأ له صحيفة لم يؤثر عنها فضل ينشر أوخطر يذكر ثم وجد حزب الشعب فى سنة ١٩٣٠ وأصدر صحيفة (الشعب) وزاملت فى الخمول جريدة (الاتحاد). ثم أخذت الأحداث تجرى على غير نظام ثابت فيوما تتمتع الصحف بحريتها ويوما تضطهد اضطهاداً منقطع النظير، وفى خلال ذلك صدرت جريدة (الجهاد) لمحمد توفيق دياب صحيفة وفدية للصباح ثم زاملتها جريدة (روز اليوسف) إلى أن اختلف محررو هاتين الصحيفتين الوفديتين مع المسئولين فاستعيض عنهما بجريدة (المصرى) لأصحابها محمود أبو الفتح ومحمد التابعى وكريم ثابت وبعد سنة ١٩٣٨ انفرد بها أبو الفتح وأشرف الوفد المصرى على سياستها على أن تكون لسانا له وهى أول صحيفة رسمية لهيئة الوفد منذ تكونت. وكان بجانب هذه الصحف اليومية صور منها أسبوعية فقد أصدر

الأحرار الدستوريون (السياسة الأسبوعية) فى ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ فى ست عشر صفحة كبيرة للآداب والعلوم والتاريخ والقانون والسياسة المصرية والشرقية والدولية ، كما وجدت بها صور رمزية وقسم مصور لأهم الحوادث والأشخاص ، ومن أمتع ما رأيناه فيها باب «فى المرآة» للشيخ البشرى وسار على هذا الدرب (البلاغ) فأصدر صاحبه (البلاغ الأسبوعى) فى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦ وهو تقليد (للسياسة الأسبوعية) وكان من أهم محرريه عباس العقاد ومحمد السباعى والأستاذ صبرى أبو علم أفندى والأستاذ محمود سليمان غنام أفندى فى حجم أصغر من (السياسة) وإن صدر فى ثمان وعشرين صفحة ولكنه تميز بصوره الكاريكاتورية البديعة .

ثم صدرت فى مطلع الحركة الوطنية صحيفة تأثرت أبا نظارة هى (الكشكول) المصور لسليمان فوزى وكانت «جريدة مصورة اجتماعية انتقادية» عرفها المصريون فى ٢٤ مايو عام ١٩٢١ وكانت مثلا طيباً للصحافة الهزلية وعاصرت التطور السياسى فى مصر إلى أن قضى صاحبها منذ سنوات وعن مدرسته صدرت (روزاليوسف) (وآخر ساعة) وما اليهما من المجلات المماثلة .

ولم تعمر (السياسة الأسبوعية) أو (البلاغ الأسبوعى) طويلا فقد احتجبتا حين طغت السياسة على مصدريهما فشغلهم النشاط فيها ، فأصدر أحمد حسن الزيات فى ١٥ يناير سنة ١٩٣٣ مجلة (الرسالة) باشتراك طه حسين وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر وكانت خطتها «ربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب» . وفى سنة ١٩٣٦ أصدر الدكتور محمود عزمى صحيفة (الشباب) صحيفة مستقلة الرأى بعيدة عن الأحزاب غير أن صاحبها مزج فيها بين السياسة وألوان الثقافة الأخرى وأشرف بطابعه الخاص على أكثر فصولها وكادت هذه الصحيفة تسد الفراغ بعد (السياسة الأسبوعية ، والبلاغ الأسبوعى) لولا أن العقبات المالية والأحوال السياسية حالت دون استمرارها فطويت صفحاتها وشغر تاريخ الصحافة المصرية من نظير لها حتى اليوم . ثم انفردت لجنة التأليف بصحيفة خاصة بها هى مجلة (الثقافة) التى صدرت فى ٣ يناير عام ١٩٣٩ لصاحب امتيازها أحمد أمين وذكرت أنها «تتقدم للعالم الشرقى مؤمنة بقدرتها بنفسها وبأصدقائها شاعرة بتبعتها مقدرة لواجبها واثقة بقرائها» .

٭ ٭ ٭

ويستطيع المؤرخ أن يلم بنشاط الصحافة المصرية فى هذه الحقبة ويوضح اتجاهها جملة فقد رأينا أن الصحافة المصرية دعت إلى أن تعمل مصر لتحقيق مصالحها الخاصة ولا ترتبط بأمة من الأمم فلم تشر إلى تركية أو تتجه إلى فرنسا بل جعلت دأبها خلق رأى عام ممهد خير تمهيد يعتمد على نفسه فى تحقيق آماله لذلك كان فضل الصحافة عظيما فى هذا الميدان ، وإذا كانت الصحافة الوفدية قد تكفلت بالقسط الأكبر من الحركتين الدستورية والاستقلالية وكان لها فى ذلك أخطر الأثر من غير شك ، فإن صحافة الأحرار الدستوريين شغلت الرأى العام بالنواحى العلمية والاجتماعية وبكل رأى حر وأثارت حفيظة الرجعيين عليها وأبت أن يستبد هؤلاء الرجعيون بكل فكرة جديدة ، وقد أثر عنها وعن رجالها أزمات لا تزال الذاكرة تحفظها ، فقد أثار تعصب المحافظين نظرية قال بها عالم من العلماء هو « على عبد الرازق » الذى انتهى فى بحثه عن الخلافة إلى ضرورة فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية ، واشتد النزاع بين صحافة الأحرار وبين حكومة ذلك الوقت ، وانتهى الأمر باستقالة الوزارة نفسها ونشأت أزمة دستورية مصرية أعقبها ائتلاف الأحرار مع الوفد ، وكذلك حمت صحف الأحرار الدكتور طه حسين من الحكومات وبطشها حين نشر مؤلفه عن الشعر الجاهلى ، وكاد أمر طه حسين يفصم الائتلاف بين الحزبين الرئيسيين فى سنة ١٩٢٧ . وبهذا لفتت جريدة (السياسة) المصريين إلى مسائل لا تتصل بالأمور السياسية وحدها كما صنعت سياسة الوفد ، ولا شك أن الموضوعات التى أثارتها والقضايا التى وكلت بالدفاع عنها كانت موضوعات وقضايا تترجم عن أصحاب الفكرة الحرة فى مصر وهى موضوعات وقضايا قرأها الشرق الأدنى ، وليس يعنى المؤرخ أن يرفض هذا الشرق المتزمت هذه النظريات الجديدة أو يقبلها وإنما نقرر أن الشرق الأدنى قد أحس أن جريدة (السياسة) ومحرريها يذيعون أشياء لم يعتدها المصريون من قبل . وكان بجانب السياسة فى الشق المعارض من المحافظين الشيخ رشيد رضا

ومناره فقد نجح (المنار) فى شمال أفريقية وذاع أمره وانتشر فى تلك الجهات انتشاراً مكن للفكرة الاسلامية ، وقد دأب (المنار) على نشر الفتاوى الاسلامية التى جاءته من جزر الهند الهولندية الشرقية وأعماق إفريقية وهذا مصدر من مصادر النفوذ الأدبى المصرى لم يحسه المصريون فى مصر ولم يقدروه حق قدره . وإذن لم يستطع المصلحون من الأحرار أن يحتكروا وحدة العلاقات الخارجية بل ساهم المحافظون فيها من أمثال رشيد رضا وأحمد زكى باشا .

والصحافة المصرية المعاصرة تتميز بفضل لاشك فيه ، فقد لعبت دوراً عظيما فى إحياء الأدب العربى فى الصحف اليومية والصحف الأسبوعية والشهرية . فقد حفلت هذه الدوريات بخير ما أنتج حافظ وشوقى من شعر ونثر وفتحت صدرها للبحوث العلمية والأدبية ونوعت فى هذه النواحى الثقافية فأشاعت القصة فيها ، وأخذت عن الصحف والكتب والمجلات الغربية خير مافيها ، وعرضت بذلك للأدب العربى فرصة احتمال ما لم يكن يحتمله من المعانى الجديدة وبرهنت على أن اللغة العربية قادرة على أداء وظيفتها بين اللغات الحية ، وللصحافة المصرية المعاصرة فضل غير منكور فى تطور الصحافة فى البلاد العربية المختلفة إذ اتخذتها مثلا لها وحاولت السير على أثرها كما نقلت عنها أهم المقالات فى السياسة والأدب والاجتماع وقد احتضنت الصحافة المصرية كثيراً من الشخصيات الموهوبة حقاً التى أفادت فى تنوير الرأى العام وتقويم آرائه . والصحافة المعاصرة هى التى أظهرت مصر بمظهر البلد الذى لا يقنع بأن يكون قلب العالم العربى بمركزه الجغرافى وحده بل إنه قلبه بالفكر وبالاهتمام الدائم بكل جديد على الرغم من الأزمات المختلفة فى حياته السياسية والاقتصادية .

ويجب أن نخص القاهرة بفضلها الصحفى فهى أكثر المدن المصرية احتفاء بالصحافة والصحفيين ، تجاوزت جرائدها مائتى جريدة عربية وأكثر من ستين صحيفة فرنجية على حين لم تبلغ صحافة الأقاليم تسعين صحيفة من بينها صحف الموانى المصرية وهى قليلة إذا قيس عددها الضئيل بعدد السكان الكبير ، وهذا

مما يثبت قدرة القاهرة على تغذية البلاد من الناحية العقلية .

وإذا أردنا أن نعطى صورة لأنواع الصحافة المصرية المعاصره فيجب أن نذكرها فى ألوانها التى تخصصت لها ، فنجد فى صحف مصر كما هى الحال فى جميع صحف العالم جرائد يومية كبيرة للأخبار تظهر فى الصباح والمساء ، وعلى رأس هذه الصحف جريدة (الأهرام) لتاريخها القديم وتنظيمها الرائع وشهرتها فى مصر وخارجها ، ثم نجد بجانب (الأهرام) أو (المقطم) صحفاً تطبع لمصلحة حزب أو أحزاب مختلفة وذلك لإقناع الرأى العام برأى هذه الأحزاب ، وهى أحيانا واسعة الانتشار لها أثرها فى المدن . وهناك صحافة أسبوعية أو نصف شهرية ليست لها صبغة سياسية خاصة أو ثقافية خاصة ، وهذه الصحف رائجة السوق مقروءة فى معظم البيئات لأنها تعنى بالمودة والسينما والروايات البوليسية والراديو والألعاب الرياضية وغير ذلك من النواحى التى تلذللجمهور المصرى مطالعتها ، ويتجه بعض هذه الصحف إلى الشباب والبعض الآخر إلى العالم النسائى وهذا النوع من الصحافة المصرية لا يصدر إلا باللغة العربية وله نشاطه المعروف ولا يقل شأنا عن الصحافة الأوربية فى هذا الباب . وإذا أغفلنا الجرائد ذات الطابع الصحفى الخاص نصل إلى طائفه ليست خاصة بمصر وحدها ونعنى بها المجلات الأدبية والعلمية الكبرى مثل الهلال والمقتطف ، ولا شك أن سهمها أعظم بكثير من سهم زميلاتها فى أوربا ، ويرجع ذلك إلى الأثر الملحوظ لها فى النهضة الأدبية والفكرية ، كما تتميز بالتنظيم الرائع فى حياتها الصحفية وتعتبر (الهلال) مثلا طيباً لهذا التنظيم . فالهلال عبارة عن أسرة كبيرة منظمة تضم دورا ثلاثا اذا اجتمعت لأى صحيفة كان نصيبها قطعاً الرواج والانتشار ، لها هيئة تخصصت للون من التحرير ، ولها مطبعة على أحدث طراز ثم لها دار للنشر والتوزيع ولها فوق ذلك حظ موفور من تأييد جمهور الأدباء والكتاب المشهورين . والهلال كبيت للطبع والنشر يشرف على عدة مجلات من أهمها (المصور) ويعنى بحياة الأبهاء (الصالونات) ويصور الحياة الاجتماعية ويمس الشئون السياسية باعتدال

وكذلك تصدر عن هذا البيت الصحفى مجلة (الاثنين) وهى تشبه من قريب (مجلة المصور) وتضيف القصة القصيرة إلى صفحاتها كما خصصت جزءا منها للسينما والمسرح والصور الكاريكاتورية ، وقد أصدرت دار الهلال صحيفة (Images) باللغة الفرنسية وهى مصورة كزميلتيها السابقتين وصدى لهما فى بيئة الأجانب فى مصر ، وإذا تخصص لمجلات الهلال كتاب محترفون فإن (الهلال) نفسه لا يحرر إلا بمقالات يؤجر عليها الكتاب المعروفون فى مصر والشرق العربى

وإلى جانب الصحافة الأدبية التى جعلنا دار الهلال مثلا لها فى الإنتاج والإخراج توجد الصحافة الفكاهية والصحافة النسائية أما الأولى فصحافة مصورة وهى صحافة مذهب وعقيدة وهى دائما إلى جانب المعارضة ومعارضتها أشد ما تكون خطراً وأثراً ، وهى تستعمل اللهجة المصرية الخالصة وللغة العامية حظ كبير فيها، وهنا موضع الخطر فان استعمال بعضها للغة الغالبة فى الحياة المصرية يجعل قراءتها ميسورة على جميع الناس ويصبح أثرها عميقاً فى الجموع الشعبية ، وهى صحف لا تروج فى أوقات الهدوء السياسى بل يغلب نشاطها وازدهارها كلما تحرجت الحياة السياسية . أم الصحافة النسائية فهى أيضا قد نشأت صحافة رأى ومذهب ، وكان التفكير فى إنشاء مثل هذه الصحف غريبا على العقلية المصرية التى حجبت المرأة أجيالا عن الحياة العامة وحالت دون تعليمها وقد دافعت الصحف المعاصرة عن حقوق الفتاة المصرية فى التعليم وغيره من مظاهر الحياة الرفيعة ، غير أن المرأة حاولت مرارا أن تأخذ على عاتقها حق الدفاع عن كيانها ومهدت لها الحركة الوطنية ذلك الأمر بعد أن ساهمت بنصيب ملحوظ فيها ، وقد ظهرت فى عالم الصحافة النسائية (فتاة الشرق) للبيبة هاشم و (حواء الجديدة) لروز حداد و (المصرية) للسيدة هدى شعراوى ، ولكن هذه الصحف جميعا أصابتها أزمات اقتصادية متصلة فعجزت عن الصدور ولكن نجاحها يتمثل فى الحقوق التى اكتسبتها الفتاة المصرية فى التعليم وبعض وظائف الدولة .

* * *

عرضنا في هذا الفصل وفي الفصول السابقة التفاصيل التي اتصلت بنشأة الصحافة المصرية وتطورها، عرضنا لهذا التاريخ وخلصنا من هذا العرض ببضع حقائق ذكرناها في موضعها، ويجدر بنا ونحن نختم هذا البحث أن نقرر ثلاث مسائل صاحبت الحياة الصحفية في جميع مراحلها. فأول مايؤكده لنا تاريخ هذه الصحافة أنها عاشت في أعطاف فكرتين: الحركة العربية والقومية المصرية، ولم تسبق الأولى الثانية أو تغطى عليها قط، فالصحافة الرسمية في عهد محمد على إما صحافة لمصر وحدها أو صحافة لمصر وتركيا معاً وكذلك كان الأمر في تلك الصحافة في عهد الخديو اسماعيل وإن غلبت الفكرة المصرية فيها كل فكرة أخرى، ثم لاحظنا أن الصحافة الشعبية مزجت بين القومية العربية والقومية المصرية وخاصة في أواخر عهد اسماعيل وطوال حكم توفيق ويصور هذا الاتجاه أديب اسحق وأقرانه من الصحفيين المتمصرين، ويرى الشيخ محمد عبده هذا الرأى في العروة الوثقى وإن جعل مصريته أكبر من عربيته، ثم هدأت هذه النعرة بعدئذ، وإن بقيت بعض الصحف المصرية واضحة الميول نحو الفكرة العربية، وخلا هذا التفكير من صحافة الحزب الوطني الذي زاوج بين الأماني المصرية والتركية وأنكر فكرة العروبة في مجهوداته لأنها تتعارض مع السلطنة العثمانية. ثم عادت فكرة العروبة في الصحافة المصرية بعد الحرب العظمى غير أن القومية المصرية كانت شيئاً لا يقاوم ولا يغلبه أى معنى من المعاني الأخرى، وأصبح الصحفيون الأحرار لا يرون مصر جزءاً من البلاد العربية بل جزءاً من الشرق الأدنى له الصدارة التي لا يدانيها شعب من الشعوب الشرقية، وذلك لجهاده الطويل الشاق ومكانه المقدور له في الحياة الدولية العامة.

والمسألة الثانية التي تتميز بها صحافة مصر أنها عاشت صحافة رأى ومذهب ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية اتجاه التشريع الخاص بها إلى التزمت والتضييق وهذه الاضطهادات التي لقيتها منذ نشأتها إلى اليوم وهي كثيراً ما فنيت في مذهبها وصرعت لرأيها، ولعلها من هذه الناحية تفضل صحافة بعض الدول الغربية التي

سيطرت عليها تيارات خفية من الرشا وشراء الضمائر، غير أن المصاعب المالية — وهى نقطة الضعف فى صحافتنا — لم تبق على كثير من الصحف الحرة التى تزين تاريخ الصحافة المصرية. وقد بقيت صحافتنا قوة ينكرها الأجانب فى مصر والخارج، وأكبر الظن أن هذه النظرة إلى الصحافة المصرية قد تغيرت بعد الثورة العرابية وآية ذلك أن (العروة الوثقى والمؤيد) وصحف الحزب الوطنى أفسدت على الانجليز هدوءهم فنعوا دخولها جميعاً فى السودان أو فى مستعمراتهم المختلفة، وكذلك كان موقف فرنسا وإيطاليا منها فى إيالاتهما المتباينة، وهى قوة لاشك فى قدرها إذا علمنا أن صحافتنا المصرية تقرأ فى بلاد الشرق الأدنى أكثر مما تقرأ صحافة تلك البلاد، وفى ذلك ما يؤيد قوتها ويعلن خطرها. والمسألة الثانية التى لاحظناها فى الصحافة المصرية أنها بالرغم من تقدم الزمن بها واتساع أفق النشاط أمامها لا تزال صحافة تعنى بالمقال السياسى. ومصدر هذا فيما نعتقد تسلط الروح الحزبى عليها ففقد الخبر مكانه وطغى المقال عليه، وهنا تبدو الفروق واضحة بينها وبين الصحافة الغربية التى قد تنوع فى مقالها ولا تقصره على ناحية من النواحى مهما تغل فى حزبيتها بيد أنها تقدم الخبر عليه وتحله محل الصدارة من نشاطها وجهدها.

الفصل التاسع

تاريخ الصحافة الفرنجية فى مصر

تبدأ الصحافة الأجنبيـــة فى مصر بالاحتلال الفرنسى للديار المصرية فى سنة ١٧٩٨ وقد نقلت الحملة الفرنسية معهاعدة مطابع ونشرت صحيفتين إحداهما صحيفة إخبارية سميت (لوكوريبه دوليجبت Le Courrier de L,Egypte) صدرت فى ٢٩ أغسطس ١٧٩٨ فى حجم كتاب وسط من أربع صفحات,وأما الثانية فتسمى (لاديكاد اجيبسين La Décade Egyptienne) وقد تخصصت لنشر بحوث أعضاء المجمع العلمى المصرى ودراساتهم للبيئة المصرية فى نواحيها الأدبية والتاريخية والاقتصادية . وتعتبر هاتان الصحيفتان أقدم الصحف الأجنبية فى


14 septembre 1833. 1re année. N° 4.

LE MONITEUR ÉGYPTIEN.

لومونيتور إجبسيان فى عهد محمد على

مصروقد انتهى تاريخ هاتين الصحيفتين بانقضاء الحملة وخروجها من مصر فى سنة ١٨٠١ وبقيت مصر خلوا من الصحافة الأجنبية زهاء ثلاثين عاما حتى فكر محمد على فى صحيفة فرنجية تؤنس الوقائع المصرية فى وحشتها، ولم يكن تفكيره هذا غرضا من أغراض الحكومة المباشرة فهو لم ينشىء (لومونيتور اجبسيان

Le Monitenr Egyptien) فى سنة ١٨٣٣ بل أعان أصحابها بالرعاية المادية والأدبية كما يقول جون باورنج J. Bowring فى تقريره عن مصر فى تلك السنة (١) .

ولم تتصل عناية محمد على (بلومونيتور أجبسيان) فاختفت بعد بضعة شهور ، ولم يحاول هذه المحاولة مرة أخرى كما لم يحاولها خلفاؤه الثلاثة ، ولكن الجاليات الأجنبية قد اشتد ساعدها فى مصر بين تاجر وعامل وموظف فصدرت اثنتا عشر جريدة ، منها ثلاث إيطاليات وتسع فرنسيات ، وأكبر الظن أن الجاليات الأجنبية كانت من القلة بحيث لم تحتمل هذه الصحف جميعاً وأكثرها صدرت مرات قليلة ثم اختفت ثم عادت إلى الحياة فى ظروف أكثر ملاءمة . وقد صدرت فى سنوات متفرقة بين سنة ١٨٤٦ و ١٨٦٢ . وقد نشرت هذه الصحف فى ظروف لا يضبطها ضابط من قانون المطبوعات أو الصحافة ، وإن أثبتت الوثائق فى عهد سعيد أن إنشاءها كان معلقاً على موافقة الأمير « على شرط أن لا تتجاوز فيما تنشره قوانين الدولة العلية وأن لا تذكر أى شىء ضد الحكومة المحلية »(٢)

وقد صدرت هذه الصحف جميعاً فى مدينة الاسكندرية حيث كان النشاط التجارى والصناعى فى أوجه وحيث كانت كثرة الجاليات الأجنبية تعيش ، وقد تميزت هذه الصحف كلها ببعض المميزات فهى صحف تبحث فى التجارة وتنشر أخبارها وأخبار البورصة خاصة واستتبع ذلك كثرة الاعلانات فيها حتى أن بعضها كانت تستغرقه هذه الاعلانات ، وعنيت هذه الصحف عناية واضحة بالسفن الداخلة والخارجة وفصلت ما حملته من الأشياء فى الذهوب والإياب ، ثم تباينت هذه الصحف فى سياستها العامة وموضوعاتها الداخلية والخارجية فكانت (لوسبتاتورى أجيزيانو Lo Spettatore Egiziano) أظهر هذه الصحف عناية

---

(١) راجع هذا الموضوع فى (تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨ - ١٩٤٢) للمؤلف

(٢) محفوظات عابدين وثيقة ٣١ سجل ٥٢٥ معية تركى قسم ثان ص ١٤٦

بالآداب والاجتماعيات وكانت أمتع الصحف من حيث قدرتها على إرضاء قرائها، فهى تنشر لهم القصص الأدبى الرائع نقلا عن الآداب الأوربية المختلفة واهتمت غيرها بالمسائل الشرقية ووقفت صفحاتها على أمور الشرق ومشكلاته واتخذت غيرها صبغة تتصل بالدولة التى تتبعها(فكانت ليكو دى اجيتو (L, Eco Di Egitto) تتحدث فى جميع أعدادها عن إيطاليا وأخبارها كما شغلت صفحاتها بأحوال الايطاليين فى مصر وبأخبارهم المختلفة وجعلت ذلك غاية من غاياتها وقلما كانت تعنى بالمسائل المصرية . وفى عهد سعيد باشا أنشىء المجمع العلمى المصرى وفرض إنشاؤه إصدار جريدة تكون سجلا له وهو وصل ما انقطع من الحملة الفرنسية ، إذ كان هذا المجمع صدى للمجمع القديم حتى كان أكثر أعضائه من الفرنسيين ، وحلت مجلة(المجمع المصرى (Bulletin de L'Institut Egyptien محل (لاديكاد اجبسين) فى تسجيل الموضوعات التى أقرها المجمع أو نشر بعض المذكرات التى تتصل بشئون مصر المختلفة .

كانت الصحف الفرنجية إلى عهد سعيد باشا صحف إعلان ، زخرت صفحاتها بالاعلانات المختلفة وضمت مقالا أو مقالين وبضعة أخبار لا تغنى أضأل الصحف المعاصرة لنا ، ولم تكن هناك صحف رأى أو صحف أخبار لأن الظروف كانت تأبى الرأى الحر ولا تحتمل الملاحظة والنقد ، ولذلك كانت الجرائد فى معظمها جرائد أسبوعية ففقدت « صفة الخبرية » فيها ، أما عصر إسماعيل فقد امتاز بصحافة الرأى فيه امتيازاً ملحوظاً سواء منها ما كتب له أو عليه .

وقد حمل لواء هذه الصحافة الجديدة جريدة (لوبروجريه اجبسيان LeProgrès Egyptien) فقد أخذت تحدثنا عن الظلم والعسف النازلين بالمواطنين وعن تبرم الشعب المصرى وسخطه من قسوة حكومته وهو تبرم كما تقول ملأ حفيظة « جماعة كبيرة من الشعب من الباشاوات ومن رجال الدين وأن احترام الحكومة لم يعد على غراره الأول » . وتمضى(لوبرجريه أجبسيان) ناشرة أسوأ

الأخبار المتصلة بالحكومة فتقول فى ٦ و ١٥ سبتمبر ١٨٦٩ « إنه ألصق فى هذا الأسبوع خفية على جدران المدينة – الاسكندرية – اعلانات عدائية لسمو الخديو وهى عبارة عن شكوى مرفوعة إلى السلطان باسم ١١٤ من عيون تجار القاهرة والأرياف المصريين » . وقد كان دأب الجريدة الإساءة إلى أصحاب الحظوة عند الخديو من الأتراك « هذه الأقلية التركية التى تحكم وتنظم وتشغل جميع الوظائف وتضع الميزانية لن تستطيع التغلب على أكثرية المصريين التى تفلح الأرض وتدفع الضرائب وتسخر وتعطى مالها وعرق جبينها للدولة » (١) . وقد كيل (للوبروجريه أجبسيان) من الحكومة بالقدر الذى كالت به لها ، إذ صدر قرار من نظارة الخارجية المصرية فى يوم ١٢ أبريل سنة ١٨٧٠ بتعطيلها شهرين ابتداء من ١٦ أبريل وذلك لأنها نشرت مقالين شديدى اللهجة عن الحرية الشخصية فى مصر استهلت أولهما بقولها فى ١٢ إبريل ١٨٧٠ « منذ زمن وهم يظهرون – تقصد رجال الحكومة – احتقارهم للحرية الشخصية فقد تعددت حوادث القبض بلا مسوغ والحبس والحجر بشكل مقلق ولم ترتكب هذا ضد الفلاح والرعايا المحليين فحسب بل ارتكب ضد الأجانب أيضاً وخاصة الفرنسيين منهم » ثم مضت تحمل على الحكومة وتصرفاتها مع الناس ومصادرة حرياتهم قائلة « إنه من المخجل أن تدعى الصحافة الأوربية بدعوة من الخديو فتجد الأمن والحرية الشخصية مفقودين » أما مقالها الثانى الذى عوقبت من أجله فعن أزمة بين السلطان وواليه قالت فيه « إنهم يتحدثون عن أزمة قريبة الوقوع بين السلطان والخديوى ويقررون أن الطريق التى من شأنها أن تصلح بين الطرفين هى زيارة من الخديوى للقسطنطينية » ثم تعلق على ذلك فى ١٤ يوليه ١٨٧٠ قائلة « إنه ليس مجهولا بأى الطرق يجتنب غضب الباب العالى وبأى الأساليب يكتسب رضاه ، إننا لا ننسى الفرمان الأخير وزيادة الضرائب نتيجة لهذا الفرمان ، إن الفلاح لم يعتد الشكوى وطرق التعبير عنها وإن سمو الخديو لم يفكر فيه مطلقا وإن الحكومة

(١) لوبروجريه أجبسيان نقلا عن صبرى فى كتابه السابق ص ١١٢ و ١٢٦ و ١٢٧

المصرية لتكون جد مخطئة إذا هى لم تلاحظ ذلك وتحسب حسابا للآثار التى تتركها هذه الحالة فى نفوس رعاياها وخاصة فى نفس الفلاح ، إن رحلة إلى القسطنطينية فى هذا الوقت ستكون بالنسبة لمصر إثقالها بالضرائب وإن الفلاح لم يعد يحتمل هذا الظلم من جديد ، لقد استغل فانتزعوا أماله مرة بعد مرة ، لقد حطم بالسخرة التى قضت على عدد لا حصر له من العمال الفلاحين الذين بقيت أراضيهم بلا فلاحة ،

وقد كان لجريدة (لوبروجريه اجبسيان) مقالات حماسية متصلة أقلقت بال الحكومة المصرية فعمدت إلى اغلاقها وحبس محررها (١) ولم يترك هذا الخلاف العميق مع الحكومة صداقة بينها وبين السلطان ، بل كانت هذه الجريدة مستقلة حقاً فى آرائها تدافع عن مصر دفاعا كريما فكثيراً ما جعلت دأبها الرد على جريدة (لاتيركى La Turquie) التى تعبر عن آراء الدوائر الرسمية فى القسطنطينية ومن مواقفها الكريمة المأثورة عنها فى هذا الميدان أنها هاجمت تركيا حين أوفدت حسن بك لسمو اسماعيل باشا ليستوضحه كيف يدعو باسمه حكام الغرب وملوكه إلى حفل افتتاح القنال ثم ليستفهم من سموه عن مفاوضاته فى حيدة قنال السويس وإمضائه لبعض المعاهدات التجارية دون الرجوع فى ذلك كله إلى الباب العالى ، ذكرت تهديد السلطان بموقف حاسم قد يطوح بالأسرة العلوية نفسها ثم انبرت (لوبروجريه) للرد على هذه الأخبار التى نشرتها فذكرت ، أن هذا التهديد لا يخيف أحداً ولا محل له إذ أن كل تغيير فى مصر ليس من شأن الباب العالى وحده كما أقرت ذلك معاهدة لندره ، والباب العالى يتناسى أن أى تغيير فى شئون مصر ينبغى أن يؤخذ فيه رأى الأجانب المقيمين فى مصر فلابد من التعرف على ميولهم أمن مصلحتهم أن يلحقوا بالدولة العثمانية مباشرة أم أن مصلحتهم تقتضى البقاء فى ظل حكومة مصرية خالصة ، (٢) .

وقد اعتبر أصحاب الصحف الفرنجية أنفسهم أصحاب حق فى مصر لهم ما للمصريين

---

(١) L, Impartial D, Egypte فى ١٧ مارس ١٨٦٩ وفيه نقص تاريخ لوبروجريه أجيبسيان (٢) لوبروجريه اجيبسيان فى يوليو ١٨٦٩

من المزايا وإن لم تفرض عليهم التزامات الوطنيين ، وذلك وضع لاينالونه فى سائر الأقطار العثمانية لذلك كانوا أول من نادى بفصل مصر عن تركيا وإن اختلفوا فيما بينهم نحو الحكومة المصرية، فالمسيو نكولو Nicoullaud محرر (النيل Le Nil)(١) يقود الصحافة الأجنبية فى الحملة على تركية وصحيفتها الرسمية ويرد هجماتها على الخديوى ، فهو يتفق مع محرر (لوبروجريه) فى هذه الناحية ويختلف معه فى النظر إلى الخديو اسماعيل وحكومته(٢) وكان بين الصحف الفرنجية المصرية التى تتفق مع جريدة (لوبروجريه) من حيث التفكير فى فصل مصر عن تركيا واعتبارها كما قائما بذاته جريدة (لامبرسيال ديجبت L, Impartial,d' Egypte) وكتب فى ذلك المسيو موريه Mourés فى صدر افتتاحية العدد الأول عن خطة جريدته « ستسعى لتحقيق حرية هذا البلد الذى نسكنه ، وستعمل بهمة على أن تستقل مصر بمسائلها عن تركية وتسير نحو التقدم بخطا فساح بقدر ماتبتعد عنه تركيا بنفس الخطا ، نعمل فى كلمة على التفريق بين آراء البلدين وأملها ونظامهما الدستورى »(٣)

ومن الصحف التى شغلت الرأى العام فى مصر وخاصة رأى الأجانب فيها على أصح تعبير جريدة (L, Indépe ndant) فهى إلى جانب حملتها المتصلة على القنصل الفرنسى وتمثيلها المتطرفين من الفرنسيين النازلين فى مصر كانت تحمل فى شدة وعنف على الحكومة المصرية وخديوها ، فكتب شريف باشا يشكو أمرها إلى القنصل فى ٢٠ يناير فانعقدت المحكمة القنصلية وأصدرت أمراً يقضى بمصادرة الجريدة وغلق مطبعتها وسجن محررها عاما كاملا (٤)

وكانت جريدة (ليجبت L, Egypte) وقد صدرت فى أوائل عهد إسماعيل سنة ١٨٦٣ على رأس الجرائد المعارضة للخديو حتى أن أحمد خيرى بك فرض فى

---

(١) Douin. His. Du Régne dn Khedive Ismail T. I p. 255

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٤ (٣) لامبرسيال ديجبت . العدد الاول مارس ١٨٦٩

(٤) محفوظات عابدين خطاب رقم ٢٣ Doss, 44/5

برنامجه (للوقائع المصرية) فى ٢٥ نوفبر سنة ١٨٦٥ أن تتولى الجريدة الرسمية الرد على مفتريات (ليجبت) ولم تستمر ليجبت خصيمة للخديو وحكومته فترة طويلة إذ استطاع الأمير أن يمضى مع ناشرها المسيو « أنطون موريس » اتفاقا لمدة خمس سنوات تطبع فيه الجريدة على ذمة الحكومة المصرية (١) وهكذا أصبحت جريدة (ليجبت) بذلك الاتفاق صحيفة حكومية خالصة ربطت لها الحكومة المصريه ميزانية قدرها حوالى ألف وثلاثمائة جنيه مصرى فى كل عام (٢) ثم نقلتها إلى القاهرة فى سنة ١٨٦٦ وهيأت لها عمالا جددا (٣) وتركت لها حرية التفكير وإن عالجت أمورها كالصحف الأخرى، فقد نشرت الجريدة خبرا غريبا عن تعيين ناظر الخارجية ومحافظ الاسكندرية فكان جزاءها التعطيل خمسة عشر يوماً ، ثم استعملت الدولة حقوقها عليها فعزلت كاتب الخبر من وظيفته فى التحرير (٤) ومضت (ليجبت) جريدة حكومية خالصة حتى أقبل عهد توفيق فكان لها موقف آخر أساءت فيه الى الدين الإسلامى فأمر بتعطيلها (٥)

وقد تمكن الخديو إسماعيل بالبذل والعطاء من السيطرة على معظم الصحف الفرنجية فى مصر ، فقد بدأت (لوفار دالـكسندرى Le Phare d,Alexandrie كما بدأت (ليجبت) صحيفة معادية له ولحكومته فكانت قاسية أشد القسوة منذ عددها الأول الذى حملت فيه على الوزير نوبار باشا « الذى يسب الفرنسيين وحكومتهم كما اعتاد على ذلك ودأب على احتقارهم ، ثم يصفه بأنه « ليس سياسياً

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٢١٥ دفتر رقم ١٩٤٨ أوامر ص ٥٨

(٢) ربطت لها الحكومة مبلغ ٦٩٠ مليم و١٣١٦ جنيه . راجع محفوظات عابدين وثيقة رقم ٢١١ محفظة رقم ٤٩ معية تركى فى ٤ جمادى الثانية ١٢٨٩ هـ

(٣) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣١٨ محفظة ٤٠ معية تركى فى ٧ شوال ١٢٨٣ هـ من محمد حافظ ناظر المالية إلى صاحب السعادة (٤) محفوظات عابدين وثيقة ٣٦١ محفظة ٤٥ معية تركى فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٨٦ من الجناب العالى إلى ناظر الداخلية

(٥) الوقائع المصرية ٢٩ نوفبر ١٨٨١

وليست عنده حاسة الرجل العمومى ولا يفهم فى السياسة شيئاً ، (١) غير أن هذه القسوة وتلك المعارضة لم يطل أمرهما إذ انضمت إلى الخديو وأصبحت داعية من دعاته ، وكان هذا يكلفه خمسين الف فرنك كل سنة على أن ترسل هذه الصحيفة إلى دواوين الدولة ، ثم عقدت الحكومة مع مديرها المحامى هايكاليس (باشا فيما بعد) اتفاقا لمدة خمس سنوات ينتهى فى ٣١ ديسمبر ١٨٧٩ (٢) بشروط أهمها مناصرة الحكومة فى سياستها جميعا . وقد دافعت (لوفار دالكسندرى) عن إسماعيل وسياسته بحماسة ظاهرة بيد أنها كانت مكروهة جدا من الوطنيين ، فقد أرسل مديرها فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٧٦ إلى باروت بك سكرتير خاص الخديو يشكو له إحدى المظاهرات التى أخذت تنتقل من شارع الى شارع حتى بلغت مكتب جريدته ، وأخذ المتظاهرون يهتفون بسقوط صحيفته ، ويطلب فى كتابه إلى سكرتير الخديو أن يوضع حد لهذه المظاهرات التى تسىء إلى سمعة مصر وإدارتها والتى من شأنها أن تعطى مثلا سيئا وخطراً للمصريين (٣)

استطاع الخديو اسماعيل بما بذل من جاهه عند قناصل الدول وبما قدم من ماله لأصحاب الصحف الفرنجية وبما طبقه من قوانين الصحافة التركية أحيانا ، استطاع أن يخضع الصحافة الأجنبية فى مصر لسلطانه خضوعا يكاد يكون مطلقاً حتى لم تعد الصحف المعارضة له تقوى على البقاء أو تستمر فى الكفاح ، وقد لوحظ على هذه الصحافة أنها كانت تشتد فى لهجتها كلما تحرجت أمور الخديو ثم تلين قناتها إذا اعتدلت الظروف واستقامت له الأمور ، وقد انقسمت هذه الصحف إلى قسمين ، قسم موال على إطلاق هذا المعنى وقسم بين بين وهى هنا تمثل حقبة هامة من تاريخ الصحافة الفرنجية المصرية إذ ترتبط نشأة صحافة الرأى الفرنجية بعصر إسماعيل وكانت من قبل صحافة للاعلان أو التجارة فحسب .

وتتمثل الصحافة الخبرية الفرنجية فى صحيفة (لومونيتور اجبسيان) التى نشرت

---

(١) لوفار دالكسندرى ٤ يوليو ١٨٧١ (٢) محفوظات عابدين وثيقة ١٢٣ دفتر ١ ص ٦٣ (٣) عابدين Dossier N. 45/11

فى عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٧٤ جريدة « يومية سياسية علمية تجارية وللاعلانات» ومع أنها أعلنت أن صفتها الأولى ستنحصر فى المسائل التجارية والعلمية إلا أن صفة الخبرية فيها غلبت صفاتها جميعاً ، وهذه الصفة تتميز فى الأخبار الرسمية قبل كل شىء ولم يعرف عن (لومونيتور) أنها صحيفة الحكومة الرسمية إلا فى وقت


MONITEUR EGYPTIEN

لومونيتور اجبسيان فى عهد الخديو اسماعيل

متأخر غير أنها كانت فى سنة ١٨٧٨ واضحة الميول معروفة الصبغة ، كانت تومىء فى صورتها الصادرة بها إلى أنها جريدة شبه رسمية إذ تميزت بنشر الأوامر واللوائح والقوانين وأعفاها المجلس المخصوص دون الصحف الفرنجية جميعا من رسوم البريد (١) وقد بقيت الجريدة شبه رسمية فى السنوات الأولى ثم تغلبت عليها الصفة الرسمية قبيل الاحتلال إلى أن أصبحت جريدة الحكومة الرسمية فى يناير سنة ١٨٨٥ (٢)

أخذت الصحف الفرنجية فى مصر تساهم فى الحياة السياسية المصرية بقسط له خطره وأثره فى الاتجاهات الدولية العامة وأخذت أهمية هذه الصحافة تتركز

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١٠٤ فى ٥ شوال ١٢٩٤ هـ

(٢) راجع « تاريخ الوقائع المصرية » للمؤلف

فى جريدتين فى نهاية عصر إسماعيل وخلال الثورية العرابية ، كانت الجريدة الأولى تمثل الفكرة الفرنسية وهى La Gazette des Tribunaux وكانت الثانية وهى (The Egyptian Gazette) صدى الرأى الانجليزى وكانت بجانب هاتين الصحيفتين صحف أخرى قليلة الأهمية تنحو نحوهما وإن كانت (لاريفورم La Réforme) الفرنسية تختلف عنهما وتتميز باستقلال الرأى وحرية الفكر وقد اشتهرت (لاريفورم) فى أول الأمر بحملاتها المتصلة على الحركات السياسية المصرية التى ظهرت فى نهاية عهد اسماعيل وكانت كلما اجتمع المصريون على رأى أدخلت فى ذهن قرائها أن هذه الوحدة وذلك الإجماع مصدرهما الرعب من الحكم العسكرى وشرائه بالعنف واللين ذمم الذوات وضمائر الأعيان (١) غير أن (لاريفورم) لا تستمر فى خطتها بل تعود مواتية فى اعتدال للأمانى المصرية فتحمل على الإدارة الأوربية حملة شعواء وتصف رجالها بأقبح الأوصاف وتحمد لها الصحف المصرية هذه المواقف الكريمة (٢)

ثم مثلت (لا جازيت دى تريبينو) الاتجاه القنصلى الفرنسى فى شئون السياسة المصرية وأخذت تحمل على الخديو إسماعيل فى كل عدد من أعدادها تقريباً حملات فيها من قسوة التعبير ما ضجت له الحكومة المصرية فكتب شريف باشا فى ٦ أبريل سنة ١٨٧٨ إلى قنصل فرنسا العام يشكو له محرر الجريدة لأنه تجاوز حدوده وحمل بعنف على الخديو ورجاله إلى حد لا تسوغه أكثر قوانين الصحافة حرية ويعلن القنصل العام بأنه قرر وقف الجريدة شهراً ، غير أن محرر (لاجازيت) يأبى الخضوع لأمر الحكومة المصرية ويرفض تنفيذ ما قضت به ، ولولا حزم الحكومة وتصميمها على سحب الترخيص منه وإغلاق مطبعته إذا لم ينفذ أمرها لعجزت السلطة المصرية عن وقف حملات المحرر القاسية (٣) . ولما بدأ الرأى العام المصرى يتكيف على الصورة التى شرحناها فى فصول سابقة أبت (لاجازيت

(١) نقلا عن التجارة فى ١٠ أبريل ١٨٧٩ (٢) التجارة ١٧ يوليو ١٨٧٩

(٣) محفوظات عابدين Dossier 44/4

دى تربينو) أن تعترف للمصريين بحق من الحقوق وأبت أن تقر أن هناك رأياً عاما أو شيئاً يقال له الحزب الوطنى ، وهاجمتها الصحافة المصرية العربية فى شهرى يونيو ويوليو سنة ١٨٧٩ وبلغت مقارعاتها لها حداً أثار الجالية الأوربية على المصريين . وإذا كانت (لاجازيت تربينو) تمثل اتجاه الصحافة الفرنسية فإن (ذى إجبشين جازيت) كانت فى تمثيلها للاتجاه الانجليزى أصدق تعبيراً وأوضح ميولا ومحلا لثقة الجالية الانجليزية ، فكان يوحى اليها بالرأى فتذيعه ثم تحقق الأيام أخبارها ، وتكاد تعلن موضوعات الصحيفة أنها جريدة رسمية للقنصل البريطانى أو الرقيب الأجنبى ، وتميزت (ذى أجبشين) بإثاره النواحى الدينية فى خصومتها للحركة المصرية ، وكثيراً مارمت المصريين بتعصبهم للدين وأذاعت الأخبار الغريبة عن هذا التعصب وادعت تحاملهم على كل ما هو مسيحى وصورت أتفه الحوادث بالمجازر (١) وكثيراً ما أسفت فى معارضتها ونقلت المسائل العامة إلى لون من المهاترات الصحفية فزعمت أن النواب المصريين يتعاطون القهوة والشيشة فى المجلس وردت عليها الصحف العربية وعيرتها بزجاجات الخمر التى يحملها نواب الانجليز وهم فى قاعة مجلسهم . (٢)

وقد استطاعت الصحف الفرنجية أن تنجو من بطش الحكومة لأن شئون الصحافة كانت خلواً من قانون ينظم أمورها ويطبق على الصحافة العربية والفرنجية جميعاً ، وبذلك تمكنت الصحف الأجنبية فى مصر من البقاء لأن معالجة تعطيلها أو إنذارها تثير مشاكل بين الحكومة المصرية والحكومات الأخرى كانت مصر لا تقوى على إثارتها ، على حين كان ناظر الخارجية يملك بجرة قلم إلغاء أخطر صحيفة عربية لمواطن مصرى ، ومع أن قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ سوى بين الصحف جميعاً فإن (الاجبشين جازيت) وجريدة (جازيت دى تربينو) حملتا على هذا القانون وحمتهما وغيرهما من الصحف الدول الأوربية صاحبة الامتيازات (٣)

---

(١) راجع المحروسة فى ٧ فبراير ١٨٨٢ (٢) الزمان فى ٦ مارس ١٨٨٢
(٣) راجع العصر الجديد فى ٧ ديسمبر ١٨٨١

كانت الصحف الاجنبية فى مصر متفقة المزاج تقريبا لأن الدول الأوربية وفى مقدمتها انجلترا وفرنسا كانت على اتفاق فى وجهات النظر إزاء المسألة المصرية غير أن هذا الاتفاق فى الروح والاتجاه لم يدم طويلا بعد الاحتلال ذلك لأن المسألة المصرية اتخذت وضعاً كان مثاراً للخلاف بين الدول ومن ثم كان مثاراً للخلاف بين الصحافة المعبرة عن تلك الدول فى مصر، فتركيا لم تقر هذا الاحتلال وكذلك كان موقف فرنسا ومعظم الدول الأوربية وإن بقيت إيطاليا إلى جانب انجلترا منذ احتلال فرنسا لتونس سنة ١٨٨١ .

وقد استقبل الاحتلال كثيراً من الصحف القديمة التى حالت الظروف دون صدورها خلال الحرب العرابية وكانت أهم الصحف الفرنجية التى استقبلها الاحتلال فى أيامه الأولى جريدة (ذى أجبشين جازيت) وجريدة (لو بوسفور أجبسيان) فقد عادا إلى الحياه باستقرار الحالة الجديدة ، فاما الصيحفة الانجليزية فقد كان موقفها كريماً مع دعاة الثورة ورجالها وأبت أن تقف إلى جانب الخديو وشيعته ، وحاربت نزعة التطرف الانتقامية التى استولت على خصوم العرابيين ، ومصدر هذا الموقف اتجاه الحكومة الانجليزية إلى تصفية الثورة تصفية فيها شىء من الترفع عن الصغائر كما أن للمستر الفرد بلنت صديق العرابيين دخلا فى موقف الجريدة فقد بذل الجهد وسخا بالمال حتى جعل الصحيفة فى جانبه (١) . وأما الصحيفة الفرنسية فقد عادت إلى الظهور فى سنتها الثانية وسجلت لنفسها تاريخا خطيراً فى أوائل عهد الاحتلال أنشأها المسيو سريير Serriére فى مدينة بورسعيد سنة ١٨٨٠ حيث كان يقتنى مطبعة فرنجية كاملة ثم انتقل إلى القاهرة فى السنة الثانية ، وتولى تحريرها المسيو جيرو Giraud وهو من خيرة المحامين المعروفين فى ذلك الوقت وكانت كتاباته تستقبل استقبالا حسناً من المصريين والأجانب على السواء مع أن عدد قرائها لم يتجاوز خمسمائة قارىء وهو عدد يعتبر

---

(١) بلنت . التاريخ السرى ص ٣٢٢

إذ ذاك نادر المثال (١) . ولم تكن (لوبوسفور أجبسيان) ذات خطر قبيل الاحتلال فهى صحيفة خلقتها الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى بور سعيد حيث تعيش الجالية الفرنسية فى نطاق واسع عاملة فى شركة قنال السويس ثم انتقلت إلى القاهرة حيث بدأ النشاط السياسى يعم العاصمة ويستغرقها ، وقد سارت (لوبوسفور) فى تيار الصحف الفرنجية المعاصرة ولم يكن لها يومئذ ميزة من المزايا التى تفوقها على زميلاتها المعاصرات وبينها صحف قديمة لها تقاليدها وتاريخها ، ثم احتجبت مع ما احتجب من صحف حتى انتهت الأزمة باحتلال الجيوش البريطانية مصر وعادت إلى الحياة أشد ما تكون الصحف المعارضة للاحتلال ورجاله . وتمثل Le Bosphore Egyptien فى معارضتها للانجليز اتجاه الحكومة الفرنسية وقنصلها العام فى مصر فهى لا تقر شرعية الاحتلال ولا ترضى عن تصرفات الانجليز وتقسو فى ذلك قسوة تفرض على المستر Clifford Lloyd أن يستصدر من ناظر الداخلية المصرية فى سنة ١٨٨٤ قراراً وزارياً بتعطيلها وإقفال مطبعتها ، وذلك لأن الصحيفة لم تؤثر بمعارضتها فى الجاليات الأجنبية وحدها بل عرضت هذه المعارضة على المصريين فى نسخة منها صدرت باللغة العربية مع الصحيفة الفرنسية ؛ ولكن محرر (لوبوسفور) أبى أن يعترف بقانون عام ١٨٨١ الذى اعتمدت عليه الحكومة فى تعطيل جريدته ، ثم أصدرها فى موعدها غير أن الحكومة صادرتها من أيدى الباعة ، وقد عادت إلى الصدور مرة ثانية وتكفل ببيعها عين من عيون الفرنسيين المستوطنين مصر مع مستشار القنصلية الفرنسية حتى لا يملك البوليس مصادرتها ، واضطرت الحكومة إلى إغلاق المطبعة وحراستها ثم عرضت على سربير اثنين وأربعين ألف فرنك تعويضاً له عن إغلاق المطبعة (٢) وأثار حادث تعطيلها وإغلاق مطبعتها أزمة حادة بين الحكومتين الفرنسية والمصرية سبق أن عرضنا لها فى فصل سابق .

---

(١) Munier : La Presse en Egypte p. 3. (٢) المصدر السابق ص ١١ — ١٣

كانت الخصومة بين الفرنسيين والانجليز تتمثل فى المنازلات الصحفية التى دارت بين (لوبوسفور اجبسيان وذى اجبشين جازيت) وإن خفت لهجة الصحيفة الأولى بعد أن تولى تحريرها Barriere Bey حتى أعجب بها بعض الانجليز المحليين وأمدها بعض موظفيهم بالأخبار الرسمية والحوادث المحلية ؛ وكانت القنصلية الفرنسية من ناحيتها شديدة العطف عليها حتى أنها عرضت عليها مرتباً شهريا قدره اثنا عشر جنيها لما ساءت حالة الجريدة المالية (١) غير أن ذلك لم يجد عليها شيئا واضطرت الى الاحتجاب فى سنة ١٨٩٥ ثم بقيت (ذى اجبشيان جازيت) تمثل الفكرة الانجليزية تعاونها (لوبروجريه Le Progrès)الفرنسية التى أنشئت سنة ١٨٩١ معارضة للقنصلية الفرنسيه وموالية لدار الوكالة البريطانية وإن لم تقبل عليها الجاليات الأوروبية ، وشاركتها فى هذا الاتجاه جريدة Le Courrier d'Egypte وهى صحيفة نوبار باشا وقد مضت زهاء أربعة وعشرين عاما تسبح بحمد رئيس الحكومة المصرية أيا كان هذا الرئيس وكان أسلوبها بديعا حقاً وإن ملأت صفحاتها بما كانت تنشره الصحف القديمة عن مصر وشئونها ، وخاصة سميتها التى أنشئت خلال الحملة الفرنسية ، ولم تكن مقروءة ولا محبوبة من الأجانب المتوطنين مصر (٢) . ومن الصحف الهامة فى ذلك الوقت جريدة (لوجورنال اجبسيان Le Journal Egyptien) وفى صحيفة الخديو ولسان السراى (٣) وهى ذات علاقات طيبة مع القنصلية الفرنسية وفى كفاح مستمر للاحتلال وقدساء الانجليز موقفها هذا فشكت أمرها الى ايطاليا ، وكانت إيطاليا تحرص على صداقة بريطانيا أشد الحرص فى ذلك الوقت فتدخل قنصل ايطاليا ونفى أحد صاحبيها ومن ثم فقدت الصحيفة أهميتها واحتجبت سنة ١٨٩٦ (٤)

أحدث إغلاق (لوبوسفور) فراغا كبيرا بين الصحافة الفرنجية فى مصر إذ

---

(١) Munier . p. 17 - 18 (٢) المصدر السابق ص ٤٢ ثم ٢٢

(٣) Blunt : My Diaries . p. 135 (٤) Munier. p. 35-39

بقيت (ذى اجبشيان جازيت) وحدها لا تعارضها صحيفة من الصحف الفرنجية حتى أنشأ Barriere Bey فى سنة ١٨٩٦ جريدة (ليكو دوريان L,Echo d,Orient) لتحل محل صحيفته الأولى (لوبوسفور) وهى صورة مماثلة لها فى الشكل والموضوع غير أن (ليكودوريان) كانت أكثر انتشاراً لانخفاض ثمن الصحف الى خمس مليمات ، وقد مالت الجريدة الى جانب الأرمن فى بلاد الدولة العثمانية ودافعت عنهم دفاعا مجيداً ساء الحكومة التركية وأثر فى عامة المصريين (١) فأخذ يضمحل شأنها وأنشأ صاحبها بدلا عنها جريدة (Courrier D, Orient) فى سنة ١٨٩٨ معارضة كسابقتها للاحتلال ورجاله ، وكانت تميل للخديو وتعمل لحسابه غير أنها لم تعمر طويلا فأغلقت بعد ثلاثة أشهر من مولدها .

ثم تبدأ الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل وتقف معظم الصحف الفرنجية الى صف هـذا الفتى المتحمس لوطنه وتصبح فى أكثرها صحفا مواتية للحركة الوطنيه وإن كان بعضها كثير التقلب كجريدتى (لوجورنال اجبسيان ولوبروجريه) فتبعت الأولى اتجاه الرأى فى تذبذبها فيوما جرت فى تيار الوطنيين ويوما خالفت اتجاههم وأما الثانية فكثيرا ماحملت على المصريين وزعمت أنهم متعصبون ، ومقالها فى الشيخ على يوسف وحملتها عليه وحض الحكومة على مضايقته دليل على سوء موقفها من رجالات مصر(٢) وكان الشيخ على هدف الصحف الفرنجية كلما عارضت الحركة الاستقلالية وكان فى اعتبارها أخطر على الأجانب فى مصر من (اللواء) والحزب الوطنى وكانت أهم خصوماته مع الإيطاليين خاصة ومقالات (الكوريرى اجيزيانو Corriere Egiziano) وحملاتها عليه عنوان لهذه الخصومة المتصلة (٣) ثم تكفلت جريدة (Les Nouvelles Egyptiennes) لصاحبها جورج دومانى فى

---

(١) لوبروجريه ٢٠ سبتمبر ١٨٩٥ (٢) الكوريرى اجيزيانو ١٠ سبتمبر ١٩٠١

(٣) المصدر السابق ص ٥١ — ٥٤

سنة ١٩٠٧ بالحملة على إدارة المصريين وأحكام قضاتهم ومؤاخذة العاملين على كفاح الإنجليز ، وكان لهذه الحملة أثرها على المحرر إذ صدر حكم قضائى بحبسه ثلاثة أشهر غير أن هذا الحكم لم ينفذ لاحتماء دومانى بالامتيازات الأجنبية (١) وفيما خلا (ذى اجبشين جازيت) وزميلتها (ذى اجبشين ميل) وبعض الصحف الفرنجية القليلة الأخرى فإن الصحافة الفرنجية فى مصر نافست الصحافة العربية فى التحمس للرأى العام المتطرف ومخاصمة الاحتلال ورجاله وإن تأثرت بعض هذه الصحف بحوادث طارئة فانحرفت وقتا ما عن اتجاهها مثال ذلك موقف (لوفاردالكسندرى Le Phare d,Alexaudrie) من مصطفى كامل فقد كانت من أشد انصاره إلا أنها حملت عليه وعلى المصريين حين دعا إلى تعليق جلاء الترك عن اليونان على جلاء الإنجليز عن مصر وذلك لأن صاحبها من اليونانيين (٢) ومن الأمثلة على انحراف هذه الصحف المواتية بعوامل طارئة موقفها المتباين أثناء الخلاف القبطى الإسلامى فقد كانت تراه خطراً يهدد الأجانب فى مصر .

وبين الصحف الفرنجية التى نشأت فى مصر صحف أنشأها الوطنيون فقد أسس مصطفى كامل فى نوفمبر سنة ١٩٠٦ شركة مساهمة لإصدار جريدتين فرنجيتين رأس ما لها عشرون ألف جنيه مصرى اكتتب فيها صفوة المصريين ، واضطرب لهذه الفكرة اللورد كرومر ودفع صحفه إلى الحملة على المشروع غير أن ذلك لم يحل دون ظهور (L'Etendard Egyptien و The Egyptian Standard) الأولى فى مساء ٢ مارس سنة ١٩٠٧ والثانية فى صباح اليوم التالى . ويقول مصطفى كامل باشا عن خطة هاتين الجريدتين « إن قصدنا من تأسيس هاتين الجريدتين هو إحاطة العالم المتمدن وكافة الذين يهتمون بشئون مصر علما بخطتنا الوطنية التى غير خصومها شكلها وقلبوا حقيقتها . . . وأظهرونا لمن يجهلون لغتنا كأننا ننادى بالبغضاء والتعصب الدينى فنحن جئنا اليوم نكذب بصورة قطعية هذه التهم الدنيئة وتثبت

---

(١) راجع اللواء ٣٠ مارس ١٩٠٩ (٢) لوفاردالكسندرى ٤ مارس ١٨٩٦

للعالم كله أن مطلبنا الوحيد بل مطلبنا العالى السامى هو أن نرد لمصر مكانة فى العالم تليق بتاريخها وماضيها ومركزها »(١) ولم تعمر الصحيفتان الفرنجيتان الوطنيتان لأن منشئهما قضى فى سنة ١٩٠٨ ولأن أزمة مالية حادة اعترضت حياتهما كما أن الأجانب انصرفوا عنهما (٢) ولم تنجح التجربة وقد حاولها الوفد المصرى بعد الحرب العظمى فلم يوفق .

وقد وجدت الصحافة الفرنجية بعد الحرب العظمى متسعا لحياتها فنشطت كماً وكيفاً وأصبح عددها مائة وإحدى عشرة صحيفة بين يومية وأسبوعية وشهرية وبين سياسية واقتصادية وزراعية وأدبية ودينية وطبية ورياضية وقضائية ومدرسية وللبورصة ، وهى فى لغات متباينة بين انجليزية وفرنسية وإيطالية ويونانية وملطية وأهم هذه الصحف جميعا صحيفتان فرنسيتان هما (لابورص أجبسين La Bourse Egyptienne) و (لوجورنال ديجبت Le Journal d, Egypte) ثم صحيفة ايطالية هى (الكوريرى ديتاليا Corriere d, Italia) انتهى أمرها بعد دخول ايطاليا الحرب الحاضرة . وقد تطورت هذه الصحف قبيل الحرب الحالية إلى صحف مصالح بعد أن كانت من قبل صحف رأى وفكرة ، واتجاه الصحف السياسية منها اتجاه يتصل بمصالح الدول المتباينة وهى تمثل النشاط السياسى والفكرى والاقتصادى لتلك الدول .

---

(١) من خطبة مصطفى كامل فى فندق الكونتننتال فى ٢ مارس ١٩٠٧ احتفالا بظهور الجريدتين

(٢) وزارة الداخلية دوسيه رقم ٥

الفصل العاشر

تاريخ الصحافة المصرية فى الخارج

شهدت مصر فى عهد محمد على عناية خاصة بالصحافة الرسمية وقد اتصل إنشاء هذه الصحافة بإنشاء النظم الجديدة ، وقد تطورت الصحف الرسمية بتطور هذه النظم حتى أصبحت فيما بعد ركناً من أركان السياسة العامة أو غرضا من أغراض الحكم واستطاعت هذه الصحف أن تؤدى رسالتها وتحقق الأمل فيها بحيث أضحت فوائدها تغرى بالاستزادة منهـــا فى مصر وخارجها ، وقد ساير إنشاء الصحف الرسمية اتساع فى الامبراطورية المصرية ليس هنا محل تفصيله ، غير أنه يعنينا فى تلك الامبراطورية جزيرة كريت وهى إحدى الممتلكات المصرية منذ حرب المورة فى سنة ١٨٢٢ وذلك لارتباط إحدى الصحف بها . فقد شهدت كريت نشاطا صحفيا ملحوظا دون ولايات الباشا المتعددة ، مصدره هذا التنظيم الرائع لحياة هذه الجزيرة وسكانها ، إذ أنشأ الباشا المجالس فيها ، ليتم للجزيرة رخاؤها وعمرانها فتصبح بهجة الديار وموضع حسد الأمصار وغبطة الأقطار ، وهو يعنى بتخير رجاله القادرين على سياسة الجزيرة وأهلها كعثمان نور الدين بك رئيس الجهادية ، الخبير بأصول الإدارة الأوربية ، ليشرف على تكوين المجـــالس المذكورة من المسلمين والمسيحيين الذين ستلق اليهم أمور البلاد الخاصة ، بالأحوال الشخصية الموافقة للشرع ودعاوى الخلق ومصالحهم ، ومع أن وظيفة هذه المجالس استشارية إلا أن ذلك لم يحل دون نظر أعضائها فى الأمور الإدارية وكل ما يتصل بالعرف والقانون على أن تطبق ، الأصول الجزئية والكلية ، (١)

---

(١) محفوظات عابدين وثائق رقم ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ دفتر رقم ٤٠ معية تركى

وقد أنشأ الباشا هذا النظام الجديد فى كريت بوحى من « الأصول المصرية » ثم رأى أن يكون لهذا النظام سجل يماثل الوقائع المصرية فبعث إلى مصطفى باشا محافظ كريد يذكر له أنه « قد تقرر طبع الوقوعات الواقعة فى كريد على أن تكون جهة منها تركية العبارة وجهة منها رومية اللهجة » (١) وينبئه أن حروف القسم التركى « قد أعدت إعداداً متقنا » وسترسل إليه فى أقرب الأوقات غير أن الجناب العالى يبين له المصاعب الناشئة عن هذا الموضوع وخاصة الحروف الرومية إذ أنه لم يتمكن « من إعداد حروف القسم الذى سيكتب رومى العبارة » غير أنه أوصى « بابتغائها وإعدادها » وهو لا يمهله حتى يرسلها عثمان بك بل يرجو من همته « أن تبحثوا عنها وتبتغوا طائفتين من الحروف الرومية المتقنه إما من تلك الديار وإما من المورة » (٢) . وقد يبدو أن « وقائع كريدية » كما كانت تسمى صحيفة خاصة بكريد وليس لمصر فيها سهم عملى اللهم إلا الرأس الحاكم الذى يجمع بين البلدين بيد أن الوثائق قد أثبتت أن حروف المطبعة التركية صنعت فى مصر قطعا وإن لم يؤكد أمر الباشا السابق أن أحد البلدين قد اختص بعمل الحروف الرومية فقد ترك الأمر للاجتهاد فى الحصول عليها من مصر أو كريد أو بلاد المورة ، وبجانب إعداد المطبعة وتغذيتها بالحروف أرسل من مصر « على أفندى جام إلى كريد لخدمة الوقائع التى ستطبع فيها » كما عين « على أفندى الفندرلى معاونا له لاحتياجه اليه » وهو أحد موظفى الوقائع المصرية « وقد صار أخذه من غرفة الوقائع لمعرفته أصول الطبع » ثم ربط ديوان الخديو لهذين الموظفين الراتب الذى يستحقانه سواء من القروش أو الخبز أو اللحم أو الأرز أو السمن غير اللباس فى فصول السنة المختلفة (٣)

وإذن تكون الحكومة المصرية هى التى فكرت فى الوقائع الكريدية وهى

---

(١) كان الباشا يرى تسميتها شجرة زيتون . تقويم النيل ج ٢ ص ٣٧٢

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٤٨٠ دفتر ٤٠ معية تركى ف ٥ ربيع الآخر ١٢٤٦ هـ

(٣) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٧٥٩ ديوان الخديو ف ٨ ربيع آخر ١٢٤٦ هـ

التى أمدت الصحيفة والمطبعة بالموظفين المصريين الفنيين وجعلت عمالها فى كريد فى خدمتهما معاً وبالرجوع إلى هذه الصحيفة يمكن تقرير حقيقة تثبت الآثار المصرية فيها ، فوقائع كريد صورة مطابقة للوقائع المصرية ثم هى إلى جانب نشرها أخبار الجزيرة ومجالسها نقلت عن الوقائع معظم فصولها وأخبارها ، وسياستها العامة مرتبطة أشد الارتباط بسياسة الوقائع من حيث النظر إلى المسائل العليا والدعاية للوالى وأعماله ، وأيد ذلك العدد الرابع والثمانون المحفوظ بدار الكتب المصرية .

بدأت الصحافة المصرية فى الخارج صحافة رسمية ولم يطل أمرها لأن الولايات المصرية أو البلاد الخاضعة لمصر لم تكن حالتها الفكرية تحتمل مثل هذه الصحف التى تقتضى دواوين ومجالس وتقتضى حياة اجتماعية نشيطة كما كان الحال فى مصر وكريد لذلك كانت « وقائع كريدية » بداية للصحافة المصرية الرسمية فى الخارج ونهاية لها أيضاً . ثم انتقلت فجأة فى عهد الخديو اسماعيل إلى صحافة متطرفة يصدرها أفراد ناقمون على الخديو ورجال حكومته ، ويمثل هذه الصحافة فى نشأتها يهودى مصرى يقال له يعقوب بن صنوع ، ويعقوب كاتب يختلف فنه عن كتاب الصحف فى ذلك الوقت ، فهو ناقد مر النقد ، قاس فى أسلوبه وحواره ، لا يعرف قلمه حدوداً ولا قيوداً ، تتمثل فيه طبيعة المصرى إذا مزح أو سخر ، وفى صحيفته سجلت الشخصية المصرية فى أروع مظاهرها وقد عرفه المصريون جميعا فى المدن وفى أعماق الريف ولم تشهد الصحافة المصريه فى مصر أو فى الخارج معارضا كيعقوب بن رافائيل صنوع (أى المتواضع) . وصنوع هذا من الاسرائيليين القليلين الذين قرءوا إلى جانب التوراة الإنجيل والقرآن وهو من الصحفيين الذين استهوتهم الفنون فتعلم فى إيطاليا الرسم والنحت والموسيقى فأجادها جميعاً وكسب بها معاشه فى مصر وازدلف بها إلى قصور الأمراء والباشوات حيث علمها أولادهم ، وأنشأ بثقافته صلات وطيدة مع هذه البيوتات ، ثم عمل فى المسرح وأعجب به الخديو اسماعيل فسماه يوماً « موليير مصر » وله فى التمثيل مسرحيات مترجمة ومؤلفة ، جادة

وهازلة ، وقد ضمنها الملاحظة الدقيقة والسخرية اللاذعة والبسمة الطبيعية والدمعة الصادقة . وفى أثناء عمله المسرحى وجد فى مصر رأياً عاماً يميل إلى النضج فاتصل بالسيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وهما قائدا هذا الرأى ، وعليه درسا اللغة الفرنسية ، وكان للافغانى رأى فى إحياء الفكرة الحرة عن طريق الصحف ، فاتفق الثلاثة على إنشاء صحيفة هزلية يديرها صنوع ويحرر فيها الشيخان بين آن وآن ، وفيها تنقد أعمال الخديو وتشرح تصرفات بطانته ، ثم اتخذوا لها اسم نظارته الزرقاء ، وقد صدر العدد الأول منها فى مصر سنة ١٨٧٧ ، وهى فريدة فى نوعها لا فى مصر وحدها بل فى بلاد الشرق جمعاء فهى نوع من الصحف لم يعتده المصريون ولم يروا له نظيراً من قبل ، وأسلوبها فى أكثره دارج يجرى بأمثال المواطنين وأقوال الشيوخهم وفيها لون من التصوير (الكاريكاتير) بذل فى إخراجه صنوع خلاصة ما تعلمه من فن ، ولقيت صحيفته الشعبية إقبالا غريباً واستهوت الناس من جميع الطبقات وبلغ عدد ما طبع من بعض أعدادها خمسة عشر ألف نسخة (١) ويذكر الدكتور محمد صبرى فى كتابه عن تكوين الرأى العام المصرى أن جريدة صنوع شغلت قراءها عن الاستماع إلى مطرب العصر أحمد سالم حين دخل بائع الصحف ، فانصرفوا عن المطرب إلى قراءة الجريدة ، مع أن أحمد سالم كان يترنم بأغنية من وضع أبى نظارة عنوانها (المضطهد) لقى على غنائه لها عشرة أيام فى السجن (٢) . وما كان يمكن أن يحتمل إسماعيل وبطانته صحافة من هذا اللون فأغلق جريدة يعقوب وعالج أمر بقائه فى مصر واستطاع أن ينال موافقة إيطاليا على نفيه وكان صنوع محتمياً بها ، فسافر أبو نظارة إلى باريس حيث أصدر جريدته بأسماء مختلفة ، وقد اضطر إلى ذلك بعد أن حاربتها الحكومة المصرية وحظرت دخولها إلى مصر وحرمت المصريين قراءتها ، وكانت صحيفته تصدر فى أول الأمر باللغة العربية ثم باللغة العربية والفرنسية وقد أصدرها مرة فى ثمان لغات .

---

(١) ص ٦ Paul Baignières : L,Egypte Satirique

(٢) صبرى هامش ص١٢٧ ، ١٢٨ . . . . La Genèse De L, Esprit

كانت جريدة (أبو نظارة) أول صحيفة مصرية فى الخارج ولم تعش فى مصر إلا بضعة أشهر ثم مضى بها صاحبها إلى باريس حيث ينزل كل خصيم للسلطات المصرية، وهنا استطاع صنوع أن ينتج وأن يعلن إنتاجه فى صراحة المطمئن إلى فنه وعمله زهاء خمسة وثلاثين عاما، وقد جعل خطة صحيفته «مصر للمصريين» وكانت تباع فى مصر وفى غير مصر من بلاد الشرق التى رحبت بها ومنحته حكوماتها من أجلها الأوسمة والنياشين (١) وقد ردها إلى اسمها الأول يوم ولى شئون الحكم شريف باشا فى عهدى إسماعيل وتوفيق فكانت صحيفته توزع فى مصر دون رقيب أو حسيب مع ما حملت من المعارضة القاسية والبذيئة فى بعض



يعقوب بن صنوع صاحب جرائد أبى نظارة

الأحيان، ويمتاز صنوع فى عمله الصحفى بباريس أنه كان الكاتب والمدير ومصور الجريدة وطابعها، ولم يكن هذا الصحفى المصرى خالياً من العلم بل كان رجلا مثقفا، شاعراً صادق الشاعرية، قالت فيه لاجازيت دوبوردو «إنه شاعر

---

(١) طرازى. تاريخ الصحافة العربية ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٦

ونظرته للأمور وإن كانت مبهمة إلا أنها عميقة ، وأعجبت به The Standard و The Morning Post ومجدتا سخريته المصرية البديعة ويقول عمدتنا فى تاريخه بول دوبنيير ، إن له نواحى من الضعف بيد أن فيه نواحى من الجمال الحق وصفحات سامية ذات قيمة وجديرة بأن تلفت النظر ، وكان أبو نظارة إلى جانب عمله الصحفى أديباً يجيد اللغة الفرنسية إجادة تامة وخطيبا لا يشق له غبار ومحاضراً ساحراً ، وله محاضرات هامة هزت الرأى العام الأوربى وخصومته ظاهرة جداً للانجليز فى هذه المحاضرات (١)

اضطر أبو نظارة إلى تغيير اسم صحيفته اثنى عشرة مرة بسبب الضغط الشديد الذى فرضته الحكومة المصرية على صحفه سواء قبل الاحتلال أو بعده ، وقد نجح بالرغم من المراقبة فى تهريب بضعة آلاف إلى مصر بلغت عدد النسخ المهربة مرة تسعة آلاف نسخة (٢) وكانت أكثر الأسماء معرفة لدى القراء ، وأبو نظارة زرقاء ، وأبو ، زمارة ، و ، أبو صفارة ، (٣) وكان المحرر ينشر كثيراً من المحاورات الزجلية الطريفة التى تصور حياة مصر وتحمل على خديوها وحكومته يقسو فيها أسلوبه أحيانا حتى يبلغ درجة الفحش الذى تتعفف عنه أكثر الأقلام إسفافا ، وكان بجانب هذا ينشر لونا من النقد الاجتماعى فى أسلوب معظمه عامى دارج دعا به إلى الرحلة والاستفادة منها ، لأن الدنيا شبهوها الفلاسفة بكتاب وقالوا اللى ما خرجش من وطنه كأنه ما قراش إلا أول صفحة فقط ، ثم يعطف الكاتب على مصر ساخراً من تواكل أمته التى يظلمها الظالم ويقسو بها الحاكم حتى إذا كادت تموت جوعا كان احتجاجها ، لك الحمد يارب دى إرادتك ، وهكذا يستمر فى نقده اللاذع الصادق وتصويره الرائع لنفوسنا واستعدادها ، آخذاً على

---

(١) Baignière. p. 9. 18 - 38 106 - 109

(٢) النظارات المصرية ١٥ ـ ١ ـ ١٨٨٠ (الواد المرق ووزيره المشخلم)

(٢) أسماؤها على التوالى : أبو نظارة زرقاء . رحلة أبو نظـارة زرقاء . أبو زمارة . أبو صفارة . الحاوى . الوطنى المصرى . النظارات المصرية . أبو نظارة . الثرثارة المصرية . التودد . المنصف . العالم الاسلامى

مواطنيه تلك الألفاظ التي لا تزال ترن في آذاننا ، ألفاظ التواكل والضعف والاطمئنان حيث لا ينبغي الاطمئنان (١) ومن أهم المحاورات ما دار ، في جلسة سرية في جمعية الطراطير المشهورة بالضحك على ذقون العالم ، وهي تصور مداولات نظارة ذلك العهد ، وأظهر ما في هذه الجلسة حملته على المفتي واتهامه بالإثراء من الرشا ثم يعجب لتدخل دول أوربا الصغيرة والكثيرة في شئون مصر حتى استأسد ملك إيطاليا ، وهو ابن امبارح اللي لسه ماطلعش من قشرة البيضه .

وصحف أبي نظارة وإن كانت اللغة العامية تستغرقها إلا أن بعض أعدادها لم تخل من مقالات عربية فصيحة في أسلوب مسجوع بيد أنه غير ممل لأهل ذلك الزمن وخاصة العامة منهم الذين ربما لا يفهمون منه شيئا ولكنه يرن في آذانهم فيشنفها ويملؤهم رضا وأمنا ، مثال ذلك رسالة « الشفعاوي المحترم » التي يتهم فيها « شيخ حارة وادي النيل » بالظلم والعدوان ويحمل عليه في مقالات متتابعة استغرقت عدة أعداد منها (٢) . وأهم صحفه أربع الأولى - النظارات المصرية وهي « جريدة تاريخية علمية تحرير مصر واسكندرية » والثانية جريدة - أبو صفارة - وهي جريدة « هزلية أسبوعية لانبساط الشبان المصرية يحفظهم رب البرية من المظالم الفرعونية منشئها محب الاستقلال والحرية » ثم جريدة «الحاوي الكاوي اللي يطلع من البحر الداوي عجايب النكت للكسلان والغاوي ويرمي الغشاش في الجب الهاوي » وأخيرا جريدة - أبو زمارة - ولولا تغيير الاسم الذي فرضه تضييق الحكومة المصرية واحتيال صاحبها بهذا التغيير على تحقيق مآربه لظن القارىء أنه يقرأ صحيفة واحدة منسجمة الأفكار متسقة الصور سواء ما كان منها في المعاني أو الرسوم الكاريكاتورية البديعة

وقد أصدر يعقوب إلى جانب صحفه الهازلة صحيفة جادة في لندن سماها

---

(١) العدد السابع ص ٢ (٢) رحلة أبي نظارة زرقاء ، العدد الرابع .

« مرآة الأحوال » وهى رجع الصدى لما فى صحيفته الباريسية من الحدة والعنف غير أن موضوعاتها أكثر اتزاناً من حيث الدراسة العلمية للمسائل السياسية ومن حيث الأسلوب العربى الفصيح ، وأكبر الظن أن هذه الصحيفة كانت مجالا لأصدقائه فى مصر المتبرمين من الخديو وشيعته ، ولم تعمر هذه الصحيفة طويلا إذ وقف نشاطه على صحيفته الهزلية فكانت عليه أجدى وهو بها جدير .

كان يعقوب بن صنوع أول مصرى ينشىء صحيفة حرة فى الخارج ، وقد ضرب المثل الطيب فى نجاحه واستأثر بإعجاب المصريين ، وقد بقى وحده فى فرنسا إلى أن زامله أديب اسحق فى عهد الخديو توفيق ، فقد أغلقت صحيفتاه « مصر والتجارة » (١) بقرار وزارى ، وكان أديب اسحق من أنصار شريف باشا والوطنيين خصوم رياض باشا ناظر النظارة فأوعزوا إليه بالسفر إلى فرنسا والاقتداء بيعقوب بن صنوع وكلفوه نشر صحيفته فى باريس حيث تكون لسان حالهم على أن يتكلفوا هم بتوزيعها فى مصر ، وقد استطاع تحقيق رغبتهم وتمكن أصدقاؤه من توزيعها بالرغم من سلطان رئيس الحكومة وعيونه من رجال الإدارة (٢)

طبعت صحيفته (مصر القاهرة) فى « باريس تحت سماء الحرية ، لنشر ما يعود بالنفع على البلاد العربية ، وهى جزء متمم لجريدة مصر التى كان يصدرها فى القاهرة من حيث الغاية والتقدير للأمور المصرية فى أسلوبه الممتاز حقاً الغنى بالجمال الفنى المملوء بروح الكفاح ، وهو يعلن خطتها فى قوله « أروم مقاومة الباطل ونصرة الحق والمدافعة عن الشرق وآله وعن الفضل ورجاله . . . . وأوضح معايب اللصوص الذين نسميهم اصطلاحا (أولى الأمر) ومثالب الخونة الذين ندعوهم وهما (أمناء الأمة) ومفاسد الظلمة الذين نلقبهم جهلا (ولاة النظام) ومقصدى أن أثير بقية الحمية الشرقية وأهيج فضالة الدم العربى وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين ، وأحيى الغيرة فى قلوب العارفين ، ليعلم قومى أن لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوه ومالا منهوبا فيطلبوه ، وليخرجوا من خطة الخسف وينبذوا عنهم كل

---

(١) الوطن ٢٢ نوفمبر ١٨٧٩ (٢) John Ninet : Arabi Pacha P. 38

مدلس يشترى بحقوقهم ثمنا قليلا ويذيقوا الخائنين عذابا وبيلا ، وليستصغروا الأنفس والنفائس فى جنب حقوقهم وليستميتوا فى مجاهدة الذين يبيعون أبدانهم وأموالهم وأوطانهم وآلهم . . . . . . ، إلى أن يقول ، فمن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن عاش بعد هؤلاء الشهداء فهو سعيد ، (١) . ويستغرق حدة المزاج هذا الأسلوب كما تظهر خطة الجريدة واضحة صريحة فقد وقف الكاتب قلمه على إثارة ، الحمية الشرقية وأهيج فضالة الدم العربى ، وهو يرى الشرق كله جزءاً واحداً ويسمى أهله ، قومى ، وهى نظرة كانت تراها مصر بأثرها فى ذلك الوقت وينادى بها كثير من أدبائها وساستها وصحافتها ، بيد أن أسلوبه هنا كان أروع وأبلغ الأساليب المصرية التى رأيناها فى صحافة مصر جميعاً فقد صدمتنا بعض صحف ذلك العصر بلفظها الحوشى وعباراتها الغريبة ، ولا يقاس أسلوبها مهما يرتفع بأسلوب أديب فى فرنسا وهو أسلوب واضح لا ركاكة فيه صحيح العبارة مستقيمها . وعلى القدر الذى تستمتع به هذه الجريدة من حيث الأسلوب والمعانى فهى تمتاز بالحرية فى باريس فقد مضت تحمل على رياض باشا حملات شديدة قاسية ولقيت الدول الأوربية من قلمه شدة وعنفاً دون أن يكبو بلفظ خارج عن الأدب الصحفى وإن لم يستمهلها هذا القلم مرة واحدة بل روضه صاحبها على أمور ثلاثة : مهاجمة حكومة رياض والحملة على الدول الأجنبية ثم الدفاع عن القضية الشرقية . ولم يطل عهد صحيفة (مصر القاهرة) فقد صدرت شهرية فى أول الأمر ثم أصدرها صاحبها أسبوعية ، وبذل فيها أديب من روحه وقوته بذلا أضناه فقد كان يحررها ويكتب صحفها جميعاً ، ويكتبها بخط يده أو بخط مساعده عبد الله مراش وهو على شىء من الاستعداد الأدبى وجمال الخط ثم يطبعها وزميله على الحجر كما كان يصنع يعقوب ابن صنوع من قبل (٢) وقد أدى هذا الجهد المتصل إلى مرض صاحبها ثم تهيأت

---

(١) مصر القاهرة . العدد الاول ١٨٨٠ (٢) طرازى . ج ٢ ص ٢٥٨

الظروف له بولاية شريف رياسة الحكومة فعاد إلى مصر وواصل عمله الصحفي بجانب إحدى الوظائف الهامة التي ألقيت إليه .

وقد دعا الخديو إسماعيل صديقه إبراهيم المويلحي إلى نابولي ثم أمده بالمال لينشيء صحيفة (الخلافة) سنة ١٨٧٩ تذود عنه وتدافع خصومه وتندد بالأجانب وأعمالهم في مصر (١) ومضى ابراهيم المويلحي على خطا صنوع فينشيء صحيفتي (الأنباء والرجاء) في باريس وإن لم تعمرا طويلا أو يكون لها ما كان (للخلافة) من شأن .

لم تعش إذن من الصحف في الخارج إلا صحيفة أبي نظارة بينما كانت الأحداث في مصر تترى والأمور فيها تزبد حرجا وتشهد البلاد حربا تنتهي باحتلال الانجليز لها وإعدام بعض زعمائها وسجن البعض الآخر ، وكان بين هؤلاء السجناء الشيخ محمد عبده الذي رأت المحكمة نفيه فمضى إلى سورية وبقي فيها سنتين ، وكان صديقه وأستاذه السيد جمال الأفغاني بعيداً عن مصر غير أنه سافر إلى أوربا في سنة ١٨٨٤ فأرسل إلى الأستاذ الإمام كتابا يدعوه فيه إلى السفر في أعقابه (٢) والتقى الاثنان في باريس وهناك دار بخلدهما إصدار جريدة (العروة الوثقى) . وتذكر (صحيفتنا) أن « مدير سياستها السيد جمال الدين الأفغاني ومحررها الأول الشيخ محمد عبده » ويبدو من افتتاحية العدد الأول أن الاتجاه الديني فيها يغلب كل اتجاه آخر « فإن رابطتهم الملية - يقصد المسلمين - أقوى من روابط الجنسية واللغة » وإذا كان الدين في العروة الوثقى له المكان الأول فإن محرر الجريدة لا ينسى وطنه إذ « أن الفجيعة بمصر حركت أشجانا كانت كامنة وجددت أحزانا لم تكن في الحسبان وسرى الألم في أرواح المسلمين سريان الاعتقاد في مداركهم »

---

(١) الرافعي . عصر اسماعيل ج ١ ص ٢٧٢ والاسلام والتجديد في مصر ص ٢٢ والمنار ج ٢٢ ص ٧١٠ (٢) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٢٨٢

وهو يخلص من وصف هذه الآلام إلى تحذير الانجليز وترويعهم ، ولا نأمن أن يصير التنفس — يقصد تنفس المسلمين — زفيراً بل نفيراً عاما بل يكون صاخة تمزق مسامع من أصمه الطمع ».



الشيخ محمد عبده محرر العروة الوثقى

ويتحدث المحرر عن منهج الجريدة وخطتها مبيناً أنها ، ستأتى فى خدمة الشرقيين على ما فى الإمكان من بيان الواجبات التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف وتوضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك مافات والاحتراس من غوائل ماهو آت ، ثم يلتفت الكاتب إلى طبقة الموسرين فيفرض على الجريدة ، أن تكشف الغطاء ما استطاعت عن الشبه التى شغلت أوهام المترفين ولبست عليهم مسالك الرشد وتزيح الوساوس التى أخذت بعقول المنعمين حتى أورثتهم اليأس من مداواة علاتهم وشفاء أدوائهم ، وتعنى العروة أشد العناية بدفع مايتهم به الغربيون الشرقيين عامة والمسلمين خاصة ثم تراعى فى جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة فى أفرادها وتأييد المنافع المشتركة بينها والسياسات القويمة التى لا تميل إلى الحيف

والاجحاف بحقوق الشرقيين » . وسياسة (العروة الوثق) سياسة عالية إن صح التعبير فقد أبت إلا فى النادر أن تمس شخصا من الأشخاص مهما يكن بينها وبينه من سخيمة أو موجدة ، وهى إن اضطرت إلى الحملة على فرد من الأفراد لا تسف إسفاف زميلتها (أبى نظارة) بل تحمل فى أسلوب عف ومنطق سليم ، لذلك كانت العروة الوثق إرثا أدبيا لمصر لا ينكر فضله ، وإن ما كتبه فيها الأفغانى والأستاذ الامام يعتبر فى ذمة التاريخ أفضل ما كتب عن مصر والسودان من وجهة النظر المصرية ، وهى تمتاز بغنى تفكيرها وإخلاصها فى الدفاع وصدق عاطفتها وحرارة بيانها كما تميزت بالمعانى الاجتماعية والسياسية الرفيعة ، وقد أثر الزمان والمكان فى الكاتبين العظيمين فكان انتاجهما فيها خير ما عرف عنهما من إنتاج . وقد أجمع المؤرخون على أن العروة الوثقى اتخذت سياسة العنف مع انجلترا ، ونحن لا ننكر على هؤلاء المؤرخين هذه الحقيقة فقد كانت مقاصد العروة الوثقى الجامعة الاسلامية ثم الرابطة الشرقية وأخيرا المسألتين المصرية والسودانية ، وقد ذكرت الجريدة فى غير موضع أن حل المسألة المصرية برمتها مرجعه أولا إلى الدولة العثمانية صاحبة الحق الشرعى فى مصر وإن كان أمر مصر يهم الدول الأوربية جميعا وخاصة فرنسا ثم روسيا التى يعتمد المصريون عليهما فى تحقيق أمانيهم واستقلالهم وهى مع ذلك ترى أن صداقة الانجليز أمر لا بد منه لوجود قنال السويس فى طريق الهند . وهى تقرر أن الانجليز أمة طامعة بيد أنها ليست من السوء بحيث لا تجوز معها صداقة فإن الانجليز يراعون طبيعة العمران وتطور الزمان . (١)

وقد أخذ على العروة الوثقى تطرفها الدينى ولكنها دافعت فى عددها الثامن عن وجهة نظرها وأبت أن تقر خصومها على وصفها بالتعصب الدينى فذكرت أنها بدفاعها عن المسلمين أحيانا لا تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم من البلاد ويتفق معهم فى المصالح ويشاركهم المنافع أجيالا طويلة وإنما غرضها من هذه الحماسة المتدفقة تحذير الشرقيين عامة والمسلمين خاصة من الأجانب الذين يفسدون

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٣٣١ — ٣٣٢

فى بلادهم ، وأن الجريدة إنما تخص المصريين بالذكر أولا لأن الأجنبيين غدروا بلادهم وأذلوا أهلها واستأثروا بجميع خيراتها (١) ومحرر العروة الوثقى أبعد الناس عن التعصب الدينى وله فى ذلك المواقف المأثورة فإنه صديق لكثير من المسيحيين لا يفرق الدين بينهم فى المصالح الوطنية ، فقد بنى صداقة وطيدة مع أديب اسحق ويبدو ذلك واضحا وهو ينعاه فى العروة الوثقى . وكذلك أقام علائق الود مع يعقوب بن صنوع وقد ذكرنا ذلك من قبل ، وقد دافع عن بطرس باشا غالى يوم طعنت فيه بعض الجرائد المصرية ونسبت اليه التعصب للقبط فى بعض أعماله وكان الأستاذ يومئذ منفيا فى سورية (٢) ثم هو يعنى فى جريدته بالمسالة الشرقية وهى تجمع بين المسلم وغير المسلم . وكل ما كانت ترجوه العروة الوثقى إعادة الحكم الاسلامى والنظم الدينية إلى ما كانت عليه من الطهارة والعدل والكمال فى عصورها الأولى بتأسيس حكومة اسلامية على قاعدة الخلافة الراشدة فى الدين وما تقتضيه حالة العصر لمجد الاسلام فى أمور الدنيا ويتبع هذا إنقاذ المسلمين وغيرهم من الشرقيين من الاستعمار وذله ، ومن أهم أغراض العروة إنقاذ مصر من الاحتلال والسودان من الفوضى (٣) وقد استقبلت العروة الوثقى فى البلاد الاسلامية أحسن استقبال ، ولا عجب فى ذلك فإن لصاحبها فى عالم الدين والأدب والسياسة القدر المعلى ، وقد أحس خطرها الإنجليز قبل صدورها ، وهاجت لفكرتها صحافتهم وفى ذلك تقول الجريدة فى العدد الخامس « عزمنا على انشاء جريدتنا هذه فعلم بذلك بعض محررى الجرائد الفرنساوية فكتبوا عنها قبل صدورها غير مبينين لمشربها ولا كاشفين عن حقيقة سيرها فلما وقف على الخبر محررو الجرائد الانكليزية المهمة أخذتهم الحدة . . . . . وأنذروا حكومتهم بما تؤثر هذه الجريدة فى سياسة الانكليز ونفوذها فى البلاد الشرقية . . . وألحوا عليها أن تعد كل وسيلة لمنع الجريدة من الدخول فى البلاد الهندية والبلاد المصرية بل تطرفوا فنصحوها أن

---

(١) العروة الوثقى فى ١٨ رجب ١٣٠١ هـ — ١٥ مايو ١٨٨٤

(٢) الاستاذ الامام ج ١ ص ٢٨٩ (٣) العروة الوثقى ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٠٢ هـ

تلزم الدولة العثمانية بالحجر عليها » (١) . وقد نجحت فعلا السلطات الانجليزية فى منعها من دخول الهند ومصر ، أما الأخيرة فقد ذكرنا تفاصيل ذلك فى فصل سابق (٢) وقد ذكرت خطتها نحو مصر بهذه المناسبة قائلة « هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين والاستنجاد لهم ولها سعى بل كل السعى لخيبة آمال أعدائهم ولا ترى من مشربها مدح زيد ولا القدح فى عمرو فان المقصد أعلى وأرفع من هذا وإنما عملها سكب مياه النصح على لهب الضغائن لتتلاقى قلوب الشرقيين عموما على الصفاء والوداد ، تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضوارى التى فغرت أفواهها لالتهامهم ، وتتحدث عن السياسة الداخلية فتطلب الانصراف عنها مؤقتا ومن رأيها ، أن الاشتغال بداخل البيت إنما يكون بعد الأمن من طروق الناهب ، هذا منهاج العروة الوثقى عليه كل مطلع على ما نشر فيها من يوم نشأتها إلى الآن فكيف يخطر ببال عاقل أن شرقياً مسلماً أو غير مسلم يميل لحجبها عن دياره ؟ ولكننا نعلم أن حركات الآمرين فى القطر المصرى هذه الأيام قهرية لا يخالطها شىء من الاختيار والمدبر لرحى القهر عليهم هم عمال الانكليز ، إلى أن تقول ، ولا نريد أن نقول للانكليز إنهم ظلموا فى هذا الحكم فإن الجريدة لم يوجد فيها إلى الآن ما يزيد على ما تنشره الجرائد الوطنية والأجنبية ، ثم تختتم حديثها بقولها ، فلا غرابة فى صدور مثل هذا الجور منها غير أننا نعلن لها أن همم الرجال لا تقعدها أمثال هذه المظالم وليس يعجزنا إدخال هذه الجريدة فى كل بقعة تحوطها السلطة الانكليزية ، ذلك بعزائم أولى العزم الذين قاموا بإنشاء العروة الوثقى » (٣)

نقلنا فقرات طويلة مما أذاعته (العروة الوثقى) بعد مصادرتها فى مصر لنبين منها خطر الصحيفة من حيث نظر السلطات اليها ولنجمل فيها بعض غاياتها التى تخللت سطور التعليق وهى تنطق بكراهيتها للتعصب وبعدها عنه ثم توضح ترفعها

---

(١) العروة الوثقى ١٠ أبريل ١٨٨٤ (٢) الوقائع المصرية ١٥ مايو ١٨٨٤
(٣) العروة الوثقى ٢٢ مايو ١٨٤٤

عن التحدث فى الشخصيات واكبارها لطابعها من أن يسف إلى هذا الدرك . غير أن (العروة الوثق) تتطرف فى حملتها على الحكومة المصرية عقب القرار الخاص بمصادرتها وتدعو علانية إلى وسائل العنف وتتمنى أن يكون بين المصريين من يستطيع ولو بأقسى الوسائل إبطال هذه الصفقة ونقض هذه البيعة - وهى تقصد صفقة القرض التى كان يتفاوض فيها نوبار باشا - ويكشف لهذا الوزير «وللمغرورين أمثاله حقيقة الوطنية ويرفع الحجاب عن واجبات الملية لاحول ولا قوة إلا بالله ، إن المولعين بحب الحيـــاة يقضونها من خوف الذل فى ذل ويعيشون من خوف العبودية فى العبودية ويتجرعون مرارات سكرات الموت فى كل لحظة خوفا من الموت ، لاالدين يسوقهم إلى مرضاة الله ولاالحمية الوطنية تدفعهم إلى ما به فخار بنى الانسان » (١) وهـذا لون من المعارضة التى قل مثيلها فى أعدادها جميعاً ، وقد صدر من العروة الوثق ثمانية عشر عدداً بلغ فيها أدب الشيخ محمد عبده الذروة من حيث قوة العبارة وروعة الأسلوب ودقة المعنى ، وقد أقفلت فى ٢٦ ذى الحجة عام ١٣٠١ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٧٨٤ وعاد بعدئذ الأستاذ الأمام إلى مصر وشغل بعض المراكز الكبيرة كمنصب الإفتاء أوالتدريس فى الأزهر أو المساهمة فى المجالس النيابية .

لم يعد للصحافة المصرية من أثر فى الخارج إلا صحيفة يعقوب بن صنوع ولم يكن له أى أمل فى العودة إلى بلاده فكانت صحفه وثيقة اتهام له سواء أمام الاحتلال أوالحاكم الشرعى لمصر ، وقد أتيح للصحافة ورجال الرأى فى مصر من الحرية ماسمح لهاولهم بالحياة والتقدم ولم يكن هناك داع لأن يقوم جهاد الوطنيين على صحف تصدر فى الخارج . وبعد ثمانية وعشرين عامامن اختفاء (العروة الوثق) اضطر محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى وكان طريد السجن السياسى أن يكافح من أجل مصر فى خارج مصر ، فقد غلقت صحف الحزب الوطنى جميعاً وطورد رجاله واشتدت السلطات فى الضيق على حرية الرأى والكتابة ، وأخيرا نزل محمد

(١) العروة الوثقى ٥ يونيو ١٨٨٤

فريد مدينة جنيف، وفى أثناء إقامته هناك تعرف ببعض الشرقيين من الأحرار الذين لقوا مثلما لقى هو من العنت والاضطهاد، فاجتمعوا جماعة واحدة فى ١٩ ديسمبر ١٩١٢ واقترح عليهم رئيس الحزب الوطنى المصرى تأسيس جمعية باسم «جمعية ترقى الإسلام»، وقوبل اقتراحه بالتأييد وأخذ هو يضع لائحتها التى تنظم أغراضها وتوضح اتجاهها. وكانت الغاية من إنشاء هذه الجماعة تقوية روابط التضامن بين الشعوب الأسلامية وتغذية النهضة السياسية فيها والعناية بالنواحى الاقتصادية فى بلاد تلك الشعوب، واتخذت الجماعة مدينة جنيف مقراً لها، ثم رأت أن لا بد من صحيفة تعبر عن أغراضها وتكون لساناً لنشاطها فأصدرت الجماعة صحيفة فرنسية، باسم - Bulletin de la Société End Jouman Terekki Islam (Progrès de L,Islam) وكان صدورها فى شهر مايو من سنة ١٩١٣ وقد بحثت هذه المجلة فى الشئون الشرقية عامة والعالم الاسلامى خاصة سواء ما اتصل بأمور السياسة أو الاقتصاد أو الدين، وهى من حيث اتجاهها تشبه كثيراً مجلة (العروة الوثق) وتمتاز عليها من حيث كثرة محرريها ومن انضم إلى إنشاء الفصول الرائعة فيها كالمستر بلنت صديق المصريين منذ عهد العرابين ومسيو بيير لوتى وكلود فارير Claude Farrere الأديبين الفرنسيين الكبيرين وغيرهما من كبار الأساتذة الفرنسيين، وقد ظلت الصحيفة تحمل طابعها وتذيع آراء هؤلاء الرجال حتى أقبلت الحرب العظمى فتوقفت عن الصدور. ولكن فى خلال تلك الحرب أصدر محمد فريد بك فى جنيف مجلة أسبوعية باللغة الفرنسية تخصصت لشئون مصر وحدها سماها Echo de L,Egypte غير أن الحكومة السويسرية رأت فيها حدة لا تتفق مع مركزها الدولى كأمة محايدة فأبت استمرارها بحجة منافاتها للحياد، ومن ثم أغلقت الجريدة بعد صدور العدد الثانى منها (١)

وقف نشاط الصحافة الوطنية فى مصر والخارج بوقف «مجلة جمعية ترقى الإسلام» عن الصدور، وقف النشاط فى مصر باعلان الأحكام العرفية التى حدت

(١) الرافعى — محمد فريد ص ٣٤١ و ٣٩٣

من الحرية الضئيلة الباقية للصحافة المصرية ، ووقف النشاط فى الخارج بوفاة عميد تلك الصحافة يعقوب بن صنوع سنه ١٩١٢ بعد أربع وثلاثين سنة من كفاح متصل لا يهون ثم باحتجاب صحيفة « ترقى الأسلام » أخيراً فى سنة ١٩١٤ .

واستمر النشاط الصحفى محجورا عليه فى مصر والخارج خلال الحرب العالمية الماضية ثم قامت الحركة الوطنية فى مصر سنة ١٩١٩ واستمرت الصحافة بين التضييق والتيسير ، ولم يكن هناك محل لصحف مصرية تصدر فى أوربا وقد بدأت حياة مصر تستقر فى الداخل لولا أن مصرياً له تاريخ فى الحزب الوطنى القديم أنشأ صحيفة فى جنيف بعد الحرب العظمى هو الشيخ على الغاياتى . والشيخ الغاياتى هو صاحب كتاب « وطنيتى » ولهذا الكتاب تاريخ فى الحركة الوطنية قبيل الحرب العظمى فقد كان الشيخ محرراً فى اللواء فى سنة ١٩١٠ فأخرج فى يولية من السنة المذكورة ديوانا من الشعر أسماه (وطنيتى) احتوى على تأريخ شعرى لحوادث مصر خلال عامين ، وكتب رئيس الحزب الوطنى محمد فريد ورئيس تحرير اللواء الشيخ عبد العزيز جاويش مقدمة لهذا الكتاب ، ولم يكن فى الكتاب شىء يستحق المؤاخذة ويستدعى المقاضاة لأن قصائده نشرت جميعاً فى الصحف السيارة غير أن فى الكتاب قصيدة عن الشيخ على يوسف وجريدته (المؤيد) حمل الشاعر عليهما فيها حملة قاسية ، فنشرت (المؤيد) بضعة أنهر عن هـــذا الكتاب وفيها دعوة خفية إلى النيابة بالقبض على الغاياتى ومن صدر له ديوانه (١) وتحقق ما دعت اليه (المؤيد) واستجابت النيابة العامة إلى الدعاء . فصادرت الكتاب ومضت تحقق مع مؤلفه وأقامت الدعوى العمومية على محمد فريد وهو فى خارج مصر وعلى الشيخ جاويش بحجة أنهما يدعوان إلى الجرائم السياسية ويحبذان ارتكابها ويحضان على إهانة الهيئات الحكومية ثم احالتهما إلى محكمة الجنايات فقضت عليهم جميعا بالسجن مدداً متفاوتة (٢) بيد أن الشيخ الغاياتى استطاع أن يهرب من

---

(١) منبر الشرق فى ٦ مايو ١٩٣٨ (٢) المؤيد فى ٤ يوليو ١٩١٠

سجنه إلى الآستانة ومنها إلى جنيف حيث استوطن ذلك البلد زهاء سبع وعشرين سنة وأصدر فيه جريدة عربية فرنسية فى جنيف سنة ١٩٢٢ وهو يحدثنا بعد عودته إلى مصر عن تاريخ هذه الصحيفة التى أعوزتنا أعدادها فى المكاتب العامة فيقول « صدر العدد الأول من هذه الجريدة ـ واسمها بالعربية (منبر الشرق) وبالفرنسية La Tribune d,Orient ـ فى جنيف يوم الأحد ٥ فبراير عام ١٩٢٢ (٩ جمادى الثانية ١٣٤٠) وعاشت هناك ما يقرب من ستة عشر عاما ، وكان بها ، فى أول عهدها بجانب القسم الفرنسى صفحة عربية كثيرة المتاعب كبيرة النفقات ثم رؤى الاكتفاء باللغة الفرنسية وهى لغة البلاد التى تصدر فيها والأوساط التى تريد مخاطبتها ، وقد نمت وترعرعت وانتشرت فى الشرق والغرب وبات لها ذكر حسن واسم معروف وخصوصاً فى مركز جمعية الأمم التى عملت فيه ما استطاعت على خدمة مصر والشرق والاسلام » . ويرجع الفضل فى نجاحها كما يقول صاحبها اليه وإلى بعض البيوتات التجارية فى جنيف التى أمدته بالاعلانات ، ثم يحمل على المصريين البخلاء ذوى المال والجاه الذين « لا يزالون مدينين لهذه الجريدة » ثم يمضى فى تاريخه لها قائلا « وقد صدر آخر عدد (من منبر الشرق) فى جنيف يوم الأربعاء ٢٦ مايو عام ١٩٣٧ (٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٥٦) ، وكانت خطة الجريدة كما يقول صاحبها العمل على أن يكون « الشرق للشرقيين » (١) . ومجمل القول فى (منبر الشرق) أنها ختمت حياتها فى جنيف عام ١٩٣٧ وعادت إلى الظهور فى القاهرة بعيدة عن جميع الأحزاب فى سنة ١٩٣٨ .

وفى سنة ١٩٣٣ أصدر الدكتور محمود عزمى صحيفة فى لندن سماها (العالم العربى The Arabic World) على أن تكون صحيفة أسبوعية غير أنه جعلها شهرية ابتداء من العدد الثانى وقد تضمنت أعدادها المختلفة إشارة إلى اتجاهها فهى ترنو إلى تنوير الرأى العام الانجليزى وشرح المسائل الشرقية المعقدة شرحا مفصلا لعل هذه البحوث تقيم علاقات من الود والصداقة بين الشعب الانجليزى وشعوب

---

(١) منبر الشرق فى ٦ مايو ١٩٣٨

الشرق المختلفة . وقد تناولت بعض أعدادها المسائل الاقتصادية والتجـــارية والاجتماعية فى جميع الدول العربية . وكان لها مكاتبون فى عواصم الشرق المتباينة ونشرت أحيانا بعض القصص بأقلام مصرية أو أجنبية . وتعتبر مجـلة (The Arabic World) مثالا رائعاً للذوق السليم من حيث شكلها وإخراجها فقد حفلت بالصور الواضحة لرجال الشرق المشهورين كما احتوت أعدادها على بعض الصور الكاريكاتورية الرائعة .

وبصحيفة عزمى يتم تاريخ الصحافة المصرية فى الخارج غير أن معظم تلك الصحف كان يتجه اتجاها شرقيا دينياً وهو سمة اجتمعت عندها جميع الصحف المصرية التى صدرت فى الخارج فيما خلا صحف يعقوب بن صنوع وصحيفة محمود عزمى فكانت صحفا مصرية حقا بمعانيها وروحها ، ولهذه الصحف أثر مشكور فى تعريف الأجانب بالشرق وبمصر خاصة وفى ذلك من الدعاية للحركة الوطنية ما قوم رأى الكثيرين من الأجانب الحاملين على مصر ورجالها ، وهذه الصحف جميعا تتفق فى الحملة على الاحتلال الانجليزى ؛ ولذلك أثره فى تحرز الانجليز وتحفظهم فى معالجة أمور المصريين وتقدير النتائج ووزنها إذا كشفت أمور الاحتلال فى الخارج ، وهى صحف قادرة على الرواية الصريحة التى لا يقف دونها قانون المطبوعات فى باريس أو لندن أو جنيف ، وقد استطاعت هذه الصحف على قلتها وعلى اختلاف نزعاتها أن تكتسب لها فى تاريخ الصحافة المصرية بابا من أفضل أبوابها وأكثرها روحا وحياة .

الفصل الحادي عشر

تاريخ التشريع الخاص بالمطبوعات فى مصر

يكاد إجماع الفقهاء والباحثين ينعقد على أن المطبوعات — وفى مقدمتها الصحافة — تجد فى قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ أول تشريع ينظم شئونها ويضبط مسائلها ، ولا يعد هذا الرأى مبالغاً فيه إذا نظر إلى قانون سنة ١٨٨١ على أنه أول أداة تشريعية مصرية سايرت نشاط الصحافة وسائر المطبوعات فى مختلف مراحلها فتعرضت للتحرير كما تعرضت للطبع والتوزيع والنشر. وإذا كان رأى هؤلاء الفقهاء صحيحاً من حيث اكتمال الأداة التشريعية بهذا القانون فإنه يكون رأياً مبتسراً من ناحية الأصول التاريخية . فإن المعنيين بشئون الصحافة وتاريخها يمكنهم أن يردوا تاريخ المطبوعات إلى عهد الحملة الفرنسية على مصر ، فقد عرفت البلاد فى غضونها أول تشريع للمطبوعات أصدره بونابرت فى ١٤ يناير ١٧٩٩ فى صورة أمر احتوى على ست مواد أكمله الجنرال عبد الله منوفى مرسومه الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ الخاص بجريدة (التنبيه L'Avertissement)(١)

ثم أسس محمد على مطبعة بلاق فى سنة ١٨١٩ على صورة متواضعة تتصل بحياة الحكومة وحدها ، فقد تكفلت بمطبوعاتها وهى عبارة عن كتب للدراسة والعلم لا تستوجب نظما أو لوائح وقوانين تحدد سياستها وتنظم أمورها ، فمضت شئون النشر فيها هينة إلى أن أخذت تتعقد أحوالها باتساع أعمالها وخطر

---

(١) راجع هذا الموضوع فى « تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية » للمؤلف

آثارها بحيث أصبح من المتعذر أن تسير المطبعة على فطرتها أو تطرد على طبيعتها ودعت الأحوال الجديدة إلى إصدار الأوامر ووضع اللوائح وسن القوانين وتحديد سياسة للطبع فيها ووضع نظام للرقابة على مطبوعاتها ، ويروى لنا Brocchi السائح المعروف المناسبة التى تم فيها التشريع الأول للمطبوعات فى مصر ، فيذكر أنه كان بين مدرسى مدرسة الفنون المدرس الإيطالى Bilotti وقد نظم هذا المدرس قصيدة شعرية طويلة سماها « ديانة الشرقيين » أساء فيها إساءة بالغة إلى الإسلام والمسلمين ، ودعا فيها إلى التهوين من أمر هذا الدين والسخرية برجاله . وقد اتفق بيلوتى سراً مع نقولا مسابكى افندى ناظر مطبعة بلاق على نشر قصيدته فى المطبعة وكان مسابكى تلميذاً لإيطاليا وأحد مبعوثى الوالى فيها ، وهو نصرانى لا يعنيه من أمر الدين الإسلامى شىء وإيطاليا فى ذلك الوقت موطن العداء لهذا الدين ، فتم طبع القصيدة دون علم الوالى . بيد أن سولت Salt قنصل انجلترا فى مصر وقتئذ كان فى خصومة مع الناظم الإيطالى فرأى فى هذه الفرصة وسيلة يتوسل بها للإيقاع به ، فروى للباشا الخبر وكشف له عن طبع القصيدة بالمطبعة الأميرية ، وتبين للباشا أن فى الكتاب لحشاً فى القول وزراية بالدين إلى درجة أنه يستحيل على أى حكومة أن تقبل ألفاظه أو معانيه مهما تساهل فى حرية النشر أو حرية القول والكتابة ، فأمر محمد على بمخطوط الكتاب فألقى فى النار وكاد يقتل مسابكى ، ولولا شفاعة عثمان نور الدين من رجاله المقربين لتم القضاء على الكتاب وناشره معا ، ومن ثم أصدر الباشا أمراً فى ١٣ يوليو ١٨٢٣ (٤ ذى القعدة ١٢٣٨) يحرم طبع أى كتاب فى مطبعة بلاق إلا إذا استصدر مؤلفه أو ناشره إذنا خاصا من الباشا بطبعه ، وفرض أشد العقوبات جزاء لمن يخالف هذا الأمر . (١)

ويعتبر أمر محمد على هذا أول تشريع للمطبوعات فى عهد أسرته ، وقد انصب على الأجانب والمصريين جميعاً ، وآية ذلك أننا لا نجد مطبوعا فى مطبعة بلاق إلا

---

(١) Brocchi G.D. Viggi in Africa, Giornale Esteso in Egitto.. T.I p. 370

ونجد أمراً عاليا بطبعه وعليه خاتم المطبعة وتاريخ نشره وذكر أن ولى النعم أصدر أمره بأن يطبع فى المطبعة لما رأى فيه ، من الفائدة والملاءمة ، حتى ولو كان أمر الطبع صادراً من دواوين الحكومة الرسمية ، ويروى أرتين باشا أن محمد على كان متأثراً فى أمره هذا بقوانين فرنسا المعمول بها فى ذلك الوقت (١) وعندى أن الباشا لم يرجع فى ذلك إلى مرجع فإن الحادث من الوضوح والقرار من البساطة بحيث لا يدعو الأمر إلى استشهاد بقانون أجنبى أو نقل عن تشريع من التشريعات وهو أول قانون للمطبوعات وآخر قانون لها فى عهده وعهد خليفته ابراهيم وعباس .

هذا فيما يختص بنشر الكتب ، أما علاقة محمد على بالصحف فكانت علاقة صاحب البيت ببيته ، صدرت فى عهده خمس صحف ، (جرنال الخديو) فى أول الأمر حوالى سنة ١٨٢٢ ثم (الوقائع المصرية) فى نهاية ١٨٢٨ ثم (الجريدة العسكرية) حوالى سنة ١٨٣٣ وجريدة (لومنيتور أجبسيان) قرابة ذلك الوقت ثم جريدة (Lo spettatore Egiziano) فى سنة ١٨٤٦ ، الصحف الثلاث الأولى صحف الدولة الرسمية ، والصحيفة الفرنسية صحيفة شبه رسمية أما الصحيفة الأخيرة فجريدة للاعلانات . وكانت (الجريدة العسكرية) خاضعة لرقابة صاحب الدولة السر عسكر ابراهيم باشا وهى خاصة بالشئون العسكرية الخالصة و(جرنال الخديو) جريدة الوالى وحده بعد إنشاء (الوقائع) أما الجريدتان الأجنبيتان فكانت أخبارهما كلها منقولة عن الوقائع ، وإذن تكون (الوقائع المصرية) هى الجريدة الفذة التى شغلت من حياة الدولة جهداً وإشرافا ، اشترك فيها الموظفون ومنحت للعلماء وفرضت على التلاميذ فى مصر وخارجها ووزعت فى بلاد العرب والشام وكريت ، فهى فى حياة الدولة شىء خطير بعيد الأثر ، وقد أشرف محمد على بنفسه على (الوقائع) وإخراجها فكان يكلف موظفيه بكتابة المقالات ويوعز بنشر الأخبار ويراجع مسودات الجريدة قبل طبعها ويعاقب

---

(١) هامش ص ٣٥ Artin Pacha : Lettres du Dr. Perron à M. Mohl

المسئولين إذا أساءوا اختيار الخبر أو المقال ، وكانت أوامره ورقابته لها لونامن ألوان التنظيم التي سبقت تشريع المطبوعات في عهد خلفائه (١)

وفي عهد سعيد باشا صدر تشريعان للمطبوعات أوسع نطاقا مما ذهب إليه محمد علي في نشر الكتب أو رقابة (الوقائع المصرية) أحدهما خاص بالمصريين والثاني خاص بالأجانب ، وقد تضمن « قرار من المجلس الخصوصي » ماهية التشريع الذي سرى على المواطنين ننشره هنا لبيان الفائدة من نشره ولأهميته في تاريخ المطبوعات .

« تقدم لديوان الداخلية عرض من ملاطية لى محمود محمد كتابجى بخان الخليلي ينهي أنه حصل له مضايقة في أمر المعاش وله معرفة في فن الطباعة على الحجر ولأجل الإعانة على معاشه يريد تدوير عدة طباعة واحدة فقط لطبع بعض كتب صغيرة لازمة لتعليم الأطفال لأجل سهولة معاشه ومنفعة الأطفال تحت ظل الخديوي فلدى المذاكرة عن ذلك بالمجلس الخصوصي قد رؤى من حيث أن رفاهية العباد وسهولة إدارة أمر معاشهم من أقصى آمال الجناب الداوري فبذا لا مانع من الترخيص لمن يكون ذو معرفة لإدارة مطابع بملازم الحجر لإدارة أمر معاشه إنما يكون ذلك من بعد أن يؤخذ عليه سند الشروط من ورق الدمغة على الوجه المشروع وهو :

أولا - أن كل كتاب أو رسالة يراد طبعها لا يصير الابتدى في طبعها ولا تجهيز لوازمها ولا عقد شروط مع يريد الطبع والالتزام ولا أخذ شيء منه ما لم يقدم نسخة ذلك إلى نظارة الداخلية لأجل مطالعتها والنظر فيها إن كانت مضرة للديانة ولمنافع الدولة العلية والدول الأجنبية والعامة أم لا ومتى وجد أن لا مانع من طبع ذلك ووافق هذا بالديوان فيعطى اليه الرخصة اللازمة وإن طبع شيء من هذا بدون اذن يصير من المخالفين

---

(١) تاريخ الوقائع المصرية للمؤلف من ٣٠ - ٨٧

ثانياً — لا يطبع ولا ينشر جرانيل وغازيتات وإعلانات من دون استحصال الرخصة من ديوان الداخلية وإن فعل ذلك بدون استئذان تغلق وتسد مطبعته .

ثالثاً — إذا طبع ونشر كتب ورسايل إهانة للديانة وللبوليتيقة والآداب والأخلاق فيجرى ضبط وتوقيف هذا بمعرفة الضبطية.

رابعاً — المطبعجى لا له أن يطبع عدد زيادة عن الشروط المنعقدة ماينه وبين الملتزم أو من يريد الطبع بمطبعته وإن طبع شيء زيادة عن الشروط يعد سارق ويترتب جزاه بمقتضى القانون مع ضبط مايوجد زيادة واجرا الأصول فيه .

خامساً - إن حصل من المطبعجى أدنى مخالفة من هذه البنود فيعد مخالف إلى النظام ويجرى غلق مطبعته وترتيب جزاه بالنسبة لخفة وجسامة الجنحة تطبيقا للقانون .

الخاتمة - عنما يختص بالتعهد الذى يؤخذ على المطبعجى يذكر فيه إنى قد قبلت هذه الشروط الموضحة بالخمسة بنود وللمعاملة بموجبها ويشرط على نفسه أن لايعقد مع أحد شروط طبع كتب أورسايل أو غازيتات أو إعلانات أو خلافه بدون استحصال الإذن من ديوان الداخلية وصدور الأمر بالرخصة وأنه قابل برضاه واختياره بالاجراء على وجه ماشرح بهذا وعلى هذا النسق يصير الاجرا مع كل من يعرض من ذوى المعارف فى إدارة مطبعة لمعاشه كما استقر الرأى بالمجلس ، (١)

وقد جمع القرار بين الكتب والصحف والرسائل والاعلانات ، والواقع أنه بالرغم مما يتبادر إلى الذهن من قسوة فى الشروط التى وضعها الشارع فان هـذا

(١) محفوظات عابدين . دفتر مجموع إدارة واجراءات س ٣٠٧ تابع مأموريات مأمورى الضبطية فيمن يرخص له بادارة مطابع برانية — قرار المجلس الخصوصى فى ٢٧ جاد أول ١٢٧٥ هـ

القانون كان تشريعاً سهلا ليناً لأن ناس ذلك الوقت كانوا بطبعهم مسالمين، وكانوا فى حالة فكرية - من حيث التعليم وتناول أساليب الحياة - لا تسمح باختلاف على مصلحة عامة تدفعهم إلى السياسة ومشاكلها، كما كانوا مؤمنين بفطرتهم لا أمل للإلحاد والملحدين بينهم، وكان القانون صدى للقانون العثمانى المعمول به فى الدولة العثمانية وإن لم يصدر فى نصه واكتفى المجلس الخصوصى بروحه، وهو شبيه أيضا بالقانون الذى صدر من أجل الأجانب فى مصر وسائر ولايات السلطنة العثمانية وقد كان للأجانب فى مصر على عهد سعيد دالة على حكومته فقد أمدلهم الباشا فى رحابه فكثر عددهم واستتبع ذلك إنشاء خمس صحف فرنسية وإيطالية غير صحيفة السلطنة العربية التركية، وطبعى أن هذا العدد الكبير من الصحف كان يقتضى رقابة من الحكومة الشرعية فى البلاد حتى تأمن نتائج الآراء المتضاربة التى تذيعها هذه الصحف المتباينة، فكانت تجيز الترخيص بهذه الصحف، على شرط ألا تتجاوز فيما تنشره قوانين الدولة العلية وألا تذكر أى شىء ضد الحكومة المحلية(١) والراجح أن بعض هذه الصحف قد تجاوز حدوده فاضطرت حكومة سعيد إلى أن تبلغ قناصل الدول منشور التنظيمات الصحفية التى صدرت فى الآستانة فى ٦ يناير سنة ١٨٥٧ (٢) وأرسلتها إلى هؤلاء القناصل فى كتاب وقعه ناظر الخارجية فى شهر ديسمبر عام ١٨٥٧ وقد صدرت هذه القوانين لتنظيم العلاقات بين الحكومة العثمانية وبين رعايا الدول فى داخل الدولة وفى سائر ولاياتها (٣) ومن هذه القوانين جزء خاص بالصحف بلغ كما ذكرنا إلى القناصل ليذيعوه على رعاياهم حتى يعملوا بمقتضاه، وننشر هنا أهم المواد الخاصة بالمطبوعات لنبين حقوق

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣١ سجل ٥٢٥ معية تركى ص ٦٤ قسم ثانى

Legislation Ottomane

(٢) وزارة الخارجية ﺟ ٣ ص ٣١٨ رقم ١ - ٢٥ ارشيف الباب العالى

Evolution De La Législation sur La Presse En Egypte

(٣) عبد المجيد صادق رمضان ص ١٥ و ١٦ طبعة عام ١٩٣٥

الحكومة المصرية والتزاماتها التي خلقتها حالة جديدة لم تكن تعرفها مصر من قبل (١)

مادة (١) يجب الامتناع بتاتا عن كل نقد لأعمال الحكومة .

مادة (٢) يجب تجنب كل مجادلة في المسائل التي لا تهم مباشرة السلطنة والتي من شأنها أن تضر بالعلاقات الحسنة القائمة مع الدول.

مادة (٣) يجب الاقتصار في نشر المراسلات الواردة من المقاطعات على سرد الحوادث دون نقد أو تعليق على أعمال الموظفين . ويجب ألا تنشر المراسلات إلا بعد إرسالها إلى مكتب الصحافة .

مادة (٤) بما أن الوقت لايسمح بتقديم المسودات ليلة النشر يجب على المحررين أن يوضحوا شفويا للشخص القائم على مكتب الصحافة ما تحتوى عليه افتتاحية الجريدة التي ستنشر وأن يتبعوا الملاحظات التي يمكن توجيهها اليهم .

مادة (٥) لا بد من أخذ رأى مكتب الصحافة قبل نشر الجريدة وذلك لتجنب إذاعة الأخبار الباطلة .

مادة (٦) على الجريدة أن تفتح صفحاتها لتكذيب وتصحيح المقالات المنشورة في أوروبا والتي يعرضها مكتب الصحافة .

مادة (٧) كل مخالف لهذا القانون تعاقب عليها الجريدة أولا بانذارها وبعد ثلاثة إنذارات تعاقب بالايقاف المؤقت أو النهائي .

مادة (٨) يضاعف الجزاء في حالة الرجوع إلى ارتكاب الجرم ماعدا الاستثناءات التي ينص عليها القانون

Manuala di Diritto Publico F. Privato Ottomano. Domenico Gatteschi

(١) ص ٥٤٠ إلى ص ٥٧٥ طبعة ١٨٦٥

مادة (٩) كل من ينشىء مطبعة أو ينشر كتباً أو نشرات أخرى دون ترخيص من الباب العالى أو كل من يسمح لنفسه بنشر أو طبع جرائدأو كتب أو مطبوعات أخرى ضد الحكومة أو موظفى الباب العالى أو ضد أية دولة من الدول الخاضعة لتركيا ، هذه الجرائد والكتب والمطبوعات تصادر ويلزم المسئول على قدر مسئوليته بقفل مطبعته مؤقتا أو نهائيا ويعاقب بدفع غرامة من عشرة الى خمسين جنيها مجيدياً

ويختم ناظر الخارجية تبليغه لقنصل كل دولة بقوله « تحدد هذه النصوص المختلفة فى شىء كثير من الايضاح واجبات الصحفيين والناشرين ولا يترك أى شك فى السبيل التى يجب أن تتبع ، هذا بخلاف القواعد الخاصة بالعرض والنشر والأشياء الأخرى من اختصاص الشرطة ، الى أن يقول « ولكى يكون هذا الكلام أكثر وضوحا أضيف إلى ذلك ما يأتى :

أولا — كل شخص يمتلك أو يستغل مطبعة قائمة بالفعل دون ترخيص سابق يجب عليه أن يحصل على هذا الترخيص فى مهلة مقدارها شهر ابتداء من هذا المنشور وإلا فلا يسمح له بمباشرة عمله ويكون معرضا لقفل مطبعته .

ثانيا — وأن مكتبا للصحف أنشىء فى هذه النظارة — يقصد نظارة الخارجية — لتطبيق هذه القواعد »

ثم يطلب ناظر الخارجية من القناصل فى مصر أن يذيعوا منشوره السابق الذكر على رعايا دولهم ويبين أن الحكومة مصممة على تنفيذ هذه النظم والقوانين المعمول بها فى السلطنة العثمانية وهو حق لها وواجب عليها أيضا ، ثم يأمر بنشر هذه القواعد والقوانين فى مختلف جرائد القطر حتى لا تكون هناك حجة لأحد .

عرضنا لكتاب الوزير المصرى الذى تضمن القوانين التى بمقتضاها تنشر صحف وتنشأ مطابع ، وقد اجتزأ الوزير بعض المواد التى احتوى عليها قانون المطبوعات العثمانى ، وليست مواد قانون الصحافة التى نشرناها موادحرفية لقانون

المطبوعات التركى بل هى تحمل روحه وطابعه دون الصيغة الأصلية كما أنها لم تأت مفصلة ولم يراع الوزير المصرى فى تبليغها للقناصل حرفية القانون بل بسطها تبسيطا ملحوظا إذا قورنت المواد المنشورة بالقانون التركى الأصلى وقد عمدت الحكومة المصرية كما رأينا إلى بعض مواد قانون الصحافة دون غيرها و بلغتها للقناصل إذ كان يهمها أشد الاهتمام الامتناع عن نقد أعمالها بما قد يؤثر على الأمن أو يدعو إلى اضطراب فى أفكار الأجانب ، وهى كذلك حريصة على إعفاء موظفى الحكومة من الملاحظات التى قد توجهها إليهم هذه الجرائد فاشترطت لتحقيق هذه الرغبة أن يقر الأخبار التى تذيعها الصحف عن الحكومة وموظفيها مكتب للصحافة أنشأه سعيد فى نظارة الخارجية . وليست الأخبار وحدها المطلوب رقابتها بل إن الافتتاحيات أيضا كانت تمر على المسئولين فى مكتب الصحافة أو يقرها موظفوه مشافهة على شريطة أن يذعن المحرر للاعتراضات التى توجه اليه اجتنابا لإذاعة الأخبار الباطلة ، وكذلك فرض قانون الصحافة على الجرائد الأجنبية فى مصر أن تفتح صدرها لتكذيب وتصحيح الأخبار التى تنشرها صحف أوربا أو يذيعها المغرضون عن الحكومة المصرية ، وقد أخذ مكتب الصحافة على عاتقه تزويد الصحف بهذا كلما دعت الحاجة إلى تكذيب أو تصحيح . ولكى تمكن الحكومة لسلطانها على هذه الصحف رسمت عقوبات مختلفة ستفرضها على من يخالف مواد القانون أو يستهين بها ، كما عمدت إلى أن تجعل لهذا القانون أثراً رجعياً فكل صاحب مطبعة أو ناشر ينبغى أن ينال ترخيصا بفتح مطبعته أو نشر جريدته وإلا تعرض لجزاء يقضى على مطبعته ويعطل صحيفته وألقيت كل هذه المسائل الصحفية الجديدة التى نشأت فى الحياة المصرية على مكتب الصحافة الذى أنشأته حكومة الوالى فى سنة ١٨٥٧ . ومع أن علاقة الحكومة بالمطبوعات أصبحت واضحة بعد هذين القانونين إلا أنه ينبغى أن نذكر أن الحكومة كالت لهذه المطبوعات بكيلين ، فالأجانب كانت لهم الحظوة وكان لهم فى قناصلهم حصـــانة حالت فى كثير من الأحيان دون تنفيذ القانون أو رقابة الدولة كما نص التشريع ، فقد فتح السيد محمد

هاشم من رعايا أمير المغرب مطبعة حروف دون استئذان الحكومة ، فاستفسرت الضبطية المصرية من الوالى عما يجب أن تصنعه فكان رد سعيد كافيا ليظهر لنا مدى تحمس الدولة لتنفيذ أوامرها ، يذكر والى مصر للضبطية أن « محمد هاشم ، من طرف أمير المغرب ، وإنه إذا كان قد فتح مطبعة حروف دون إذن الحكومة وموافقتها فإن له امتياز الصلة بالسيد عبد القادر الأمير المذكور ، فيامبارك إن الأشياء التى مثل هذا لم هى يد واحدة ، مثلما تعملوا ، ! ثم يقرر له أن الناس أمام القانون غير متساوين وخاصة إذا اعتزوا بأمير أجنبى ، إن أصول اليدية الواحدة مرفوع وملغى . إفهموا ذلك » ! (١)

فهذا الكتاب يبين لنا أن القانون لم يطبق بدقة فى بعض الحالات التى تشفع فيها وشائج الصلات الأجنبية ، ويمكن المؤرخ الذى يسجل العلاقة بين الحكومة المصريه والصحافة فى مصر أن يجمل هذه المسائل التى ظهرت فى عهد سعيد فيقرر أن الصحافة لم تكن حرة قط ، فالحكومة ترى نفسها صاحبة حق فى إذاعة الأخبار ونشرها وأنها إن نزلت عن هذا الحق لأحد من الناس فإنما يكون ذلك بترخيص منها ، لها فيه حقوق واسعة ، وبالرغم مما تصورة عمليه الإصدار هذه من التزمت فإن الحكومة أرادت أن تقى نفسها من خطر مايذاع وينشر فسمحت للكاتب أن يتخير موضوعه ثم فرضت عليه أن يعرض كتاباته قبل نشرها . وقد كان للتشريعات الصحفية التركية أثر بعيد المدى إذ مضت الحكومة المصرية تنفذها على رعاياها وتطبقها على رعايا الدول فى مصر ثم عدلت التنظيمات الصحفية بقانون صدر فى الآستانة فى يناير سنة ١٨٦٥ من خمس وثلاثين مادة أهم ماورد فيها الشروط التى تتوافر فى مدير الصحيفة التى يراد إصدارها ، ففرض أن يكون عثمانى الجنسية وألا يقل عمره عن ثلاثين سنة وأن يكون متمتعا بكامل حقوقه المدنية ولم تصدر

---

(١) محفوظات عابدين . دفتر مجموع أمور إدارة ص ٣٠٧ . تابع مأموريات مأمورى الضبطية فيمن يرخص له بادارة مطابع برانية . أمر تركى فى ١١ ذى القعدة عام ١٢٧٧ ه رقم ٣٧ سايره .

فى حقه أحكام مخلة بالشرف ، على أن يقدم الطلب لناظر المعارف وأن يودع مصدر الصحيفة نسخة منها قبل توزيعها موقعا عليها من المدير المسئول فى إدارة المطبوعات ، وقضت المادة الثالثة من ذلك القانون بأن للأجانب حق إصدار الصحف بشرط أن تسرى عليهم الشروط التى تسرى على الأتراك ، وأن يكون للقضاء العثمانى دون القنصلى حق الفصل فى القضايا الصحفية ، وللحكومة أن تمنح أو تمنع الترخيص بدون إبداء الأسباب . وقد فسرت الحكومة العثمانية هذا القانون بأمر الصدارة العظمى الرقيم ١٣ مارس سنة ١٨٦٧ ولم يختلف القانون ولا أمر الصدارة عن تشريع يناير سنة ١٨٥٧ فى شىء من حيث الجوهر ، ثم صدر القانون الهمايونى فى ١١ ديسمبر سنة ١٨٧٠ مقرراً حرية المطبوعات فى الدولة وسائر ولاياتها إلا أنه — من الناحية العملية على الأقل — لم يجب ما سبقه من قوانين وأوامر وخاصة حق الحكومة فى إلغاء صحف الأجانب بصفة إدارية

وقد سعى الخديو إسماعيل جهده فى كسب ود الصحافة ، وحرص على أن يكون إليه أمرها ، فمنحها من الحرية ما عطل القوانين التى ذكرناها ، وكان شخصه المرجع فى كل ما يتعلق بها ، وكان بيده أن يمنح الترخيص لها أو يقبض ذلك عنها . وقد يبدو ونحن نعرض للصحافة المصرية وعلاقتها بالحكومة وعلاقة الحكومة بها فى عهد إسماعيل أن هناك شيئا خفيا يربط هذا كله ، فإن الصحف تجاوزت فى عهده السبعين جريدة بين عربية وفرنجية وبين جريدة ومجلة . ومن بينها ما كانت له مع الحكومة مواقف موالية أو مناهضة ، لذلك وضحت فى عهد الخديو اسماعيل وظيفة مكتب الصحافة أو إدارة المطبوعات على أدق تعبير ، فقد افتتح إسماعيل عهده بكتاب شريف باشا إلى القناصل يبين لهم فيه ما فعلته نظارة الخارجية لتنظيم العلاقات بين الحكومة وبين رعايا الدول المشتغلين بالنشر والصحافة . وقد بقى سهم هذا المكتب محجوبا حتى سنة ١٨٦٦ ففى ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣ هـ (٢٦ أكتوبر ١٨٦٦ م) كتب اسماعيل راغب مأمور الأمور الخارجية إلى المعية يذكر لها أن ولى النعم ، وافق على تأسيس قلم صحافة يلحق بنظارة الخارجية ليقوم بالاجراءات المتعلقة

بالجرائد وغيرها من المطبوعات ، (١) وكان من شأن هذا المكتب الإشراف على الصحافة ورعاية شئونها ومراقبة أقلام أصحابها ، وقد صدر أمر جديد بإعادة تنظيم مكتب الصحافة فى ٢٠ أبريل ١٨٦٩ وبقى المكتب على حاله ملحقا بنظارة الخارجية وتخصص لمراجعة ما ينشر فى الصحف من عربية وغير عربية ، فإذا وجد فيها ما يؤاخذ عليه كان من وظيفته دراسة جرائم النشر هذه ، ثم عليه بعدئذ أن يعد التقارير بالموضوعات التى تستحق المؤاخذة أو الموضوعات التى من شأنها أن تهم الحكومة معرفتها ويرفعها إلى الجهات العليا وهى هنا مجلس النظار ، وأصبح هذا المكتب يتكون من خمسة أعضاء ، ثلاثة من الأجانب أحدهم الرئيس وهو إذ ذاك جودار بك Goudard Bey وكان رئيسا للمكتب الأوربى فى الوقت نفسه ، ثم اثنان من الوطنيين (٢) توزعت اختصاصاتهم فيما بينهم ، فكان على العضوين المصريين مراقبة الصحف الوطنية العربية منها والتركية بينما اختص الثلاثة الآخرون بمراقبة الصحف الفرنجية ، وقد بقى مكتب الصحافة قائما حتى صدر قانون المطبوعات المصرى فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ (٣)

وقد حدثت بعض التغييرات فى شئون الصحافة بعد ذلك إذ صدر أمر خديوى تضمن تعيين حقوق النظارات المصرية ، فقرر أن تكون الجرائد والمطبوعات تابعة لنظارة الداخلية ابتداء من ١٣ ديسمبر ١٨٧٨ (٤) وقد أصبح للمشرف

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣٧٤ محفظة ٣٩ معية تركى فى ١٥ جمادى الآخرة ١٢٨٣ هـ ولفهم التفاصيل الخاصة بهذا المكتب يرجع إلى الوثيقة رقم ١١ دفتر رقم ٥٦٠ معية تركى فى أول شعبان ١٢٨٣ هـ . من المعية إلى نظارة الخارجية

François Levernay. Guide Annuaire 1872 - 1873

(٢) ص ١ باب الحكومة المصرية

(٣) مجموعة القوانين واللوائح المعمول بها فى مصر . أحمد محمد حسن بك وايزيدور فلدمان ج ٢ ص ١٤٥٩ — ١٤٦٣

(٤) التجارة فى ١٣ ديسمبر ١٨٧٨

على الوقائع المصرية حق الإشراف على الصحف والمطبوعات الأهلية (١) وذلك خلاف المطبوعات الفرنجية، وفى ذلك شكت الصحف، من التناقض والتخالف بين إدارة المطبوعات والإدارة الوطنية فإنهما على طرفى نقيض فى معاملة الجرائد تلك تطلق لها العنان ولا تعارضها فى ما تقول، والثانية تقف لوريقاتنا القائمة بخدمة الوطن، (٢) وهى حالة شاذة، بخلاف ما عليه فى الدولة العثمانية وسائر الدول فى العالم المتمدن، (٣)

ولم يكن الترخيص بإصدار الصحف أمراً هيناً، فقد كان على الراغب فى إصدار صحيفة من رعايا الدول أن يكتب إلى قنصليته وهذه تكتب إلى مكتب الصحافة الملحق بالنظارة المختصة، وتلك بدورها تستأذن المسئولين فى ديوان الخديو (٤) ثم يعرض الأمر على ولى النعم فإذا وافق فإنما تجيز موافقته الأمر بشروط منها، أن تكون - يقصد الصحيفة - خاضعة للقانون الموضوع لهذا الشأن والمعلوم لدى نظارة الخارجية، ومن أهم هذه الشروط أن تؤخذ على طالب الترخيص التعهدات مصدقا عليها من قنصليته، وليس لأجنبى حق طلب الترخيص مباشرة كما ذكرنا وليس له أن يتصرف فى طلب الترخيص الممنوح له بالبيع أو النقل إلى شخص ما إلا اذا اتبعت مع المالك الجديد نفس الاجراءات التى اتبعت مع صاحب الترخيص الأصيل (٥) واذا أراد صاحب جريدة أن يضيف إلى جريدته مواد جديدة لم يذكرها فى ترخيصه كأن يضيف إليها الشئون السياسية وكانت من قبل خلواً منها اتبعت نفس الإجراءات التى اتبعت فى طلب الترخيص حتى يبلغ الموافقة أو الرفض

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٩ فى ٢٦ محرم ١٢٩٣ هـ

(٢) التجارة فى ٨ يناير ١٨٧٩ . وفيها انذار من مدير الوقائع والمطبوعات

(٣) التجارة فى ١٠ مايو ١٨٧٩

(٤) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣١ سجل ٥٢٥ معية تركى قسم ثان ص ١٦٤

(٥) راجع فى ذلك المحفوظات التاريخية بسراى عابدين . وثيقة رقم ٦٥ و ١١٠ أصلية محفظة ٣٠ معية تركى فى ٣ ذى القعدة ١٢٧٩ هـ

من الخديو نفسه . (١) وقد حفلت محفوظات عابدين التاريخية بالوثائق التى تثبت أن الخديو وحده كان يمثل قانون المطبوعات ويهيمن بنفسه على شئون الصحافة فقد طلب الخواجة « بيرينيه » أن يسمح له بإصدار جريدة لنشر وإذاعة أخبار المسارح والقهوات على ألا تتدخل فى السياسة مطلقاً بيد أن « المعية » رفضت التصريح بذلك (٢) ولم يكن فى وسع أى سلطة حكومية حتى ناظر الخارجية أن تشير برأى فى منح الترخيص دون الرجوع إلى الخديو ، يدلنا على ذلك وثيقة تقول بعدم الموافقة على طلب المسيو الكسندر بانوتسى بإصدار جريدة تبحث فى الأدب والتمثيل « بالنظر لتغيب الجنـــاب العالى الخديوى » (٣) . ولم تكن العلاقة معقدة هكذا بين الحكومة المصرية والصحافة الوطنية ، فكان المواطنون من أصحاب الصحف المصرية العربية يتقدمون إلى مكتب الصحافة دون وساطة أو شفاعة يطلبون الترخيص لهم بإصدار صحفهم ويسمون طلبهم هذا « العرضحال » (٤) ولا بد أن يمر الطلب فى إجراءات مماثلة لما يجرى مع أصحاب الصحف من الأجانب ، بمعنى أن الخديو وحده كان صاحب السلطان فى إجازة الترخيص أو رفضه .

وقد استمر الحال على ما ذكرنا إلى أن تقررت المسئولية الوزارية وكف الخديو إسماعيل يده عن التدخل فى الشئون السياسية ، وأخذت الحكومة الشريفية فى تنظيم شئون الصحافة فجعلت المطبوعات الفرنجيـة والعربية فى إدارة واحدة (٥) وحدد هذه الشئون قانون المطبوعات المصرى الصادر فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ مشتملا على ثلاث وعشرين مادة نشرتها الوقائع فى ٢٩ نوفمبر ١٨٨١

---

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣٨١ محفظة ٤٧ معية تركى فى ٦ ذى الحجة ١٢٩٢ هـ

(٢) عابدين وثيقة ١٢٨ فى ١٣ صفر ١٢٨٠ دفتر ١ ص ٦١ (٣) عابدين وثيقة ٨ فى ١٤ صفر ١٢٨٦ هـ (٤) راجع عرضحال الوطن المنشور فيها فى ١٧ نوفمبر ١٨٧٧

(٥) المحروسة فى ١٥ نوفمبر ١٨٨١

تضمنت المواد من الأولى إلى العاشرة شروط فتح مطبعة وضرورة الحصول على ترخيص بذلك مقابل دفع تأمين نقدى وفرضت على صاحب المطبعة عند قيامه بطبع أى صحيفة أن يخطر إدارة المطبوعات بنظارة الداخلية كتابة بعزمه على على ذلك . ثم حددت أنواع المطبوعات التى ينسحب عليها القانون فذكرت أنها جميع المطبوعات أياكان نوعها ومهما تكن الطريقة التى استعملت فى طبعها، ولم ينس القانون أن يواجه الجزء الذى يترتب على مخالفة أحكام هذه المواد فذكر أنه الغرامة أو القفل أو المصادرة على حسب الأحوال . وفى المواد من ١١ إلى ١٦ ينتقل القانون إلى الجرائد والرسائل الدورية فينص على ضرورة الإذن بها من الحكومة قبل إصدارها كما ينص على أن هذا الإذن شخصى ويجب تجديده كلما تغير امتياز صاحب الجريدة أو النشرة أو رئيس تحريرها أو مديرها كما فرض دفع تأمين نقدى يتفاوت مقداره تبعاً لعدد مرات صدور الجريدة أو الرسالة فى الأسبوع . وأثبت حق الحكومة فى تعطيل أو مصادرة أو قفل أى جريدة أو رسالة دوريه بأمر من ناظر الداخلية بعد إنذار وبقرار من مجلس النظار بدون إنذار ، وذلك بغية المحافظة على النظام العام أو الآداب أو الدين ، كما أجاز الجمع بين التعطيل وبين توقيع غرامة تتراوح بين خمسة وعشرة جنيهات، وواجه القانون الجزاء الذى يحيق بكل من يخالف قرار التعطيل أو يتحايل على صدور الجريدة أو الرسالة سواء كان ذلك تحت اسمها الأصيل أو تحت أى عنوان آخر فنص فى هذه الحالة على عقاب كل من محررها وصاحب امتيازها وصاحب المطبعة بغرامة تتراوح بين خمسة إلى عشرين جنيها عن كل عدد أو صحيفة تصدر منها فضلا عما يناله صاحب المطبعة من إلغاء رخصته وإغلاق مطبعته وتنصب المواد الأخيرة من القانون على المطبوعات والصحف التى تصدر فى خارج القطر المصرى فأعطت لناظر الداخلية حق منع دخول مايراه منها وقررت غرامة لكل من يدخل أو يوجد فى حيازته مطبوع جرى عليه قرار المنع ، كما واجهت بعض هذه المواد مسألة لصق المطبوعات ونشرها فى الميادين والشوارع وقررت منعها متى كانت

تنطوى هذه المطبوعات على أخبار سياسية وقررت غرامة لكل من يرتكب هذا الفعل مع عدم الاخلال بالمسئولية الجنائية التى قد تنجم عن هذا العمل ، وكذلك فرضت المادة التاسعة عشر أصولا للتوزيع فنصت على ضرورة الحصول على ترخيص يعطى بالمجان لكل من يوزع كتابا أو صحيفة أو رسالة أو نقوشا ، ويعنينا من المواد الباقية المادة الثانية والعشرون التى الغت بهذا القانون كل قانون أو لائحة أو أمر أو منشور مخالف له . ويعتبر هذا القانون صدى للقانون الفرنسى الصادر فى سنة ١٨٥٣ (١) والمتأمل فى نصوصه عكس ما احتوى عليه قانون المطبوعات الفرنسى الصادر فى سنة ١٨٨١ - يدرك مبلغ ما فيها من تزمت وتضييق وخاصة لأنها أجازت للسلطات الإدارية حقا فى تعطيل الصحيفة على الوجه المبين فى المادة الثالثة عشر وذلك كلما كان هذا التعطيل متعلقا بمصلحة النظام العام أو الدين أو الآداب ، وهو سلاح خطر يستطيع الحاكم أن يجهز به على حياة الصحف فى كل حين ، ولن تعوزه حجة فى دفع غاشية تهدد النظام العام أو الآداب كلما تحركت به شهوة العنت والانتقام .

وقد سجلت أحكام محكمة الاستئناف المختلطة فى هذه الفترة التى أعقبت إصدار قانون المطبوعات المصرى مبادىء قانونية نبهت الحكومة إلى التخفيف من ضغط نصوص هذا القانون ونزعت بها إلى التقليل من استعمال ما أجازته لنفسها من حق التعطيل الادارى ، ويعتبر هذا الدور الذى لعبه القضاء المختلط تتميما للتشريع ومصدراً من مصادر القانون (٢) إذ أن القانون ليس مراسيم تصدر بل هو مجموعة من التشريع ثم من الأحكام العليا التى ترتبت عليه يعود إليها القضاة كلما أعوزهم تفسير أو تعليل ، وقد ترتب على ما ذكرنا أن أصدر ناظر الداخلية قراراً بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ (٣) فسر به بعض نصوص قانون ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ يعنينا

---

(١) ملخص مبادىء الصحافة العامة — لمحمود عزمى ص ٣٩

(٢) رمضان فى كتابه السابق ص ١١٠ — ١١٣

(٣) البرهان ٥ يناير ١٨٨٢

منه أنه أعفى صاحب المطبعة من إخطار نظارة الداخلية بعزمه على طبع الجريدة أو الرسالة كلما كان ميعاد صدور هذه الجريدة أو الرسالة أقل من شهر اكتفاء بالترخيص للصحيفة أو الرسالة فى هذه الحالة ثم أصدرت ادارة المطبوعات فى ١٧ يناير سنة ١٨٨٣ منشوراً قررت فيه جواز استبدال الضمان النقدى بكفالة شخصية فى حالات معينة (١) وهذا القرار يمثل تطوراً ذا أثر فعال فى زيادة النشاط الصحفى لأنه يعالج عقبة كبيرة فى طريق الكثيرين ممن تتوافر فيهم الكفاية ويعوزهم المال. وفى ١٣ نوفمبر ١٨٨٣ صدر قانون العقوبات الأهلى وقد خص الشارع جرائم النشر بباب خاص هو الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى وحدد فيه عقوبات الصحفيين ثم عدل قانون العقوبات فى ١٤ فبراير ١٩٠٤ لسد النقص الخاص بالصحف. وقد ظل قانون المطبوعات المصرى الأول الصادر فى ١٨٨١ معمولا به وإن أهمل تطبيقه أحياناً إلى أن فرضت الظروف على المسئولين العودة إلى قانون المطبوعات وتطبيقه على الصحافة المصرية. وقد أعيد العمل بهذا القانون فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ نتيجة للافلاس السياسى البريطانى فى حياة المصريين وقد طبق على الصحف الحديثة وحدها، فألزم الصحفيين الجدد بالحصول على الترخيص الذى قد يمنح وقد يمنع، أما الصحف القديمة التى كانت قائمة فى ذلك الوقت فقد أعفيت من وجوب طلب ترخيص جديد واعتبر أن مطابعها قد دفعت التأمين الذى نص عليه القانون. وقد عدلت المادة الثالثة عشر من قانون المطبوعات وكان ينبغى أن يعرض هذا التعديل على مجلس شورى القوانين كما تقضى بذلك المادة الثامنة عشر من القانون النظامى، كما أن عودة القانون بقرار من مجلس النظار باطل من الناحية الفقهية لأن قانون العقوبات الأهلى الصادر فى سنة ١٨٨٣ قد أفرد باباً خاصاً لجرائم الصحافة، ومن القواعد المعلومة فى التشريع أن كل قانون يصدر مخالفاً لقانون سبقه يجب ما يخالفه من النصوص ولو لم ينص على الغاء هذه النصوص ومع ذلك نصت المادة الخامسة والعشرون من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية على هذا المعنى، ثم عدل قانون العقوبات فى سنة ١٩٠٤ لسد النقص فى جرائم النشر

---

(١) الوقائع ١٩ يناير ١٨٨٣

ومعنى هذا كله أن قانون العقوبات الصادر فى ١٨٨٣ والمعدل فى سنة ١٩٠٤ قد جبا قانون المطبوعات الصادر فى ١٨٨١ ولا يملك مجلس النظار العودة اليه بقرار منه لأن قرار المجلس أضعف قوة من أى قانون

ثم عقبت الحكومة على العودة إلى قانون المطبوعات بسن قانون جديد يقضى باحالة تهم الصحافة إلى محاكم الجنايات وهو القانون رقم ٢٧ الصادر فى ١٦ يونيه سنة ١٩١١، وكانت من قبل تجرى محاكمتها أمام محكمة الجنح (١) وقد دعاها إلى إجراء هذا التعديل أنها رأت الصحافة تحاكم على درجتين ابتدائية واستئنافية وفى ذلك فرصتان للصحافة والصحفيين فضلا عن أن أحكام محاكم الجنح فى جرائم النشر كانت إذ ذاك هينة لا ترضى رغبات السلطات التى عادت بالصحف إلى قانون المطبوعات القديم ، فرأت الحكومة إحالة هذه الجرائم إلى محاكم الجنايات إرهابا للصحف وحرمانا لها من درجتى التقاضى حسب النظام السابق . ثم عدل قانون العقوبات تعديلا آخر فى نفس السنة (٢) وهو تعديل خاص بالاتفاقات الجنائية. وهو يتصل بالصحافة من حيث منع نشر المرافعات فى القضايا الجنائية إذ اعتبر نشرها مضراً بالأمن العام ، ثم قرر الشارع المسئولية الجنائية على مديرى الصحف ولو لم يتوافر فيهم القصد الجنائى ، كما أضيف نص يعاقب على التهديد بالكتابة أو القول ولو لم يكن التهديد مقرونا بطلب ما ، بعد أن كان التشريع القديم لا يعاقب إلا إذا قرن التهديد بسلب المال.

وتتابعت الأحداث السياسية على البلاد بعد الحرب العظمى إلى أن انتهت باعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذى قرر انتهاء الحماية البريطانية واعترف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وتبع ذلك صدور الأمر الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ بوضع نظام دستورى للدولة المصرية قرر فى المادة الخامسة عشر من الباب الثانى

---

(١) الرافعى — محمد فريد ص ١٨٨

(٢) هو قانون رقم ٢٨ لسنة ١٩١٠ الصادر فى ١٦ يونيه ١٩١٠

الذى ينص على حقوق المصريين وواجباتهم أن الصحافة حرة فى حدود القانون والرقابة على الصحف محظورة وإنذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الإدارى محظور كذلك الا اذا كان ذلك ضروريا للنظام الاجتماعى . وواضح أن هذا النص يقرر حرية الصحافة وهى أهم مظهر من مظاهر حرية الرأى التى كفلها الدستور ، وهذه الحقوق تتقرر للصحافة المصرية للمرة الأولى فلم يعترف لها تشريع سابق من التشريعات التى مرت بنا بحق الحرية أو الحماية ضد عسف الحكام ونزواتهم ، بيد أن المشرع ما عتم أن استطرد فى نهاية النص فأجاز الرقابة والإنذار والوقف والالغاء بالطريق الإدارى إذا كان ضروريا لوقاية النظام الاجتماعى ، فكأن المشروع سلب باليسار ما أعطاه للصحافة باليمين . وقد حاول أحمد ذو الفقار باشا وزير الحقانية وقتئذ أن يبرر الشطر الثانى من هذه المادة وهو يحدثنا عن مذكرته الخاصة بالدستور ففسر حماية النظام الاجتماعى بالبلشفية مثلا . ونرى أنه كان فى قانون العقوبات غنية عن هذا التذييل الذى زعزع المبادىء التى اشتمل عليها النص ورد الصحافة مرة أخرى إلى عهد السيطرة الفردية بما لا يجمل بعهد يجب أن يقف فيه الدستور حائلا دون كل بطش أو إرهاب . والواقع أن هذا التذييل لم يكن من صنع لجنة الثلاثين التى وضعت نصوص الدستور ، فقد جاء نص المادة الخامسة عشر كما صاغته هذه اللجنة خلواً من كل قيد أو استثناء لمبدأ عدم جواز تعطيل أو وقف أو إلغاء الصحف بل تقرر هذا المبدأ للصحف بصفة مطلقة وغير معلق على شرط ولكن أبت التعديلات التى أدخلت على مشروع لجنة الثلاثين إلا أن تتناول فيما تناولته هذا النص فاقتحمته بهذا التعقيب الذى نسخ مفعول النص ولواه عن قصده.

وقد يكون من واجب الحكومة المصرية تدبير الحماية الكافية للمباعدة بين المجتمع وبين الاتجاهات البلشفية أو غيرها ، بيد أن وسيلة ذلك لا تكون فى تمكين الحاكم من رقاب الصحف وإلا كان ذلك قتلا لحرية الرأى وخنقا لنشاط الفكر والقول ، ولا ينبغى أن ننسى أن المشرع قد كفل للحكومة حقوقها جميعا فى قانون للعقوبات يحمى النظام العام والكيان الاجتماعى ويدرأ عن الدولة أخطار المذاهب التى تخافها

الحكومة المصرية ، وهنا يكون المهيمن على تطبيق الجزاء ضمير القاضى وهو على أى حال أمنع على الهوى من ضمير الحاكم . ومما تجدر ملاحظته أن جميع الدساتير الأوربية الحرة التى أخذ عنها الدستور المصرى قد تجردت من هذا الاستثناء الذى تعلق به مشرعنا ، فنى أوربا الديموقراطية تكتب الصحف ما تريد وتنشر ما يروقها من المبادىء والدعايات ، ولا تستطيع يد الحكومة أن تبطش بها إلا إذا ساقتها إلى ساحات المحاكم وثبت عليها خروجها على القانون والحدود المرسومة له ، وما ذلك كله إلا مبالغة فى حماية حرية الصحافة وعصمة لحرية الفكر من نزوات البطش والطغيان .

وقد صاحب صدور الدستور مشروع قانون المطبوعات ظل مشروعا من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٣١ وقضى هذا المشروع بأن يكون صدور الصحيفة خاضعا لمبدأ الإخطار وكان هذا الإخطار مقيداً بفترة ثلاثين يوما إذا انتهت دون معارضة من الحكومة ملك صاحب الإخطار إصدار الصحيفة دون إذن بذلك ، وإذا عارضت الحكومة فى صدور الصحيفة خلال الثلاثين يوما التالية ليوم تقديم الاخطار رجع صاحب الاخطار إلى المحاكم يقاضى الحكومة ولو بالتعويض على الأقل ، وفرض هذا المشروع شروطا فى رئيس التحرير ورؤساء أقسام التحرير فى الصحافة العربية تتصل بكفاياتهم العلمية وتجاربهم الصحفية وسنهم وألا تكون قد صدرت ضدهم أحكام مخلة بالشرف أو بالإفلاس أو بالفصل الادارى من وظيفة عامة أو الشطب من جداول المهن الحرة كما نص مشروع القانون على ضمانة مالية للجرائد اليومية تختلف بعض الشيء عن المجلات ، وبقى هذا المشروع معطلا حتى جاء دستور ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٣٠ فأثبت من جديد نص المادة الخامسة عشرة فى دستور ١٩٢٣ بحذافيرها وما انطوت عليه من التذييل المعيب الذى أسلفنا ذكره ، غير أنه لما كان روح الدستور يرمى إلى الضغط على الحريات العامة التى تقررت فى دستور ١٩٢٣ فقد لجأت الحكومة — برغم إحتفاظ الدستور الجديد بنفس النص — إلى تعديل نصوص الباب الرابع عشر

فى قانون العقوبات الصادر فى سنة ١٩٠٤ وهو الباب الذى تناول العقاب على الجنح التى تقع بواسطة الصحف وغيرها من طرق النشر ، وكذلك الباب السابع من الكتاب الثالث من القانون المذكور بشأن القذف والسب وصدر بهذا التعديل مرسوم بقانون فى ١٨ يونية ١٩٣١ وقد عدل المشرع نصوص المواد من ١٤٨ إلى ١٦٨ كما أضاف اليها بعض الأحكام الجديدة . وقد رمى المشرع بهذا التعديل إلى التشديد فى العقاب المقرر للجنح وجرائم القذف والسب الأمر الذى يعرض - فى رأيه - الأنظمة السياسية للفساد ويخرج بها عن الغرض المقصود منها ويجعل حرية الصحافة ذاتها فى خطر ، وأنه بمقتضى هذا التعديل يمكن تعطيل الجريدة بالطريق الإدارى ثم إحالتها إلى المحاكمة حتى لا تستطيع التعريض بالأسباب التى من أجلها أحيلت إلى القضاء ، وهذا التدبير انما اتخذ فى التعديل الأخير ضمانا لاحترام القضاء الجنائى .

والقانون الذى يحكم الصحافة فى الوقت الحاضر هو قانون المطبوعات رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ ولكى نتعرف على أهم القواعد التى اشتمل عليها هذا القانون لا بد أن نربط بينه وبين قانون آخر للمطبوعات وهو القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٣١ (١) وأول ما يطالعنا فى قانون سنة ١٩٣٦ أنه ألغى ضرورة الحصول على ترخيص أو ضمانة مالية لفتح مطبعة كما كان يشترط قانون ١٨٨١ واكتفى باخطار الحكومة ثم تقديم بعض النسخ من كل مطبوع قبل التوزيع وكذلك الحال فيما يختص باصدار الجريدة فهو كقانون سنة ١٩٣١ وعلى خلاف قانون ١٨٨١ يكتفى باخطار المحافظة أو المديرية مع تقديم بيانات خاصة عن أصحاب الجريدة أو محرريها أو ناشريها والمطبعة التى تطبع فيها وغير ذلك ، كما تضمن بعض الاجراءات الخاصة بهذا الاخطار كحق صاحب الجريدة فى اصدارها بعد شهر من يوم اخطار المحافظة أو المديرية مالم تكن هناك معارضة من جانب السلطة المختصة فى خلال هذا الشهر .

---

(١) انظر قانون العقوبات (السعيد مصطفى السيد)

وكاعتبار هذا الاخطار كأن لم يكن اذا لم تصدر الجريدة فى ظرف الشهور الثلاثة التالية للاخطار كما وضعت بعض الأحكام الأخرى التفصيلية التى لا تختلف فى جوهرها عن قانون سنة ١٩٣١ وان اختلف القانون فى هذه البيانات التفصيلية أشد الاختلاف مع قانون سنة ١٨٨١ الذى كان ينص صراحة على ضرورة الحصول على الترخيص ولم يكن يتضمن شيئا عن نظام صدور الجريدة . وقد عدل قانون ١٩٣٦ الشروط الواجب توافرها فى رئيس التحرير أو رؤساء أقسام التحرير فرفع شرط عدم الحكم فى جناية على إطلاق التعبير ونص على عدم الحكم فى جناية عادية وأخرج جناية العيب فى الذات الملكية لأنها جناية سياسية ورفع شرط عدم الحكم مرتين فى قذف وشرط عدم الفصل إداريا من وظيفة عامة وشرط الشطب من جدول مهنة حرة وعدم الجمع بين عضوية البرلمان والصحافة كما أن القانون أجاز ضمان الكفيل ولم يفرض الكفالة النقدية التى تتراوح بين ثلاثمائة ومائة وخمسين جنيهاً والتى نص عليها قانون سنة ١٩٣١ وإنما ترك لطالب الترخيص اختيار ما يرتضيه من الوسيلتين . وقد تضمن قانون سنة ١٩٣٦ حكما هاما وهو إلغاء النص الذى كان يقضى به قانون ١٩٣١ وهو حق إلغاء الجريدة أو إقفال المطبعة بالطريق الإدارى وأصبح هذا المنع الإدارى مقصوراً على المطبوعات الواردة من الخارج والتى من شأنها أن تسىء إلى النظام العام أو المطبوعات المثيرة للشهوات أو المطبوعات التى تتعرض للأديان أو ما يكدر السلم العام ولا يكون هذا المنع على أى حال الا بقرار من مجلس الوزراء . أما الجرائد التى تصدر فى مصر بلغة أجنبية ولا يكون رئيس تحريرها أو محرروها المسئولون خاضعين لاختصاص المحاكم الأهليه فقد نص قانون ١٩٣٦ على حق مجلس الوزراء فى تعطيلها بعد انذار يوجهه اليها وزير الداخلية أو بدون إنذار سابق ، وقد ألغى هذا النص بعد توحيد قانون العقوبات ابتداء من ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٧ وكأثر من آثار الغاء الامتيازات الأجنبية أصبح قانون العقوبات الذى تطبقه المحاكم الأهلية هو عينه الذى يطبقه المحاكم

المختلطة ولم يعد لدينا سوى قانون واحد للعقوبات وهو القانون رقم ٥٨ سنة ١٩٣٧ (١) الذى اعتمد فى أساسه على قانون العقوبات الأهلى القديم الصادر فى سنة ١٩٠٤ ومع ما لازمه على مر السنوات وتحت الظروف المختلفة من التعديلات والإضافات ، ويهمنا من أمر هذا القانون الجديد أن المواد التى تعرضت منه للجرائم التى تقع بواسطة الصحف وغيرها من طرق النشر وهى الواردة تحت الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى وكذلك المواد التى تعرضت للقذف والسب وإفشاء الأسرار وهى الواردة فى الباب السابع من الكتاب الثالث أصبحت سارية المفعول على المصريين والأجانب وتطبق أمام المحاكم الأهلية والمختلطة على السواء .

وكان آخر ما اتصل بشئون التشريع الصحفى قانون نقابة الصحفيين وهى فكرة قديمة حاولها العاملون فى الصحافة الفرنجية فى مصر منذ خمسين سنة وكانت فكرتهم تتميز بطابعها الأجنبى ، فقد أرادوا منها قوة تعيش فى ظل الامتيازات الأجنبية وتحول دون بطش الحكومة المصرية بهم ، ثم وجدت نقابة مصرية فى سنة ١٩٢٠ بيد أنها مضت متعثرة يغلب فيها اعتبار أصحاب الصحف واعتبار الامتيازات الخاصة بهم دون التفكير فى أرباب الأجور العاملين فيها (٢) وقدروعى هذا الروح فى قانون « جماعة الصحافة » الذى صدر به مرسوم فى سنة ١٩٣٦ غير أن هذا القانون بقى معطلا ولم يعمل به ولم تجرؤ حكومة من الحكومات المصرية على تعيين مجلس الإدارة الأول وظلت أمور الصحافة على شىء من الفوضى إلى أن صدر قانون « نقابة الصحفيين » وعمل به سنة ١٩٤١ (٣) ويشبه هذا القانون فى كثير من النواحى أحدث نقابات الصحافة فى العالم . وأهم ما جاء فى هذا القانون أنه خالف جميع المحاولات السابقة التى صدرت عن الجهود الخاصة أو التشريعات الحكومية فانتقل بنا من اعتبار الصحيفة وامتيازاتها إلى اعتبار وتقدير العاملين فيها وحقوقهم

---

(١) قانون العقوبات المصرى الجديد — السعيد مصطفى السعيد
(٢) ملخص مبادىء الصحافة العامة ص ١١٠ — ١١١
(٣) الوقائع المصرية فى ٣ ابريل ١٩٤١

والتزاماتهم فسمى جماعتهم « نقابة الصحفيين » وهو يجمع فى الصحافة بين ملاك الصحف والمحررين فلا يجعل منهما طائفتين متنافرتين بل يعمل على تضامن عناصر الطائفة العامة فى الصحافة وتقرير قواعد مزاولتها فى لون من ألوان الاحتراف ويسهر القانون على بيان العادات المرعية فى أسمى معانى المهنة الصحفية بدل أن يترك أمرها فوضى من غير ضابط ولا وازع وذلك أمر يدعم الصحافة ويؤكد تقاليدها ثم يعنى الشارح بعقد استخدام الصحفيين والتعويضات التى تستحق لهم عند فسخه فيحميهم من استبداد أصحاب الصحف وكذلك ينظم تسوية المنازعات التى تنشأ بين النقابة أو بينهم وبين غيرهم ثم ينشىء لهم صندوق ادخار يقى الأعضاء العوز والفاقة عند الكبر أو العجز عن العمل . وقد مضت المادة الثالثة من قانون نقابة الصحفيين تحدد أغراض النقابة ومن أهمها العمل على صيانة حقوق الصحفيين وتحديد حقوقهم وتنظيم علاقة الصحافة مع الحكومة والجمهور وسن القواعد المنظمة لمزاولة المهنة وبيان العادات المرعية فيها وتوقيع الجزاء على المخالفين لمبادىء مهنة الصحافة ولوائحها وعاداتها المرعية ثم العمل على تكريم الصحافة وإعلاء شأنها بين الجماعة المصرية كما فرض القانون على النقابة أن تبتعد عن المسائل السياسية والدينية . وقرر القانون حقوقا للصحفيين أهمها حصر لقب الصحفى فى أعضاء النقابة وتوقيع العقاب على من يدعى هذا اللقب كما جاء ذلك فى المادة الثانية والعشرين ، وأعطى القانون أعضاء النقابة مزايا كثيرة قررتها المادة الثالثة والعشرون فذكرت أن « لأعضاء النقابة وحدهم حق الانتفاع بالمزايا والمنح التى تمنحها السلطات العامة بقصد تسهيل مزاولة المهنة كتذاكر الانتقال والمرور ، والشروط الخاصة فيما يتعلق بأعمال البريد والتلغرافات والتليفونات والسكك الحديدية وتعطى وزارة الداخلية تذكرة إثبات شخصية خاصة لجميع أعضاء النقابة » وذلك بجانب بعض المزايا الأخرى الحاصلة فعلا وإن لم تنص المادة عليها كالامتياز الجمركى بجانب امتياز أجور البريد وهو امتياز قديم منذ سنة ١٨٦٩ . وتعتبر نقابة الصحفيين التى صدر بها القانون فى سنة ١٩٤١ آخر مجهودات الحكومة فى تنظيم مسائل الصحافة

وعلاج مشاكلها وهى على أى حال خطوة طيبة جداً فى تحرير الصحافة من ربقة الفكرة الشائعة عنها بأنها مهنة لا تستأهل اهتماما أو تستوجب تقديراً ، كما أنها أظهر المجهودات التى بذلت لتقرير حقوق الصحفى والعمل على صيانة كرامته .

وإذا كانت الحكومة قد رأت تكريماً للصحافة واعترافا بفضلها على جوانب الحياة المصرية أن تنشىء لها وللعاملين فيها نقابة تحفظ حقوقها وحقوقهم فإن ذلك وحده لا يكفى ما دامت الاتجاهات فى بعض العهود يشوبها التضييق على حرية الصحافة حتى إن الدستور لم يكفل لها حياة حرة طلقة ، ولا يستطيع المؤرخ أن يزعم أن الاتجاه نحو التيسير على الصحافة والعاملين فيها كان اتجاها مطلقا ليس له حدود .

مراجع البحث

١ — وثائق لم تنشر (اكتفينا بالاشارة إليها فى الهوامش)

٢ — كتب عربية ومعربة

ابراهيم عبده — تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ - ١٨٠١ القاهرة ١٩٤١

ابراهيم عبده — تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨-١٩٤٢ القاهرة ١٩٤٢

أحمد شفيق باشا — مذكراتى فى نصف قرن . القاهرة . الطبعة الأولى

أحمد عزت عبد الكريم — تاريخ التعليم فى عصر محمد على . القاهرة ١٩٣٨

أحمد محمد حسن بك وايزيدور فلدمان — مجموعة القوانين واللوائح المعمول بها فى مصر جزءان فى ١٩٢٦

آدمس (تشارلز) — الإسلام والتجديد فى مصر . ترجمة عباس محمود جزءان فى ١٩٢٦ القاهرة الطبعة الأولى

اسماعيل سرهنك — حقائق الأخبار عن دول البحار الجزء الثانى طبعة ١٣١٢ﻫ

الجبرتى (الشيخ عبدالرحمن) — عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . أربعة أجزاء القاهرة ١٣٢٢ ﻫ

السعيد مصطفى السعيد — قانون العقوبات المصرى ١٩٣٧

الشدياق (أحمد فارس) — الواسطة فى معرفة أحوال مالطة وكشف المخبأ عن فنون أوربا . القسطنطينية ١٢٩٩ ﻫ

أمين باشا سامى — تقويم النيل الجزءان الثانى والثالث ، القاهرة ١٩٢٨ و ١٩٣٦

بلنت — التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر ، ترجمة البلاغ الطبعة الأولى

جرجس حنين بك	الأطيان والضرائب فى القطر المصرى ، القاهرة ١٩٠٤
جودت	تاريخ جودت ترجمة عبد القادر افندى الدنا بيروت ١٣٠٨ هـ
جورجى زيدان بك	تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر . جزءان فى مجلد القاهرة ١٩٠٢ ، ١٩٠٣
جورجى زيدان بك	تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع القاهرة ١٩١٤
رفاعه بك رافع الطهطاوى	تخليص الإبريز فى تلخيص باريز القاهرة ١٢٦٥ هـ
روذشتين	تاريخ المسألة المصرية . تعريب العبادى وبدران الطبعة الثالثة
سليم خليل نقاش وجرجس ميخائيل	مصر للمصريين . الأجزاء الرابع والخامس والسادس والسابع طبعة ١٨٨٦
عبد الرحمن الرافعى بك	عصر اسماعيل ، جزءان ، القاهرة ١٩٣٢
عبد الرحمن الرافعى بك	الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ١٩٣٧
عبد الرحمن الرافعى بك	مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال (تاريخ مصر القومى من ١٨٨٢ - ١٨٩٢)
عبد الرحمن الرافعى بك	مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية طبعة ١٩٣٩
عبد الرحمن الرافعى بك	محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ١٩٤٢
على مبارك باشا	الخطط التوفيقية ، عشرون جزءاً فى خمسة مجلدات بولاق ١٣٠٦ هـ
فيليب جلاد	القاموس العام للادارة والقضاء فى ستة مجلدات طبعة ١٩٠١
فيليب دي طرازى (الكونت)	تاريخ الصحافة العربية ، أربعة أجزاء بيروت ١٩١٣ و ١٩٣٣
قسطاكى الياس عطارة الحلبى	تاريخ تكوين الصحف المصرية القاهرة ١٩٢٨

كرابيتس (بيير) إسماعيل المفترى عليه ، ترجمة صروف الطبعة الأولى

محمد مختار التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية طبعة ١٨٩٣

محمود رشيد رضا . تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (ثلاثة أجزاء) مطبعة المنار ١٣٤٢ هـ

محمود عزمى مبادىء الصحافة القاهرة ١٩٤١

مصطفى محمد الفلكى ومحمد نجيب النتيجة المستحسنة لحساب مائة سنة طبعة ١٨٩٥

هنس رزنر مصر فى عهد الاحتلال الانكليزى ، طبعة ١٨٩٧

يوسف محمد دسوقى ومحمد كامل دسوقى فى الصحافة مطبعة جريدة الصباح

٣ ـ مخطوطات

السيد صالح مجدى بك حلية الزمن فى وصف مناقب خادم الوطن (مخطوط) بدار الكتب المصرية ١٣٩٠ هـ

مقالات فى صحف ومجلات

مجلة الشباب فى سنة ١٩٣٦

مجلة الهلال العدد الأول من السنة الأولى ـ الجرائد العربية فى العالم

مجلة الهلال العدد الثامن من السنة الثانية عشر ـ تاريخ النهضة الصحافية فى اللغة العربية

مجلة الأجيال فى ٢٦ حزيران سنة ١٨٩٧ (الصحافة فى القطر المصرى)

مجلة المشرق السنة الثالثة ، العددان الرابع والسادس

١ — كتب المراجع Bibliographies

Cambridge Modern History. Vol. VIII. IX

Deny, J. Sommaire des Archives du Caire. Le Caire. 1930.

Hilmi, Ibrahim (Prince) : The Literature of Egypt and the Sudan from the earliest times. 2 Vols. London 1896.

Maunier, R. Bibliographie Economique, Juridique et Sociale de L'Egypte Moderne (1798—1916) Le Caire, 1918.

٢ — وثائق مطبوعة

Blue Books 1870—1914.

Correspondance de Napoléon ler T. IV - V. Paris M D C C E L X

Despatches on Egypt By the Consul of the United States. Palais d'Abdine.

Keller, A. Correspondance, Bulletins et Ordres du Jour de Napoléon T. IV.

Législation Ottomane T. III. N 25/1 أرشيف الخارجية

Livres Jaunes 1870—1914

Sachot. A & M, Victor Duruy. L'Instruction Publique en Egypte. 1868.

Parliamentary Debates 1806 — 1882 (Cobbet's and Hansard's Parliamentary History of England)

٣ — وثائق لم تطبع

Diplomatic Documents Concerning affairs of Egypt, Sc. Soc. T. 1 N 679. The Egyptian Library.

٤ — الكتب

Baignières. L'Egypte Satirique, 1896.

Blunt, W.S My Diaries. London. 1919—1920

Bowring. Report on Egypt and Candia. London 1840

Bréhier. L'Egypte de 1798 — 1900 Paris 1900

Charles, — Roux Bonaparte Gouverneur d'Egypte. paris 1936.

Clot, A. B. Aperçu général sur l'Egypte, Paris 1840.

Cromer. Modern Egypt. 2. Vol 1908.

De Freyçinet. La Question d'Egypte. Paris 2e Edition.

De La Roque. Voyage au Liban et Syrie. Paris 1716.

De Lesseps. F. Lettres, Journal et Documents pour servir à l'histoire du Canal de Suez. 2 Vol. 1875

Douin. Histoire du Règne du Khédive Ismail. 6 V. 1933 – 1941.

Douin. La Mission du Baron De Boislecomte. L'Egypte et la Syrie en 1833.

Galal. K. E. Entstehung Und Entwicklung der Tagespresse in Agypten. Limburg 1939.

Hartmann. M. The Arabic Press of Egypt 1899.

Huart, C. La Littérature Arabe. Paris 1902

Kyriacos Michael. Copts and Moslems Under British Control. London 1911.

Le Groupe D'Etudes de l'Islam. L'Egypte Indépendante, Le Caire 1937

Lloyd. Egypt Since Cromer. 2 Vol 1933.

Mahmoud Fouad. Le Régime De La Presse En Egypte. Paris 1912

Merruau L'Egypte Contemporaine Paris 1855.

Munier : La Presse En Egypte (1799-1900) Notes et Souvenirs 1930

Ninet, J. Arabi Pacha. Paris 1884.

Ramadan, A M.S. Evolution De La Législation Sur La Presse en Egypte Paris 1935.

Rigault, G. Le Général Abdallah Menou et La Dernière Phase de L'Expédition d'Egypte. Paris 1911.

Rousseau. M F. Kléber et Ménou en Egypte depuis le depart de Bonaparte (Août 1799-Septembre 1801) Paris 1900.

Sabry, M. La Genèse de l'Esprit National Egyptien. Paris 1934

Weill, G. Le Journal, Origines. Evolution et Rôle de La Presse Périodique. Paris 1934.

Youug, G. Egypt. London 1937.

٥ — الدوريات

Annuaire de La République Française l'AN. VII. Le Caire AN VIII.

La Décade Dgyptienne 1798–1801.

Le Courrier de l'Egypte. 1798—1801.

Le Progrés Egyptien. 1869—1878

L'Impartial d'Egypte 1868.

Le Journal Officiel. 1885–1942.

Le Monitenr Egyptien 1933.

Le Moniteur Egyptien 1874–1884.

٦ — مقالات في المجلات العلمية

Artin, Y. Pacha. Etude Statistique sur La Presse Egyptienne. Bulletin de l'Institut Egyptien 1905.

Belin, M. Notice Nécrologique et Littéraire Sur N.J.J. Marcel Journal Asiatique 5e serie, Tome III, 1854.

Bonola, F. Una Visita a Mohemmed Ali nel 1822. La prima Stamperia et il primo giornale. Revue internationale d'Egypte 11n° octobre 1905.

Canivet, R. C. L'Expédition d'Egypte. La Revue International. d'Egypte. 1906.

Canivet, R,C. L'Imprimerie de l'Expédition d'Egypte. Les Journaux et les Procès-Verbaux de l'Institut (1798 — 1800) Bulletin de l'Institut Egyptien 3° série. Tome III Fasc. 1-2. 1909.

Geiss. M. A. Histoire de l'Imprimerie en Egypte. Bulletin de l'Institut Egyptien 5° Série Tome I. 1907.

Reinaud. De La Gazette Arabe Turque imprimée en Egypte. Journal Asiatique 2° Serie Tome VIII 1831.

الصحف العربية التى صدرت أو أذن لها بالصدور
فى القطر المصرى

من سنة ١٨٠٠ - ١٨٨١

التنبيه ١٨٠٠ . جرنال الخديو حوالى ١٨٢٢ . الوقائع المصرية ١٨٢٨ . الجريدة العسكرية ١٨٣٣ . الجريدة التجارية الزراعية (الجرنال الجمعى) ١٨٤٧ . جريدة السلطنة العسكرية ١٨٥٧ . مجلة يعسوب الطب ١٨٦٥ . الجريدة العسكرية المصرية ١٨٦٥ . وادى النيل ١٨٦٦ . نزهة الأفكار ١٨٦٩ . روضة المدارس ١٨٧٠ . النحلة الحرة ١٨٧٠ . الكوكب الشرقى ١٨٧٣ . جريدة أركان حرب الجيش المصرى ١٨٧٤ . روضة الأخبار ١٨٧٥ . الأهرام ١٨٧٥

١٨٧٦ شعاع الكوكب . صدى الأهرام . المنارة . صحف ١٨٧٧ مرآة الأحوال الوقت . حقيقة الأخبار . أبو نضارة . الوطن . مصر (العهد الأول). صحف ١٨٧٨ اسكندرية . القاهرة الحرة . بستان الأخبار . التجارة . صحف ١٨٧٩ مصر القاهرة (صدرت فى باريس) . مرآة الشرق . الكوكب المصرى . الميمون صحف ١٨٨٠ المحروسة . العصر الجديد . صحف ١٨٨١ النجاح . الحجاز . المنتخب . الاتحاد المصرى . المفيد . مصر (العهد الثانى) . التنكيت والتبكيت . النوادر . توفيق . البرهان . الطائف

صحف القاهرة والأقاليم من سنة ١٨٧٢ - ١٩٣١

صحف ١٨٨٢ التيمس المصرى . الأحوال . الزمان . الفسطاط . السفير صحف ١٨٨٤ الأعلام . الزمان . البيان صحف ١٨٨٥ الفلاح . النشرة البريدية . الفلاح . صحف ١٨٨٧ الآداب . الأحكام . الصحة صحف ١٨٨٨ الجريدة المصرية النور التوفيق . نشرة أسبوعية عن المواليد والوفيات . مكارم الأخلاق . الرياضة المصرية المنارة . الآداب . الحقيقة . الراوى . صحف ١٨٨٩ الأمراض المعدية . المقطم . المؤيد صحف ١٨٩٩ المحاكم . الشرق صحف ١٨٩١ صدى الشرق .

الأعلام . النيل . البستان . وقائع البوليس . النشرة الدينية الأسبوعية . الفوائد الصحية . الزراعة . كنز الزراعة . صحف ١٨٩٣ الرأى العام . المرشد الكمال . أبو الهول . الراوى . السرور . الميزان . المهندس . النيل . الالتفات . رياض التوفيق . البريد . الثمرة . الهدى . النديم . رعمسيس . التلميذ . الشرائع . العلم المصرى . المنتقد . سلسلة الفكاهات . الحق . التقدم المصرى . المدرسة . صحف ١٨٩٤ الأمة . المحاسن . صهيون . التلغرافات الحقيقية . العلم . الأهالى . الفيوم . الأرغول . اليانصيب . النور العباسى . المجلة الزراعية . الشمس . القضاء . منتخبات الروايات . الأنعام . منفيس . مصر . المتحف . صحف ١٨٩٥ شهادة الحق . الظاهر . النبراس . صدى الشرق . الإخلاص . المقياس . البرق . العدل . الانصاف . بصير الشرق . السيار . النحلة . الناظور المصرى . العام الجديد . الكنانية . النشرة الشهرية . الظرائف . المعارف . مصباح الشرق . سوق العصر . المغرب العثمانى . المرسى . العباسى . الوظيفة . صحف ١٨٩٦ المنير . المنادمة . الرياضة . القاهرة الحرة . المبشر المصرى . الكوثر . التفريح . العمدة . الكمال . النهج القويم . الشرق . الغزالة . الكرباج والعفريت . الأقلام . الأخبار . الوقف . الرائد المصرى . المدح . المنبه . العصر العباسى . الثبات . الحرية . صحف ١٨٩٧ الصاعقة . النصر . العلم العثمانى . الأثر . الحدود . الشرف . البوستة . الفردوس . الثريا . باب الفتوح . الإعلانات . الحماية . مرآة الحسناء . الهداية العامة . الحرية . حفظ الحياة . الكمال ، التفريح ، طنطا ، حمارة منيتى ، المنصورة ، التلغرافات الجديدة ، النشرة العثمانية . السلطنة ، ثمرة العدالة ، تركيا ، الهداية ، النجاة ، الأجيال ، الغربال . النشأة الوطنية . الحاكم . أبو نظارة معظمة . الإستقامة . الكهربائية . رائد الليل . أبو العيال . السفير . الباشا . الجلاء . النشرة الإدارية . المأمون . العفريت . التاريخ اليومى . البيان . السمير الصغير . التجارة . مرآة العصر . الأدب . المنصورة . الثبات . الاستقامة . السلام . المحامى . البنانة . حلوان . الفيوم . صحف ١٨٩٨ القانون الأساسى . الجاسوس . كردستان .

المنخاس . القول الحق . المنار . الأسد . الشيطان . مصباح الشرق . المطالب الحقة . المعتصم . جهينة . السودان المصرى أنيس التلميذ . الواسطة . الحروب . المحامى . الصباح . شمس الحقيقة . المعارف الشهباء . النصيب . المرصاد . الفلاحة المصرية . تسلية الخواطر . اللجام . الجمعية الطبية المصرية . الرقيب . الضياء . الموسوعات . الزمن . الفكاهة . النيل . الصادق . الانسانية . الأفكار . الحقانية . الغزالة ، الصديق ، النشرة الادارية . شمس الحقيقة ، أبو نواس . نبلة الفشر . صحف ١٨٩٩ سوق العصر ، البورصة المصرية ؛ أنين مظلوم . الأساس ؛ العلمى . الفوضى . الممتاز ، المستشار ، أبو الهدى ، إدريس ، روضة البحرين ، غزل البنات ، العائلة . الآمال ، سلسلة الروايات ، الحكمة ، الشرقية . الظهور ، المدارس ، الإرشاد ، الكوكب المصرى ، الجمعية الزراعية الخديوية ، الواجبات ، النور ، التذكار الشهامة ، الأسد المرقسى ، مدرسة الزراعة ، برهان الحق ، الكوكب الدرى ، الإعتدال ، الكوثر ، المرصاد ، الاخاء ، القانون الأساسى ، الفوضى ، العرب ، الاسكندرية ، صحف ١٩٠٠ المجموعة الرسمية للمحاكم الأهلية . اللواء ، الغزالة ، الإنذار ، الانسانية ، العصر الجديد ، الخبير ، الأسبوع ، الثمرات ، البوستة ، رائد النيل ، الدواء ، الأفكار ؛ العرب ، صدى لبنان ، مكارم الأخلاق الاسلامية ، التمثيل ، المجلات العربية ، الصبوة ، نور الاسلام ، النظارة ، المجلة المصرية . العلم العثمانى ، الخزانة ، سبيل الهدى ، النهضة الأدبية ، الهوانم ، المصباح الجديد ، القليوبية ، البدر المنير ، القدس الشريف ، السهام ، السعادة فى العائلة ، الصبا ، الانتقاد العام . الخبير ، الرسول ، الدنيا فى باريز . بوق الاصلاح ، صحف ١٩٠١ النسناس ، أبو زيد . الخزان ، التهذيب ، تحرير سوريا ، الصوت ، الصارخ . التمدن ، المرأة فى الاسلام ، التعليم الابتدائى ، شجرة الدر ، الكنيسة الأرثوذكسية ، النجاة ، المرآة ، عين شمس ، نقابة مزارعى القطر المصرى . الابتسام . الحقيقة ، العاصمة ، الغازى ، الأمل ، الشوق المصور صحف ١٩٠٢ السهام ، سوق العصر ، أبو زيد ، المصور ، العجائب ، العمران ،

الرشيد ، الصياد، المقصود ، التيمس المصرى ، الحقائق، بريد الأحد. الاكبريس الكلمة الحرة ، الحوادث ، الفريق ، الحرية ، القول الحق ، المصور ، الطب الحديث ، الرجاء ، الخطيب ، الشرق المصور ، طريقة المعانى ، الأمل ، العاصمة، الروايات الشهرية ، دليل الطلاب ، الاعلان. المأمون ، بوق القداسة صحف ١٩٠٣ الحيدى . الراوى ، الجوائب المصرية ، القاهرة . الامام . الاصلاح ، الباباغللو المصرى ، الطغراء ، الخلاعة ، الطرائف ، ضد الخـلاعة . الخلاعة المصرية ، الازبكية ، النيل ، السودان ، المجلة المدرسية ، الإخاء ، العلم الصناعى ، زهرة الشرق ، عروس النيل ، صديقة الفكاهة ، السيدات والبنات ، المؤنس ، الفضيلة ، المرستان، الواعظ ، العصر الجديد ، الجريدة الماسونية ، الظاهر ، الحوادث ، المصور ، إحياء العلوم ، الرائد العثمانى ، معين المتعلم ، المعانى ، الثبات ، جهينة، الكلمة الحرة، المودة ، مسامرات النديم ، الأوقاف المصرية ، الكاروز المنير ، الزمار ، أبقراط الطبية ، الحرية ، الصحة . صحف ١٩٠٤ المنتزه . الفونوغراف . الانسانية ، السياسة ، الدائلة . الحاق . الاجابة ، المساواة ، المستقبل ، الواعظ ، الجاسوس ، النادى ، الأمة الحرة ، الغرائب. سيف العدالة ، العصر العباسى ، المباحث ، الأمة الشرقية ، المنهل ، البلاد ، نبراس المشارقة والمغاربة ، الحكمة ، الدنيا الجديدة ، علم الشرق ، المرصاد ، الاعتدال المصرى ، النافع ، لسان الأم ، المفتخر ، النفير ، الصعيد ، الهلوسة ، نفير الحرب ، النادى ، الهجرة ، السويسية ، الطالب ، المنعم ، الكوكب ، الحوادث العمومية . صحف ١٩٠٥ الارشاد ، الصحافة، التنكيت والتبكيت ، الحجاز ، السعيد ، المشكاة ، العالم الاسلامى ، الضحى . الفاروق ، الخلاعة الأصلية ، الأمير ، المفيد ، الكون ، العروة الوثقى ، الاعتدال المصرى ، عفريت الحارة ، الحكومة ، الازبكية ، الرياضة ، المجموعة السنية ، الموقودة ، الدليل الصادق ، التربية . المعلم ، المعانى ، النور ، الهدى ، الجمهور ، المساعد ، الأمة ، الكوكب ، الهداية ، الماسونية ، المجلة التعليمية ، الهدهد ، صحف ١٩٠٦ الصائح ، الراية العثمانية ، الأمة ، الخطيب ، الكلمة الحقة ، المعرض

المنير ، الآستانة ، الانتباه ، كشف الخفايا ، الحرمين ، حقائق الشرق ، الشورى ، الكوكب المصرى ، الشتاء ، المجلة العثمانية ، المنهل الصافى ، الأفلام ، رجع الصدى ، سمير النديم . الحكومة . الكوثر . الجريدة الأسبوعية ، الحقيقة . النصائح . الارشاد ، الإنسانية ، نهضة الإخاء . المقتبس . نزاع سيدنا يسوع . عفريت الحارة ، العلوم . صحف ١٩٠٧ البورصة ، الدنيا الجديدة ، الحق الصراح ، الشورى الشرق ، هاهاها ، الجريدة ، التمساح ، الديك ، مرآة تركيا ، السبعة وذمتها ، الأسد الإسلامى ، خيال الظل ، الجامعة المصرية ، السياسة المصـــورة ، الدستور ، سمير الشبان ، الأيمان ، الصدق العثمانى ، الصراط ، الأزهر المعمور ، الانسان ، ضياء الألعاب ، الحرمين ، الأظهار ، الصوت الصارخ ، طريق الحياة ، الهدية الوطنية ، الجهاد ، صحف ١٩٠٨ النهضة ، الجريدة الأسبوعية ، الأستاذ ، ضياء الشرق ، العزيز ، الاقدام ، عفريت المقاولين ، الحق الصراح ، البستان ، الحكومة ، الانسانية ، القطر المصرى ، الجهاد ، المصباح ، المباحث السياسية ، الولاء ، الأحوال ، الرعد ، عصر الحديد ، المباحث السياسية (مصورة) ، مجلة الأعمال اليدوية للسيدات ، مصر الفتاة ، الطلبة ، الفضيلة ، حامل النور . القضاء والبواليس المصرى ، البستان الزاهر ، الشعب القبطى ـ صدق الاخاء ـ التذكرة ـ العرش الأبيض ـ القرطاس ـ المنتقد ـ الحكومة ـ الفكاهات العصرية ـ اللباب ـ حدائق الظاهر ـ الأسماء ـ الشعب المصرى ـ الزهرة ـ الكاشف ـ العزيز ـ النهضة ـ الأسد الاسلامى الزار ـ الجسمانية ـ البلاغ المصرى ـ السلام الخطيب ـ البعبع ـ الراوى القبطى ـ رسالة الشمس ـ نادى دار العلوم ـ العدل ـ الأحرار ـ الريحانة

صحف ١٩٠٩ الظهور ـ المقطم الأسبوعى ـ الاستقامة ـ البهلول ـ النظام ـ الخطيب ـ حذام المسامير ـ الأقباط الكاثوليك ـ الآمال ـ اللواء ـ المصور ـ الشجاعة ـ البشائر ـ المؤيد الوطنى ـ السامى ـ الولاء ـ العلم العثمانى ـ البرنسيس ـ الرقى الاسلامى ـ الطلبة ـ الأعمال اليدوية للسيدات ـ الأستاذ ـ مرشد الأطفال ـ الولاء ـ الساروخ ـ حديقة الروايات ـ نور المشرق ـ القبلة ـ السامى

صحف ١٩١٠ الآداب ـ الكائنات ـ العلم ـ الشعب ـ الاستقلال ـ السلام ـ السيف ـ البلاغ المصرى ، مجلة الصحة . النصيحة ، الترقى ، العفاف ، الاخاء

صحف ١٩١١ الجوهر الساطع ، صحائف الحق ، أبو الهول . الشعب . المعتدل . الارشاد . الرقيب . الكوكب

صحف ١٩١٢ الاحصائية الزراعية الاقتصادية . جمعية النهضة الأدبية . إحصائية شهرية لمحصول القطن . الدلتا . صحف ١٩١٣ عكاظ . الاقدام . الشرائع . صحف ١٩١٤ أقرانى . المجلة المصورة . الكشكول . النجمة المصرية . المشرق . الثمرات . ملحق المقطم المصور . النصر . المحاكم الأهلية . النداء . صحف ١٩١٥ اللطائف المصورة . الوطنية . السفور . صحف ١٩١٦ الاصلاح صحف ١٩١٧ الكوكب . المرآة . الحال . الشرقيه . الصبوة . الصبا .

صحف ١٩١٨ الشباب . جريدة فلسطين . المنبر صحف ١٩١٩ الأخبار (أسبوعى) . النظام . الافكار . الزراعة . مفتاح الاصلاح . الوفد المصرى . اللسان . عصفور الليل . الحاوى . الرعد المصرى . البلابل . روضة البحرين . المقص . المصارحات

صحف ١٩٢٠ المرزبة . الطلبة . الخزوق . الاخبار . إسرائيل الزمان . الصنف . النشرة الاقتصادية المصرية . الحقائق . النسر المصرى . أبو الهول . الساعة . صحف ١٩٢١ النيل المصرى . الاخبار الماسونية . الوجديات . الصباح المرصد . الضحوك . الفضائل . سفينة الاخبار . المؤدب . الصحيفة . الساعة (مصورة) . النيل . الديك . الاستقلال . البشير . الكشكول المصور . إياك . السمير المصور . النهضة النسائية . الراوى : المعلقات . اللواء المصرى

صحف ١٩٢٢ قصر النيل . الرجاء . العالمين : القصص : شمس النيل : النشرة المصورة : الصباح : الاحوال : مجلة الشرق الطبية الجديدة : النهضة المصرية : السياسة : الدستور ، المحاسن المصورة . الابتسام : الحركة التجارية . شجرة الدر

صحف ١٩٢٣ البرلمان : البلاغ . الاولاد : الفلك : الحضارة المصرية . عاصمة الشرق . البنات : الالعاب الرياضية : الرشيد . السداد . الجمهور سمير الافكار . الحوادث . المصورة . النفير . الكمال

صحف ١٩٢٤ السباق : بريد الحاكم : الصحيفة المدرسية : التمثيل : المقرعة : مجلة النهضة الاكاديركية : الاتحاد الاسرائيلي : الجرس . لسان الشعب . الزراعة الحديثة . الشرق الجديد . القاهرة : سمير فتية مصر الفتاة : التوفيق : مصر الجديدة العناية ، المنيا ، المنطاق ، رحلة البحيره ، الحق المنتظر ، السلام ، خيال الظل ، السمر الفنون ، الناس ، ملحق البلاغ المصور ، المطرقة ، نشرة الأزهر ، المرأة الجديدة ، التضامن ، الجريدة المصورة . ميمون . أبو قردان . عظمة الشرق . البهيج ، كوكب الشرق . الشيوخ . الحوادث . الرشاد . النونو ، النوبة ، الشورى المصور ، السودان المصرى . الحياة الجديدة . العفريت . البغبغان : العصر الجديد . الوادى . الفيوم : نهر النيل . السويس ، الثغر الشرق

صحف ١٩٢٥ الوسيط ، الفجر ، العلم المصرى ، الاتحاد ، الكناشة ، الأجيال ، تاريخ الحوادث ، الاخلاص ، العهد ، العروسة ، الاستقلال المصرى ، الميكروسكوب ، الهادى ، الوطنية المصرية ، صحيفة الاعلانات ، الزغلول ، اللواء المصرى والأخبار : فى الشرق ، الطائف المصور ، المكروسكوب المصور ، المرشد . الأمل ، كل شيء : ١٠٠٠ صنف . الاطفال المصورة ، الحضارة المصرية ، المنصورة ، المحكمة . المحمودية ، منبر الشرقية ، الوقت ، البريد

صحف ١٩٢٦ الألعاب . الغول . المنهاج . الدفاع الوطنى . السياسة الأسبوعية العلم . الأسبوع . العالم . الفتح . الشيطان . المعرض . النواب . الصادرات والواردات التصوير النفسى - أبو شادوف - النذير - مسامرات الأطفال المصورة - الوجدان القلم - أولمبيا السينما توغرافية - البلاغ الأسبوعى - طنطا - الشعب المصرى - الواجب - النسر الدهرى

صحف ١٩٢٧ كلية الآداب والعلوم ـ صدى الحق ـ الفلسفة ـ الأتوموبيل ـ الفنان ـ المدفع ـ المحادثة ـ الأمانى القومية ـ الظاهر ـ الكشاف ـ النور ـ النجمة الزهراء ـ المستقبل ـ الأحوال ـ الأقلام ـ المسامرات ـ مسامرات عزمى ـ شمس الكمال ـ الأخلاق

صحف ١٩٢٨ الصور الاجتماعية ـ المستقبل الرياضى ـ الأقاليم ـ النجاة ـ رياض الشرق ـ بنها ـ الوفاق ـ الأسعار ـ السمر

صحف ١٩٢٩ ماتش ـ المحكمة ـ النشر القضائى ـ المحروسة المصورة ـ النظام ـ الدنيا المصورة ـ الصرخة ـ ابن البلد ـ الثبات ـ الروضة ـ جريدة الأمين ـ المدنية .

صحف ١٩٣٠ الفضيلة ـ الرياضى ـ المجلة الفنية ـ لواء الشرق ـ روح العصر ـ الحضارة المصرية ـ الوطن الشهرية ـ الوطن الأسبوعية ـ الفاروق ـ خريجى دار العلوم ـ الأمواج ـ العواصف ـ المجلة العلمية ـ الأمة ـ ميمون ـ المرشد المدرسى ـ الكواكب ـ الأعلام ـ المسارح ـ المجلة الموسيقية ـ البحيرة ـ العزميات ـ النهضة المصورة ـ السيف ـ الصفاء . الانسانية ـ لسان الشعب ـ أنا وانت ـ الطائر ـ الملاك ـ الصلاح ـ المفكر ـ القطارين ـ الجنس ـ الصواعق ـ الأنوار ـ العجلة ـ المضمار الرياضى ـ الثروة ـ البركان ـ الفسر ـ الأمير فاروق ـ الدفاع الدينى ـ صدى الشرق ـ صدى الأهرام ـ الاستقلال ـ العدل ـ الضحوك المصور ـ المجلة الاقتصادية المصرية ـ الباحث ـ الانذار ـ عصفور النيل ـ العالم الروحى الجديد ـ الناصح ـ الأخبار الماسونية ـ التيارات ـ انصاف العامل ـ البغبغان ـ الغربية ـ المعهد ـ شمس المعارف ـ تاج المعارف . الحظ . الراعى الصالح . نور الإسلام . الجهاد الأدبى . الاخلاص . الخبيراء . النفس البريئة . لسان العرب . حرية الشعوب . أسيوط . الرشديات . النبراس . الأمم . القرن العشرين . البوق القبطى . الرضا . الفنار . البلاج . الملاكم . النادى . الاخلاص المصرى . المصلح . الغرف التجارية . المؤيد الجديد . الضحى . المنبر . القليوبية . بنات النيل . المدن . المبتكر . النشرة الشهرية لشركة القديس منصور دى بول . البصير . الميزان . رسالة القديسة تريزا الطفل يسوع .

الرقيب . الأنيس . العلوم الطبيعية . بحر يوسف . الأخبار . الفيوم . المرآة . النهضة الفكرية . الفلاح . بريد العاصمة . عنوان السلام . القاهرة المصورة . المنزلة . أبو الهول الأسبوعي . على عيني . القصص . العفريت . التاج . البشرى . لواء السلام . بريد الصباح . الوادي . الارياف . السحاب . روضة المعارف . المصري . صوت مصر . التجديد . الهدير . حوش عيسى . الإدارة والبوليس القضائي . مصر الاقتصادية . حنفي عامر . الجامعة . كوكب السينما . انت وهو . زقزوق وظريفة . نهضة مصر . مسامرات كامل . البورصة . العواطف . الستار . الأرواح . الشعب . المدرسة والحياة . المجلة الكيمائية المصرية . مسامرات انيس الجلوس . الشيخ . السندباد البري . الإيجارات . المصور الفني الرياضي . الزمن . النهضة القومية

صحف ١٩٣١ الأحرار الدستوريون . الشمس المنيرة . الاستقلال العربي . نشرة المعرض . الأمير . المعرفة . الراديو . الاعلانات المنزلية . نهضة مصر . ممفيس الجديدة . الفتح والنصر . الحقيقة . الجمهور المصري . الجورنال . الزهور اليانعة . إسلامي دنيا . الشرائع . القانون والاقتصاد . الفردوس الزاهي . الخواطر الحديثة . نقد التشريع والقضاء . النصوح . العائلة . المعلومات . صديق الشعب . الدولة الاسبوعية . المسرح المصري . المختار . العزبيات . البوليس السري . البهاء . الطب الحديث . الظريف . الأحد المصور . الراوي الجديد . رسمي . رقي المعارف . الميزان . الدقهلية . المفيد . الطلبة . التجارة . الفصول . القنال . عالم الطفولة . السمير . الكشافة الاسلامية . العلم الاخضر . الرياضيين . الدولة . الملاهي المصورة . القادسية . الشفق . النهضة . دليل الملاهي

الصحف التي صدرت أو أذن لها بالصدور في الاسكندرية

صحف ١٨٨٢ الاحوال . الاعتدال . روضة الاسكندرية . صحف ١٨٨٧ البيغاء . صحف ١٨٨٨ المنارة . الحقيقة صحف ١٨٩٢ السرور صحف ١٨٩٣

فرصة الاوقات صحف ١٨٩٤ المتحف . لسان العرب . النور العباسى . المشير . صحف ١٨٩٥ السباق . المغرب العثمانى . حظ الحياة . فى الطريق . أبو النواس . المرسى . صحف ١٨٩٦ الرفيق . العباس . الكرباج والعفريت . الاعلانات . فصل الخطاب . الادب . صحف ١٨٩٧ المأمون . البصير . التجارة . صحف ١٨٩٨ الرجاء . الرقيب . التاريخ القومى . الحقانية . مجلة النيل . العثمانى . السلام . الخشاش . الصادق . السعادة . صحف ١٨٩٩ صدى الاهرام . أبو نواس . برهان الحق . الارشاد . الكوكب المصرى . الكوكب السارى . الاسكندرية . الآمال . صحف ١٩٠٠ الصباح . صحف ١٩٠١ نجم المشرق . النجاة . صحف ١٩٠٢ المنصور . الاعلان . الرجاء . المصرى . النصر صف ١٩٠٣ الجريدة الماسونية . المودة . الشرف . الزمار . صحف ١٩٠٤ الهلوسة . الاكسبريس . صحف ١٩٠٥ المساعد . الجمهور . الغندرة . صحف ١٩٠٨ وادى النيل - الشعب المصرى - البعبع - صحف ١٩٠٩ أبو النواس - الطنبورة - صحف ١٩١٠ كراقوز - الاهالى - صحف ١٩١١ الهدى - صحف ١٩١٢ الاقدام - صحف ١٩١٤ جريدة الاعلانات القضائية والتجارة - الدليل - صحف ١٩١٥ السلام - الأمة - صحف ١٩١٦ النجاح - صحف ١٩١٧ التجارة - صحف ١٩١٨ الهوانم - صحف ١٩١٩ المسلة - صحف ١٩٢٠ الامة - صحف ١٩٢١ الجريدة التجارية المصرية - صحف ١٩٢٢ الشبابية - الشبيبة (غير السابقة) - النهضة المصرية - صحف ١٩٢٣ الشعب المصرى - البصير القضائى

صحف ١٩٢٤ حيران - المصباح - اللسان الصادق - العمال - النشرة التجارية . السفير - الجهاد - الاسكندرية - صحف ١٩٢٥ نهضة الشرق - النزهة - البعث الظريف - الثروة - المهذب - صحف ١٩٢٦ الأجيال - نفائس المدارس صحف ١٩٢٧ الوجدان - السهام - الرياضة - معرض السينما - التنديم صحف ١٩٢٨ الرياضة الأسبوعية - صحف ١٩٢٩ الاجيال - الجرس - الثغر عالم السينما

الجرائد العربية المصرح باصدارها يومية فى القاهرة فى سنة ١٩٤٠

الأهرام ـ المصرى ـ المقطم ـ البلاغ ـ الوفد المصرى ـ الدستور ـ مصر الوادى ـ العلم ـ الدفاع الوطنى ـ المساء ـ أبو الهول اليومى ـ الاتحاد ـ مصر الفتاة ـ الحال ومسامرات الشعب ـ الثغر ـ الآداب ـ الفنون ـ اللواء القومى ـ الأمة ـ المحروسة

بيان الصحف العربية المصرح باصدارها مرتين فى الأسبوع فى القاهرة

الأمانى القومية ـ الأفكار ـ منبر الشرق ـ الصرخة ـ الظاهر ـ الأهالى ـ شهر زاد ـ الألعاب الرياضية ـ السمير ـ المرشد .

الصحف العربية المصرح باصدارها أسبوعيا فى القاهرة

المنبر ـ الأخبار ـ الاستقلال ـ فتى النيل ـ الكفاح ـ الحقائق ـ طنطا ـ الضحوك ـ المدينة ـ الساعة ـ الجامعة الاسلامية ـ لسان العرب ـ شبرا ـ شيخ الصحافة ـ العلم المصرى ـ المرصد ـ أنوار المدينة ـ (الصديق) ـ المباحث القضائية ـ الشمس ـ التاج المصرى ـ حرية الشعوب ـ الصاعقة ـ الشعوب ـ السحاب ـ الشعاع ـ الضياء ـ الزعيم باهوه ـ المصور ـ الاثنين ـ الصباح ـ آخر ساعه ـ روز اليوسف ـ الشعلة ـ العزيمة ـ الفتاة ـ الراوى الجديد ـ الكشكول ـ زهرة الشرق ـ اللطائف المصورة ـ الراديو المصرى ـ الثقافة ـ الرسالة والرواية ـ السياسة الاسبوعية ـ الجامعة الرابطة العربية ـ مجلتى ـ المطرقة ـ الحوادث ـ المجلة الجديدة ـ أبو الهول الاسبوعى أنا وأنت ـ التيمس المصرى ـ الاسبوع ـ الشهداء ـ النيل ـ الحسان ـ مجلة المجلات الراديو والبعكوكة ـ الشبان الوفديين ـ المصرى أفندى ـ غريب ـ مصر العليا ـ أسرار الكون ـ الفصول ـ الدعاية ـ روايات الجيب ـ مسامرات الجيب ـ الروايات الجديدة ـ العشرين قصة ـ روايات الفتاة ـ باباصادق ـ الصحف والقوه ـ الرياضة البدنية ـ المنتخب ـ السيخ ـ النجم ـ الحديقة والمنزل ـ المجلة الموسيقية ـ شيك ـ الثريا ـ رابطة الشباب ـ النوبة الحديثة ـ الأمين ـ مترو جلدوين ماير ـ المصرية ـ المحاماة ـ المحاماة الشرعية ـ القانون والاقتصاد ـ المحاكم ـ الرشيد القضائى ـ

كلية الحقوق ـ الحقوق القضائية ـ الأحكام ـ الجريدة القضائية ـ الإدارة والبوليس القضائى ـ القضاء المصرى ـ العدالة . الشرائع . الدوائر القضائية . الأسرار القضائية . الكاتب ـ المحامى ـ التشريع الاسلامى

صحف دينية

الأزهر . الشبان المسلمين . الهداية الاسلامية . المنار . الاعتصام . نور الاسلام . الهدى . التقوى . الاسلام . الوحدة الاسلامية . هدى الاسلام . المدينة المنوره . الفتح . مكارم الأخلاق الاسلامية . نشرة الفضائل والآداب الاسلامية . الكاشف . الفضيلة . النذير . الحديث . الهادى . النهار . المجلة الشرعية . اليقظة . صهيون . الايمان . رسالة المحبة . رسالة الحياة . المنارة المصرية . النهضة . رسالة الاسلام . الشرق والغرب . المرشد المدرس . المراعى الخضراء . كوكب الصبح الهدى . نجم المشرق . المساعى . الصخرة . الصلاح . رسالة القديسة تريزا . التقدم

الصحف العربية الدورية

جهرة نما . اليونانى المتمصر . مصر الصناعية . المقتطف . الهلال . الأنصار . الصداقة . الطلبة . الشرق . الصناعة . سكك حديد وتلغرافات الحكومة المصرية . العمارة . الكشافة . الرياضة البدنية المصرية . المجلة الطبية المصرية . المجلة الطبية الشرعية . مجلة الشرق الطبية . مجلة غرفة القاهرة . النشرة الزراعية . العلامات التجارية . سمير التلميذ . الإسلام . العلوم . فن الحفر فى مصر . الطيران المصرى . دائرة المعارف ـ العاصمة . مدرسة البوليس والإدارة . الموظف . التربية الحديثة دار العلوم ـ مدرسة الهندسة التطبيقية . نشرة الاتحاد الدولى للرسم . الجمعية العلمية بمدرسة الزراعة العليا رسالة العلم . المدرسة الخديوية . مدرسة الأميرة . فوزية . مدارس النهضة . شبرا الثانوية . مدارس الأهرام . مدرسة حلوان . الدليل المصرى .

بيان الصحف العربية التى تصدر فى الاسكندرية

البصير ، الاتحاد المصرى ، الدفاع الاسكندرى ، الجريدة التجارية المصرية ، البورصة ، التجارة ، السفير ، الرياضة ، البصير القضائى ، العهد الجديد ، العلم الأخضر ، اتحاد الشرق ، الفارس ، طريق الحياة ، الراعى الصالح ، بوق الإنجيل ، مملكة النحل ، غرفة الاسكندرية

صحف تصدر فى المحافظات والمديريات

دمياط ، الصدق ، النبراس ، الكمال ، الفؤاد ، نهضة العمال ، الرعد ، مصباح النيل ، الفضائل ، القاهرة ، الاخلاص ، الممتاز ، الحضارة المصرية ، سفينة الأخبار ، بريد الصباح ، الأمير ، عنوان السلام ، المنصورة ، التوفيق ، البيان ، الفنون ، اليراع ، الواجب ، الوفاق ، الوقت ، البشير ، الإصلاح ، منبر الشرقية ، مدرسة الزقازيق الثانوية ، البشرى ، شمس الكمال ، الجيزة . البستان . الخلود ، الفيوم ، بحر يوسف ، قارون ، المؤتمر ، مدرسة الفيوم الثانوية ، السلام ، بنى سويف . الضمير . الانذار ، الأقاليم ، مصر الجديدة . الائتلاف . المنتظر . أسيوط . بوق القداسة . كلية أسيوط . النادى . المثال المسيحى ، الشفق ، الصعيد الأقصى

الصحف الفرنجية التى صدرت أو أذن لها بالصدور فى مصر

1798 Le Courrier de L'Egypte. La Décade Egyptienne. 1833 Le Moniteur Egyptien. 1846 Lo Spettatore Egiziano. 1852 Manifeste. 1853 Manifesto giornaliero. 1857 Il Commercio. Il Progresso Di Egitto. 1859 Le Courrier de la Gironde. La Presse Egyptienne Le Sphynx Egyptien. Bulletin de l'Institut Egyptien. 1860 La Trombetta 1862 L'Eco D'Egitto Echo D'Europe. 1863 L'Egypte. 1865 L'Avenire D'Egitto. 1866 Le Nil. 1867 Le Journal du Canal. Le Moniteur De La Publicité En Egypte. 1868 Le Progrès Egyptien. 1869 L'Impartial d'Egypte. 1870 The Egyptian Messenger. 1871 L'Indépendant d'Egypte. Le Phare d'Alexandrie. L'Avenir Commercial de Port-Said. 1872 Il Corriere Egiziano. L'Ezbekieh. HMPHEIA NEA. Le Sport. 1873 La Finanza. Il Corriere Anglo-Italiano. 1874 Lo Staffile L'Economiste. Le Commerce. Courrier de port-Said. Le Moniteur Egyptien. 1875 La Farfalla. Gazette des Tribunaux. Bulletin de la Socété K'Hédiviale de Geographie. 1876 Lloyd Egiziano. La Jurisprudence KEKPUX. Masr. L'Egypte Judiciaire. 1877 Le Droit. Messagero Egiziano. Bulletin de Législation et de Jurisprudence. 1880 Homonia. Bulletin mensuel de la Société Egyptienne d'Agriculture. The Egyptian Gazette 1881 Le Bosphore Egyptien. Le Darabouke 1882 The Times of Egypt. Bulletin du Comité agricole. 1884 Le Courrier d'Egypte. 1885 Meta-rithmissis, 1887 Neos Syndesmos. Bulletin de Législation et de Jurisprudence Egyptienne. 1889 Revue Egyptienne Littéraire et Scientifique. Revista mensile. 1891 Le Progrès. 1893 Phos-Chronos Le Progrès Egyptien. The Sphinx. Neos Syndesmos. 1894 Réveil Egptien (organe bimensuel). L'Imparziale. Le Journal Egyptien. L'Egypte (Revue industrielle et commerciale). Revue d'Egypte 1895 Revue Internationale de Législation et de Jurisprudence Musulmanes. La Correspondance Egyptienne illustrée. 1897 Panession

1898 Le Courrier du Nil. La Verité. Bollettino mensile della camera italiana di Commercio. Le Journal du Caire, Courrier d'Orient. 1899 Bulletin de la Société medical du Caire. La Bourse Egyptienne, Journal of the Khedivial Society. Archalouyce. Bulletin Commercial. Bulletin de la Société Khedivial de Médecine. 1900 Bulletin de l'Union Syndicale des Agriculteurs d'Egypte. 1901 Le Lotus. 1902 Nouvelle Revue d'Egypte littéraire, Artistique et Sociale. 1902 Il Giornale. Université populaire libre d'Alexandrie. 1903 Eethiniki. Bulletin de la Chambre de Commerce internationale. Anagennissis 1904 Egypte. The Egyptian Morning News. Houssaper. 1905 Société Khediviale de Médecin. La Revue Internationale d'Egypte. 1906 Buzantion. Le Bosphore Egyptien. Cairo Scientific Journal. La Finance Egyptienne et Moniteur Commercial. Il Corriere Egisiano. 1907 Les Nouvelles Egyptiennes. Aegyptische Nachrichten. L'Etendard Egyptien. The Egyptian Standard. Risorgette. Annuaire de la Finance Egyptienne. 1908 Eon. The Egyptian Daily Post. Cairo Programme Union Delle Democracia. 1909 Roma. Le Progrès Egyptien. Le Journal du Caire. Les Pyramides. La Bourse Egyptienne. L'Egypte Morning News. L'Imparziale. Kairon. Chronos. The Eg. Daily Post. Occident & Orient. Vosdoros. Le Courrier d'Egypte. The Eg. Gazette. La Reforme. Le Phare d'Alex. Les Nouvelles. Telegraphos. Omonia. Nilos. Messagero. La Verité. Le Moniteur International des Annonces ou L'Oasis d'Heliopolis. Panellian ou Osmodéos. Avel. Phos. Sphinx. Aegyptische Nachrichten. Eeon Ephiniki. Pharos E cclesiasticos. Pantairos. Gosmos. Moniteur Commercial. Cairo Programme. Tachydromos. Byzantion. Ergassia Egptos. Archalouyse. Bulletin de La Législation et de Jurisprudence Eg. Neos Syndesmos. Depêches Telegraphiques. La Gazette. Egyptischer Lloyd. Li Standard Tal Maltin, Les Coulisses. Le Monde Sportif ou La saison d'Egypte et l'Egypte Sportive, Ikaro. Nea ynéa (Simea). The Sphinx. Vox Veritatis. Le Voix d'Alexandrie. Sa Jeune Eg. Gazette de Renseignements. 1910 La Depêche Egyp. Agence Teleg. Orientale. Bulletin Medical d'Egypte. Israïl. L'Echo Sportif. The Eg. Observer. 1911 The Syse. Ephimeris. Ta Vima. Amyna. Union della Democrazia, Gazette des Tribunaux Mixtes. Monsieur. Anagcis. Promachos. Epitheorissis. Nea Ergassia. L'Unita Maltia. Le Phare de L'Erythrée. Delta. Le Nil. Revue Theatrale et Sportive. Le Journal de Helouan. La Santé. Mealessi L'Univers. L'Anthropismos. Hossanak. Miontioun. La Griffe. 1912 Le Courrier du Canal. Neve. Il Pensiero. L'Echo d'Egypte. Les Sports (Sporting News). Revue Israelite d'Egypte. Revue Egyptienne

Cairo Scientific Journal. The Egyptian Mail. Bulletin de l'Association Internationale de Proprietaires et Urbains en Egypte. La Renaissance Juive. La Vie Egyptienne. Y.M.C.A. Review. L'Avenir. Steno-Dactylo. Jl. Du Commerce et de la Marine. Nea Echo du P. Said. Les Affiches Egyptiennes. Cairo Sports. Bulletin de la Chambre Comm. Française du Caire. Dapline. Revue Medicale d'Egypte. 1913 La Finance Egyptienne. Lumen. Psit. Ana Mali. L'Etoile Egyptien. L'Egypte Contemporaine. L'Union. Cinegraphe. Journal. Ta Chroniha. Le Courrier. Le Reveil de l'Egypte ou Le Scorpion. El Afrita. La Griffe Egyptienne. Lisez Moi 1914 L'Echo Egyptien. Le Journal Illustré. L'Orient Nouveau. Kyrix. Eso Etmos. Neon Hellemon. Il Mattion Egiziano. Il Correre di Cairo Giornale d'Egitto. La Semaine Illustrée. Times of Egypt. Eg. Illust. Bully Sketches. 1915 Ta Nea. The Cairo Herald. Embros. Il piccolo delia Dominisa. High Life Review. The Truth. Arev. The Camp. Courrier. Il Nilo. Les Feuillets. The Eg. School Magazine 1916 Klio. Bulletin de la Société Eutomologique. Hevdomas. Phinicas. 1917 Phoni tis Cassou. Revue Sioniste. Papyrus. L'Ora-Lieta. 1918 Souvenez Vous. Le Lotus. L'Economiste Eg. 1919 Manifestes seditieux. The Egyptian Commercial and Shipping Review. Sports. 1920 Savarnah. Israel. Le Miroir Egyptien. The Eg. Advertiser Journal. L'Orient. Le Roseau. Feamma. Emporicos Chronographoo. Bulletin Pharmaceutique d'Egypte, Mardil Agha Revue Sociale. O. Pharos. Le Vie Nouvelle. L'Eclair. Revue Du Monde Egyp. Le Levant. Btn. Sté. Sultan Agriculture. Grammata. Les Nonvelles Maçoniques. 1921 Epitheorisis. Revue Hippique. Ishepsis. Le Moteur. Zizanioun Soussourada. Agon. Enquire within. La Liberté. Cambouris. The Sporting News. Varieats, Italia Tribuna. Egiziana Bar Poésia. La Publicité Egyp. L'Intermediaire International. Arabesques. The Deocesan Magazine La Presse Medicale. Palestine News. Egipta Espirantisto. 1922C Yatros. L'Egypte Nouvelle. Revue Medicale de l'Orient. La Palestra 1923 Le Scarabée. Mois Pharmacetique Medical. Valetta. Anatoli Papagallo. The Orient Trade Review. La Quarta Italia. L'Orient Musicale. Le Quotidien. Proscopihi Echo. Athletic News. L'Action-L'Aurore. Le Lloyd Egyptien. The Eyyptian Advertiser. Journal 1924 The Near East Trader. Mephiestophides. Le Lotus. La Verdade Texph. Le Moniteur Commercial. Memphis. Panajios Taphos. Neos Romios. JL. des Reclames. La Tribune breillustré. Eon. Eon Feuille d'Avis. L'Esploratore. Maalesche. Emporium Music. L'Egypte Industrielle. Palestine. 1925 Le Volant Egyptien. Le Phare Egyptien. Bisedimet Haygagan Cinema L'Independance Egyp. Arax. L'Egyptienne Il Mediterraneo. Sphinx To Yeoli.

Bulletin Commercial d'Alêxandrie. Kypatia. To Roudouni. Panorama du Canal. L'Independent. L'Intermediere Revue Scientifique Isis. Sporting. La Dodecanese. Dansez. La Revue Hebdomodaire Le Dimanche Illustré. To Hellinopoulo. Pountch. L'Espoir. La Gazette. L'Information Le Magnzine Eg. Othoni Le Jocky Revue Egyptienne de Publicité Le Courrier de Lettres et des Arts La Vie Française Bulletin et l'Union des Professeurs de Danse d'Egypte L'Obelisque Josy Journal Jourual des Enfants en Couleur Le Stade Heamis Le Pharaon Le Phoenise Le Reveil Les Messages d'Orient Le Scemo Iglua Ke Dinamis 1926 Nea zoi Messager du Canal de Suez l'Kini Gnomi Le Diable Enragé Le Journal de Goha Le Mercure Eg. Rad Revue des Débats La Vie Juive l'Ami Kentri La Semaine Eg. Le Petit Egyptien La Semaine d'Alex. l'Orient Stenographique La Settimana Sportiva Tribune Libre d'Egypte Philathlos Abraeadabra Hay Varjarn Annales Judiciaires Le Cinema d'Orient Radio Programme Eg. La Vie Parlementaire Egyptienne Hermes Revue du Droit Egyptien Mixte Alexandrie Techni Oasis Panegyptia La Pratique Medicale Prudentia El eftro Typos Erevna Le Turf Record Le Theatre Illustré The A.U.C. Rev. Views & Reviews 1927 Phanos Le Soudeur Boupeur Le Periscope Lo Specchio Excelsior Il Papagallo Aradamanthi Courrier des Bourses Antinèa La Marché La Revue d'Egypte Palestine Nil Und Zeitung C.E. Magazine Standard Le Moudaiu La Danse The Egyptian Trader La Bourse Eg. d'Alex. Hreghen Sune Le Crocodile Corriere Egiziano Massonie Echo The Lotus La Caravache Fantasio Ana Ma'i Le Sportsman La Rigotade La Cloche Isis Le Panache Panorama International Dentistry l'Hygiène Pratique des Familles 1928 Le Rayon To Hamogeto La Patrie Il Quaderno Il Quari Malti Viribus Unitis Hippodrome Le Therapie Medical Le Courrier Juif Numero Bulletin de Khoronfish La Piastrina La Mascotte La Stella Le Eacre Coeur Aegyptos l'Iljustration Julve Le Bouffon Alexandrie Novelle La Rose de Eisieur Eeftrès Sport Eoeiété de Comptabilité de France-Bulletin de la section d'Egypte Revue du droit de la Femme R.H.C.E. Natch The Monthly Medical Review Papoga'oo The Front man in Egypt Le Mercure Egyptien 1929 Le Flambeau Eediterânea Journal du Combattant Un peu de tout Deuch Aehptische Rundschau La Depêche Le Petit Chose l'Avenir Vivre Le Caire Eelect.

La Rampe. Le Courrir. L'Obalisque. L'Egypte Française. La Gazette Illustrée. Proini. Kytix. Tenui ex Valnere Salus. Boite de Pandore. Bulletin Maritime et Commerciale. Automobiles. J. L. des Tirages et de la Bourses ou La Commarciale. Courrier Medical d'Egyte Bullentin l'Union des Agricultures d'Egyte. L'Egypte Agricole. Gaizag. Tic Tac. The Bee Kingdom. L'Informateur. Tip Top. Die Technik in Nahem Osten. La Jeunesse Illustrée. 1930 Los Spectacles. L'Action Sportive. Leboude. Le Touriste Egypte. La Rumeur. Le Petit Egyp. Les Pyramides. Scorpion. Le Tequin. La Comptabilité. Backchiche. Printemps de Vie. La Revue. Nor Kir. Domnina. Un Effort. Kyriaki. Leboude. Elegantia. Scaravéos. Bulletin Commercial. The Eg. Statesman. Alexandria. Oesaha Pemoeda. L'Occasion. Salpgix tou Evangilious. Nile. Il Giornale d'Orienta L'Aurion. Ceres. Mon Journal. The Sunday Chronicle. Karavani. Derby. L'Argus Bull. de l'Agen. Eg. Econ. et Financ. L'Eclair. The Talkative Le Sportif Egyp. Le Moniteur. 1931. Revue Opthalmologique d'Orient. I. Phoni. Zeppetine Panegyptia. Rassagna Cattolica. Ciné Globe. Le Jeune Espoir. Vie. Un Effort. Marions Nous. Athlitis. Le Merle Blanc. Le Navori. Athlitiki Ebdomas. Coton & Capital. Pantio. Sports. La Nation Egyp. Emporica Chronica. La Peleponesse. L'Evolution Egyp.

الصحف الفرنجية التى تصدر فى القطر المصرى فى سنة ١٩٤٠

صحف تصدر باللغة الانجليزية فى القاهرة

The Egyp Gazette. The Egyp. Mail. The Egyp. Sunday Mail. The Sphinx. Cairo Calling. Parade. Rotary Bulletin. The Near East Trader. The Tewfikieh. E.R.S.E. Bulletin. The Ibrahimieh Times. Campus Caravan.

(بالانجليزية والعربية)

The Diocesan Review. Egypt and the Sudan.

صحف تصدر باللغة الانجليزية فى الاسكندرية

Chamber of Commerce International Dentistry.

(بالانجليزية والعربية واليونانية) صحف تصدر باللغة الفرنسية فى القاهرة

La Bourse Egyp. Le Journal du Caire. Le Progrès Egyp. Le Journal d'Eg. La Patrie. L'Egypte Nouvelle. La Bourse Eg. du Dimanche. La revue d'Egypte. La Presse Medicale d'Egyp. Le Rayon d'Egyp. Images. L'Aurore. Actualités. La Caravane. Proche Orient. La semaine Egyp. L'Egyptienne La Rose de Lisieux. Le Sacre Coeur L'Egypte Agricole. La Praique Medicale. Bullentin Mens. de Valeurs traités aux Bourses. Le Lion. Revue des Conferences. Française en Orient. La Revue du Caire. Bull. de la Chambre de Commerce Française de Caire. L'Egypte Contemporaine. Combattants Françaises. Cahiers du Cercle Thomiste Bull. de Khoronfish

صحف تصدر باللغة فرنسية فى بورسعيد

La Tribune

صحف تصدر باللغة الفرنسية فى الاسكندرية

Journal d,Alex. et de la Bourse Egyp. Le Phare Egyp. La Réforme Journal du Commerce et de la Marine La Gazette d'Orient L'Economiste Egyp. La Réforme Illustrée Journal Suisse d'Egyp. L'Informateur Le Stade. Le Galop. Le Turf. Le Favori. Maaloche La Tribune Juive. La Semaine Einancière et Po'i-tique L'Echo Sportif. Sporting. Ma Revue. Le Dimanche Illustré. Journal des Tribunaux Mixtes. Gazette des Tribunaux Mixtes. Bull. du Services des Leproûk. Bull. de Legistation. Echos. Le Periscope. Reportoire Permanent de Legis. Egyptienne. Je de la Chambre de Commere Fran. d'Alex.

صحف تصدر باللاتينية

Kairon. Clio. Phos-Chronos. Kyrix. Sphinx. Cosmos Christopolitia. I. Aphibnissis. Panorama. Tachydromo I-Omoia. Asgyptos. Ephimeris. Anatoli. Stivos. Pantainos. Ecclisiasticos Pharos. Bull. de la Chambre Hellen. Nea Echo de Port-Said Necs Syndesmos. Phoni-tis Cassou. Chlax.

صحف تصدر باللغة الارمنية

Arov. Houssaper. Savarnak Pountch. Avederan Tsein. Hreghen Sune: Arax

صحف تصدر باللغة المالطية

Il Qari Malti

قاموس أهم الأعلام